













الجزء الأول

المجلد الثلاثون

مَجْلَدُ

الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ

دمشق



١ كانون الثاني سنة ١٩٥٥ م

٧ جمادى الأولى سنة ١٣٧٤ هـ



مجلة  
المجمع العلمي العربي  
دمشق

انشرت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي } في سورية ولبنان ١٠٠٠ قرش سوري  
وفي سائر الاقطار ١٢٠٠ قرش سوري



## الشعر في العصر الأموي

للشعر العربي خصائص ومزايا يتميز بها باختلاف العصور ، ولذلك صنفه النقاد الرواة أصنافاً وقسموه الى أقسام هي : شعر الجاهلية ، وشعر المخضرمين ، شعر الإسلاميين ، وشعر المحدثين . ولكل قسم من هذه الأقسام طابع خاص يظهر عليه جلياً . والشعر في العصر الأموي هو القسم الثالث ، أي شعر الإسلاميين الذين ولدوا في الإسلام ولم يدركوا الجاهلية ، كالفرزدق وجبرير والأخطل .

تطعن النفس الى صحة الشعر الأموي ، لأن شعراءه والحواشي الباعثة على نظمهم ، والرجال الذين قيل فيهم ، حقائق تاريخية لا يتسرب اليها ، فضلاً عن حفظه وتدوينه قبل أن يطول عليه العهد ، ويتقادم عليه الزمن ، وأكثر ما ضاع منه ، ضاع بعد تدوينه لا قبله .

والشعر في العصر الأموي ، أفضل منه في العصر الجاهلي ، لأن العرب انفسحت لهم آفاق جديدة ، ورأوا أنواعاً جديدة من الحياة في الأقطار التي فتحوها ، وتهذبت لغتهم ببيان القرآن ، وأصبحوا سادة كثير من الأمم ، وآمنوا بأنفسهم أنهم هداة العالم وقادته ، وتطلعوا الى مثل أعلى لم يكن لهم به عهد في الجاهلية . هذا المثل الأعلى صورده لنا شاعر في العصر الأموي اسمه مالك بن الربيع التيمي ؛ كان مالك هذا شاباً فارساً من أجمل الناس وجهاً وأحلاماً حديثاً وأحسنهم ثياباً ، له زوج جميلة وطفل وطفلة وأبوان شبان ، وله أصحاب ومواحب يألفهم وبالفنونه ، ويسحرم بفتوته ومروءته وحن حديشه .



رأى مالك يوماً في بادية البصرة - حيث بقيم - جيشاً آتياً من الشام  
 ووجهته خراسان ، وعلى رأسه سعيد بن عثمان بن عفان عامل معاوية على خراسان ،  
 فانضم الى ذلك الجيش متطوعاً ، فلما شاع خبر تطوعه بكى زوجته الفتاة ،  
 وتعلق به طفلاه ، وتشبث به أبواه الشيخان ، وانشفع اليه أصحابه بصواحيبه  
 اللواتي خوفته الموت في الغربة البعيدة . فزوى وجهه عن كل هذه المغريات ،  
 وسما يبصره الى المثل الأعلى ، وذهب الى خراسان مع الجيش الفاتح ، وأصيب  
 هناك ، وبقي أباناً بعد إصابته تفيض مع تقه أبيات من الشعر بصور بها  
 كل ما ذكر ، نورد منها قوله :

|                              |                              |
|------------------------------|------------------------------|
| ألم ترفني بعث الضلالة بالهدى | وصبحت في جيش ابن عفان غارياً |
| فله دَرَزِي يوم أترك طائفاً  | بني بأعلى الرمثين ومالياً    |
| ودرّ الظباء السانحات عثيةً   | ينجبرت أني هالك من ورائيا    |
| ودرّ كبيرى الذين كلامهما     | علي شقيق ناصح ما ألايا       |
| ودرّ الهوى من حيث يدعو صحابه | ودرّ لجاجاتي ودرّ انتهائيا   |

هذا ما لاعدد للشعر العربي به من قبل في أيام الجاهلية ، نراه متمثلاً في الشعر  
 الأموي . ولئن امتاز العصر العباسي بأنواع النثر ، فلقد خص العصر  
 الأموي بالشعر .

كثر الشعر في العصر الأموي لكثرة بواعثه ، فقد كان عصرًا بفيض  
 بالحياة من أوله الى آخره ، مملوءاً بالحوادث الجسام ، فتوح لم يفتح بها على  
 غيرهم من الأمم ، وأحداث فيما بينهم عظيمة ، فمن مقتل عثمان ، الى وقعة  
 الجمل ، الى وقعة صفين ، الى وقعة مرج راهط ، الى مقتل مصعب بن الزبير  
 فعبد الله بن الزبير ، وثورات الخوارج لانهاد حتى تشب . فكان نفوس  
 العرب حينئذ لشدة الحياة المتقدة فيها مشاعل تضيء ماحولها وتحرق نفسها ،



ولكن مدد النور فيها لا ينفد • والشعر ثورة نفسية يشبهها بعض هذه البواعث  
أو ما ينشأ عنها من الأمور ، فكيف بها كلها •

والشعر في العصر الأموي يمثل الطبع العربي والخيال العربي والبيان العربي ،  
بعد أن اتسحت أمامه آفاق جديدة بالإسلام وبالتنوع وبالحوادث الداخلية ،  
شأنه شأن الدولة الأموية التي كانت عربية في جميع مناحيها ، لا تزيد  
الحوادث إلا نمواً وقوة ونضارة • سما به الإسلام إلى المثل العليا ، ونفضت  
عليه التوح ألواناً جديدة ، وصقلت الحضارة حواشيه ؛ ولكنه بقي محتفظاً  
بجوهره ، عرباً ولم يتعاجم ، وتقل ولم ينتقل ، ضمن أسلوب الفصحى وبيانها •  
وكان خلفاء بني أمية عناية عظيمة بالشعر ، يرتاحون لسماعه ، ويضطربون  
إليه ، ويرفعون من قدر الشعراء ، ويغدثون عليهم العطايا ، ويتخذون منهم  
دعاة لهم ولياستهم وتوطيد لخلافتهم ، وقال من خلفاء بني أمية من لم يقل  
الشعر ، فمعاوية من أكثرهم شعراً ، ولكن شهرته بالسياسة والدهاء والحزم  
طغت على شهرته بالشعر ، وابنه يزيد مشهور بالشعر وله ديوان ؛ ول مروان بن الحكم  
شعر ، أما عبد الملك فقد كان ناقداً بصيراً وأقواله في الشعر والشعراء يعتمد  
عليها الرواة والنقادة ويننون عليها أحكامهم ، وله شعر ؛ ولعمر بن عبد العزيز  
شعر ، وهو الذي صنّ للشعراء شعر الحكمة والصلاح والتقوى ، ول يزيد بن  
عبد الملك شعر ، أما الوليد بن يزيد فقد اشتهر بالشعر أكثر من كل شيء ،  
وهو إمام الشعراء في الخمريات • ولقد كانت قصور هؤلاء الخلفاء مآلف الشعراء  
ومهوى أفئدتهم • ونبغ من البيت الأموي عدا خلفاء كثير من الشعراء  
كعبد الرحمن بن الحكم وخالد بن يزيد وأم حكيم وغيرهم •

ولقد كان للخلفاء الأمويين أثر ظاهر في توجيه الشعراء وجهات خاصة  
بقتضيتها الفن أو الحياة الحضريّة ، فضلاً عن النزعات السياسية والميول الشخصية •



استأذن مرةً وافد على معاوية ، فلما وقف بين يديه ، قال له معاوية : حاجتك يا أخا العرب ، فقال : مدحة حبرتها لك يا أمير المؤمنين . فقال له معاوية : أما إذا شبيتني بالحية والعمود والكبش ، فلا حاجة لي بمدحتك ، ولك جائزتك .

وقال يزيد مرةً لجماعة من الشعراء في مجلسه : عجيبي لكم معشر الشعراء في الشام ، يقف أحدكم على الطلل البالي فيستنزف شعره في وصفه ، وعندكم تدمر وفيها ما فيها من تماثيل ومحاريب وتهادبل هي أحق بالوقوف والوصف ، تمررون بها كالكم أوالعمي .

وما يدريك لعل الوليد بن عبد الملك طلب الى النابغة الشيباني أن يصف الجامع الأموي ، فنظم قصيدة مدح بها الوليد ووصف فيها الجامع وصفاً هو غاية في الحسن والروعة قال <sup>(١)</sup> :

|                                       |   |
|---------------------------------------|---|
| والكس والذهب المقيان مرصوف            | فيه الزبرجد والياقوت مؤتلق                |
| يلوح فيها من الألوان تفويف            | تري تهادبله من نحو قبلتنا                 |
| حتى كأن سواد العين مطروف              | يكاد بعشي بصير القوم زبرجده               |
| كرمها فوق أعلاهن معطوف                | وفضة تعجب الرائي بهجتينا                  |
| أعلى محاريبها بالساج مسقوف            | وقبة لا تكاد الطير تبلغها                 |
| يضي من نورها لبنان والسيف             | لها مصايح فيها الزيت من ذهب               |
| مبطن برخام السام <sup>(٢)</sup> مخفوف | فكل إقباله <sup>(٣)</sup> - والله زينه -  |
| وقد أحاط بها الأنهار والريف           | في سيرة <sup>(٤)</sup> الأرض مشدود جوائبه |
| فمين من ربنا وعد وتخويف               | فيه المثاني وآيات مفصلة                   |

(١) ديوان نابغة بني شيبان ص ٥٣ .

(٢) إقباله : ما استقبل منه .

(٣) في الأصل : ( الشام ) ولعل العوَاب ما ائبتناه ، قالام : عروق الذهب والفضة

في الحجر وهو أقرب في هذا المقام .

(٤) سيرة الأرض : جوفها .



وعمر بن عبد العزيز منع الإذن للشعراء إلا إذا استلهموا الرحمن لا الشيطان ،  
 فظهرت أدلية شعر التقوى والصلاح والزهد ، وعفت ألسنة الشعراء مدة  
 خلافته ، وصار كثير عزة وعدي بن الرقاع وجبرير فبما مدحوه به أشبه بالنسك  
 الزهاد ؛ وظهر في أيامه شاعر لا يشبه بقية الشعراء هو سابق قاضي الرقة ،  
 قصر شعره كله على الحكمة والوعظ والزهد .

والوليد بن يزيد هو الذي جعل الخمریات فناً متميزاً ومنحجاً أخذه عند كل  
 من أتى بعده من الشعراء حتى اتهم أبو نواس بسرقة كثير من شعر الوليد .  
 والمتصفح للشعر في العصر الأموي يتبين سلامة طبع الشعراء ورقة قلوبهم  
 وصدق شاعريتهم ، وصحة يواغث الشعر عندهم ، وحسن مواقفهم الشعرية . فقد  
 كانوا يحتاجون لسجع الجرائم :

سحمت حمامة حنت بليل فما هجت العشية يا حماما

ولحنين الأوبل :

وحنت قلوبمي آخر الليل حنة • فبالوعة ما هاج قلبي حنينها

وهبوب الرياح :

إذا هب علقوري الرياح وجدتي كافي لعلوي الرياح نيب  
 وللمع البرق :

أدقت للبرق منجو ثم بأتلقي • ينجيه طوداً ويديه لنا الألق  
 ولجريان السيل :

جري السيل فاستبكاني السيل إذ جرى وفاضت له من مقاتي غروب  
 وللضحي وروثه والليل ونجومه وشبهه والسحب وانهارها .

ولا يفسرون الحال التي تأخذ الشاعر ، والمزة التي تتأبه ، والأريحية  
 التي يجدها ، والنشوة التي تسري فيه ، في مثل هذه المواقف الشعرية ، إلا



انفصالاً عن هذا العالم المادي ، واتصالاً بعالم غير مرئي ، هو عالم الشعر الذي تعزف به الجن ، وتترأى فيه عرائس الشعر ؛ ومن هنا جعلوا لكل شاعر نحيباً أو رثيلاً أو صاحباً من الجن يلقنه الشعر ، وهو الذي يعرف عندهم بشيطان الشعر . والفرزدق أوسع الشعراء الأمويين تخيلاً لهذا العالم ، وملابسة له ، فقد كان إذا استمعى عليه الشعر يركب ناقته ويهيم في الأودية الخالية ، وربما بات ليلة كلها في واد أو سفح يستلهم الجن ، ويقول في الفترة بعد الفترة : « أخاكم أخاكم ، أجيئوا أخاكم أبا ليني » وقصيدته الفائية التي أولها : عزفت بأعشاش وما كنت تعرفُ وأنكرت من حدراء ما كنت تعرفُ بنت ليلة من تلك الليالي الشعرية . وكان الفرزدق يتخيل للشعر إلهين عظيمين من الشعر يسمي أحدهما « الهوير » والآخر « الهوجل » الأول يوحى الطيب من الشعر ، والثاني يوحى الفاسد . وكان هذا الخيال الثنوي دباً إليه من عقيدة الفرس الثنوية في إلهي الخير والشر أو النور والظلمة . وكان ألفه الفرزدق لعالم الجن عقدت أواصر الصداقة بينه وبين إبليس ، فاستمرت صحبتهما - بإقرار الفرزدق - تسعين سنة ، ثم انفرج ما بينهما حتى عات من الفرزدق وأصبح غير أهل لصحبته ، فهجا إبليس بقصيدة يقول فيها : أطعك يا إبليس تسعين حجةً فلما انقضى عمري وتمّ نمامي رجعتُ إلى ربي وأيقنتُ أنني ملاقي الأيام المنوت حامي وهناك شاعر آخر اسمه عامر الجرمي ، ارتفعت الكلفة بينه وبين صاحبه الجنّي ، حتى خلطه بأهله وولده ، فأحب الشاعر بنت الجنّي وهام بها وجن بها جنوناً ، وكان يزعم أنها تترأى له في الهواء ، ويسكن إليها في الهواء ، وفيها يقول :

لابسة الجنّي في الجو طللٌ      دارس الآيات عافٍ كالخلل



وهكذا نجد لكل شاعر شيطاناً يلتقنه ، وكل شاعر يزعم أن شيطانه أقوى من شيطان غيره ، ولهم في ذلك أقوال منها :

وإني وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

\*\*\*

إني وإن كنت صغير السن وكان في العين ثبؤ عتي  
فإن شيطاني كبير الجن يذهب بي في الشعر كل فن

\*\*\*

ولي صاحب من بني الثيصان فطوراً أقوياً وطوراً هوه

\*\*\*

ونزا على شيطانه شيطاني

وهذا شأن العرب إذا أعجبوا بشيء نسيوه إلى الجن :

وقد كان أرباب الفصاحة كلما رأوا حسناً عدوه من صنعة الجن

\*\*\*

وعلى ما استجد من المعاني فقد حافظ الشعر الأموي على كثير من خصائص الشعر الجاهلي ، وظل سالكاً طريق الشعر الجاهلي في الوزن والقافية ، ولكن الأراجيز طالت وكثرت ، ونبغ من الشعراء من قصر شعره عليها ، فسحوا الرجاز ؛ كما نبغ النجم العجلي والمجّاج وابنه ربيعة ؛ ولا يفسر ذلك إلا بامتداد بحور الشعر ، لأن الاختصاص دليل على تعاضد الأصل وفرعه .

وكما حافظوا على الوزن والقافية ، حافظوا على النسيب في مطالع القصائد . سواء أكانت في المدح أم في الفخر أم في الهجاء ، يستجيئون بذلك قرائحهم ، ويستوحون عرائس الشعر ويغنونها ، ويروضون القول وتقوس السامعين ويسحرونها ، ويهيئون لها لقبول ما سيرد عليها بعد النسيب من مدح أو فخر أو هجاء أو غير ذلك من الأغراض ، وكانهم يرمزون بذلك إلى أولية الشعر العربي الذي وصل إلينا غنائياً ، وظل الغناء فاتحة لأكثر أنواعه ، حتى أغرب ابن مقبل فلم يخل منه إحدى قصائده في الرثاء .

وأعظم خصائص الشعر في العصر الأموي الاعتماد على الطبع وكرهه الكلفة ،  
 يذو شعر القاري بتدفق الطبع ، ومياسرة القول ، واجتناب الاقتصار ، والفرار  
 من الكلفة التي كرهها العرب في كل شيء ؛ فقد كانوا يرسلون القول إرسالاً ،  
 ولا يطيلون النظر في أعقاب قوافيهم ، ويعجبهم السجع السهل ، ويسمون من  
 يتنقون في شعرهم ، ويطيلون النظر في أعقاب قوافيهم ، ويعيرونها فضل تفكير  
 وتقدير ، عيب الشعر . ومن أمثلة شعرهم المطبوع قول ابن أبي أذينة :

إني التي زعمت فؤادك ملأيا      خلقت هواك كما خلقت هوى لها  
 يضاء باكرها النسيم فصاغها      بلباقته فأدقيا وأجلبا  
 وإذا سمعت لها وساوس ملوة      شفع الضمير إلى الفؤاد فلأيا  
 منعت تحيتها فقلت لصاحبي      ما كان أكثرها لنا وأقلبا  
 فدنا وقال لعليا ممدورة      من أجل رقيبها فقلت لعلبا

والخاصة الثانية : البيان بمناه اللغوي أي الظهور والوضوح ، فقد كانوا يكرهون  
 التعمق والتمتيد والتعمر ، ولا يتكفون الصنعة ، ولا يدورون ولا يلغون ،  
 بل يسلكون إلى المعنى أوضح السبل ، ويجعلونه بأظهر بيان ؛ وما ورد في شعرهم  
 من أحكام الصنعة فيقدر طبيعي وغير محتلب ولا مقتسر ولا مقصود ، وقد تفر  
 بالآيات من شعرهم ، فلا تكاد تجد نوعاً من أنواع الصنعة التي أغري بها  
 من جاء بعدهم من المحدثين . قال الفرزدق :

إذا مت فابكيني بما أنا أهله      فكل جميل قلت في يصدق  
 وكم قائل مات الفرزدق والندی      وقائلة مات الندى والفرزدق  
 وقال جرير وقد اشترى من آل زيد أمةً فأنكرت خشونة عيشه وكبر منه :  
 نكلتني مبعثة آل زيد      ومن لي بالمرقق<sup>(١)</sup> والعتاب  
 وقالت لا تضم كضم زيد      وما ضمي وليس معي شباي

(١) المرقق : الحزب المنبسط الرقيق . والعتاب : إدام يتخذ من الخردل والزبيب .



ومن خصائص شعراء ذلك العصر : الاستسلام الى العاطفة أو الشعور ، والاقتصاد في الخيال . والترجمة عن الشعور من أوضح عناصر الشعر العربي ، واشتقاق كلمة الشعر عند العرب دليل على ذلك لأنها مشتقة من الشعور ، وليست كذلك عند غيرهم . والعربي بفطرته سريع التأثر عصبي المزاج صرّيف الحس ، والشاعر عادة أرهف حساً وأعمق شعوراً ، ولقد قالوا : إنما سمي الشاعر شاعراً لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره . ولئن خص شعر الفرس مثلاً بسعة الخيال والإبداع . فلقد خص شعر العرب بصدق الشعور وعمقه وإرهاقه . ومقياس الإحسان عندهم قول الشاعر :

وإن أحسن بيتٍ أنت فائله بيتٌ يقال إذا أنشدته صدقا  
والصدق هنا هو صدق الشعور . فالشاعر العربي مستسلم الى شعوره مقتصد في خياله ، وليس هنا محل المفاضلة بين هاتين الزيتين - مزية الشعور ومزие الخيال - وإنما ملاك الأمر الإحسان في هذه أو تلك . وأي إحسان في تصوير الشعور فوق قول صاحب ليلى :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي ليلى بكل سبيل  
وقول الآخر :

أآخر شيء أنت في كل جمعة وأول شيء أنت عند هبوبي

\*\*\*

وما زرتكم عمداً ولكن ذا الهوى إلى حيث يهوي القلب تهوي به الرجل

\*\*\*

وقد كنت آتيكم بعلة غيركم فأفئيت علائي فكيف أقول

\*\*\*

بينما نحن بالبلاكث قالفا ع سراعاً والعيس تهوي هوبا

خطرت خطرة على القلب من ذكر - راك وهنا فما استطعت مضيا

قلت ليلى إذ دعاني لك الشوق وللخاديين رُداً المطيبا

\*\*\*

وليس في هذه الأمثلة إبداع في الخيال ، ولكن فيها عاطفة مشبوبة وشعوراً حاراً بتلظى وبكاد يحرق بعضه بعضاً .

ولقد خص الشعر العربي - والشعر في العصر الأموي يتخذ أصدق تمثيل - بالإيجاز ، ولحم في ذلك آيات ، ولعل عنايتهم بالإيجاز حالت بينهم وبين الإطالة في موضوع واحد ، فبرزت القصيدة الواحدة تتضمن عدة موضوعات ، وكانهم اجتزأوا بوحدة الوزن والقافية في القصيدة الواحدة عن وحدة الموضوع ، ولم يروا بأساً بتداعي الأفكار ، فكانت وحدة المعنى عندهم في البيت لا في القصيدة . ومن أيجازهم الحسن قول القطامي :

والناس من بلى خيراً قائلون له ما يشتهي ولأم الخطي الهبل

وقول جرير :

إنت الذي حرم المكارم تغلباً جعل الخلافة والنبوة فينا

وقول الآخر يصف سحياً :

« غادر داءً ونجا صحبها »

ومن خصائص الشعر في ذاك العصر : جزالة اللغة وحلاوتها ، فالشعر الأموي يحملته جزل نغم رصين ، يملأ ثم المنشد وسمع السامع ، ويندر فيه اللين المنفك كالذي أخذ على ابن قيس الرقيات وعمر بن أبي ربيعة والوليد بن يزيد في بعض شعرهم ، وكلهم حضريون غزلون بكثرون من معاشر النساء والإماء . وقد فرقوا كثيراً بين الجزالة الحلوة وبين الوعورة والتعمر ، ولم يفضب الفرزدق لما قيل عنه في شعره « بنحت من صخر » بل حمل ذلك على القوة والجزالة :

ترى الناس ما سرنا يسرون حولنا فإن نحن أومأنا إلى الناس وقتوا

من هذه العناصر الخمسة : « الطبع والبيان والشعور والإيجاز والجزالة »



يتألف منهم في الشعر ، وقد يكون بعض هذه العناصر أظهر من بعض في القصيدة ، والأبيات التي تجمعها كلها تبلغ الغاية ، قال ابن الدميني :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجدٍ      لقد زادني مسراك وجداً على وجدٍ

أأن هتفت ورقاء في رونق الضحى      على قننٍ غصّ النبات من الرند

بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن      جليداً وأبدت الذي لم تكن تبدي

اجتمعت في هذه الأبيات جميع ما ذكر من خصائص غنم ، فالطبع الشعري يتدفق تدفقاً وينسجم انسجاماً ، والبيان وضائاً وضائاً كفتق الصبح ، أما العاطفة فمشبوبة وثابة ، وأما الإيجاز فقد بلغ الغاية لما صور بيت واحد صورة بألوانها وظلالها تتحرك وتنطق ، جمع أروع ما في الطبيعة من مواكب الجمال في قوله « في رونق الضحى » وجعل هذه الورقاء تهتف في ذلك الرنق « على قننٍ غصّ النبات » ولماذا ؟ لأن الغصن الغض فضلاً عن حسن منظره يترنج إذا وقعت عليه الورقاء أو دارت أو اهتزت ، فيكون أجمل منظراً وأوفر حياة ، وجعله من الرند والرند أطيب أشجارهم . والجزالة الحلوة في هذه الأبيات يحسها السمع والدوق .

ومن الشواهد التي يتجلى فيها غنم الشعري قول نصيب :

كأن القلب ليلة قيل يغدى      بليلي العاصرية أو يراح

قطاة عنزها شرك فباتت      تجاذبه وقد علق الجناح

لما فرخان قد تركا بوكري      فمشما تصفقه الرياح

إذا سبما هبوب الريح نصاً      وقد أودى به القدر المتاح

فلا في الليل نالت ما ترجي      ولا في الصبح كان لها يراح

وقول عدي بن الرقاع في حماري وحش :

يتعاوراث من الغبار ملاءة      غبواء محكة هما نسجاها

تطوى إذا علوا مكاناً جلياً      وإذا السنايك أسهلت نشرها

وقول أعرابي :

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله غزالان مكحولان مؤتلفان -  
أرغتها خلاً فلم أستطعها ورمياً ففاتاني وقد رمياني

\* \* \*

وللدين والسياسة والفتوح آثار بينة في الشعر الأموي ، وربما كان أعظم  
أثر لنواحي الإسلام في الشعر ، خلوه من الخمر ووصفها ، بعد أن كان الجاهليون  
يتمدحون بشرها ، صار جرير يهجو الأخطل بتعاطيها .

ياذا القباوة إن بشراً قد قضى أن لا تجوز حكومة النشوان -  
والشعراء انزلون في ذلك العصر كعمر بن أبي ربيعة وذو الرمة وكثير غيره  
وجميل بثينة والعرجي وابن أبي عتيق لم يصفوا الخمر ، ولولا الأخطل - وهو غير  
مسلم - والوليد بن يزيد في آخر العصر الأموي لما كان للخمر ذكر في الشعر  
الأموي .

ونجد في الغزل - ولا سيما البدوي منه - عفة لم تكن معهودة من قبل :  
لولا الحياء وأن رأسي قد عا نبت المنيب لزوت أم القاسم -  
ونلني في بعض الأحيان تخرجاً أشبه بخرج الزهاد :

طرفتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجمي بسلام .  
ونرى في الغزل لوناً دينياً ترتاح إليه النفس :  
لقد بسمك لي غداة لقيتها نيا بأبي ذاك الغزال المبسم -

\* \* \*

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فعلت بناسك متعب -  
قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى عرضت له يباب المسجد  
ردي عليه صلاته وصيامه لا تنفضيه بحق دين محمد

\* \* \*



رمتي وستر الله بيني وبينها . ونحن بأكتاف الحجاز رميم  
فلو أنتي لما رمتي رمتها . ولكن عهدي بالنضال قديم

✱ ✱ ✱

بيض أوانس : ما هممن بريبة . كظباء مكة صيدهن حرام  
يحسن من لين الكلام روائيا . ويصدمن عن الخنا الإسلام  
ومن أثر الإسلام في الشعر الأموي ذكر الإيمان والني والملائكة وليلة القدر  
والقرآن وسوره :

بذكرني حتم والرمح شاجر . فهلاً تلا حتم قبل التقدم

وبالصلاة :

أصلي فما أدري إذا ما ذكرتها . أنتين صليت الضحى أم ثانيا  
والجنة والنار والثواب والعقاب والكفر والإلحاد والنفاق والتوبة وما الى ذلك  
من الألفاظ الإسلامية . وقصيدة الفرزدق في هجاء إبليس مقببة مما ورد  
عنه في القرآن .

وللسياسة أثر واضح في الشعر الأموي . كانت حزب بني أمية أعظم  
الأحزاب السياسية ، وهو الحزب الحاكم ، ويده السلطان والقوة ، وحزب  
بني هاشم الحزب المغلوب على أمره ، وحزب عبد الله بن الزبير ، ولم يدم طويلاً  
بل تشتت بمقتل ابن الزبير ، وحزب الخوارج ، وهو حزب المعارضة الناقم الثائر  
القوي الشكينة . ولكل من هذه الأحزاب شعراء ، وإن كانت حزب  
ابن الزبير أقل هذه الأحزاب عدد شعراء لأن رأسه لم يسط لم يده بالعطاء .  
وشعراء الحزب الأموي أكثر من شعراء جميع الأحزاب ، من أشهرهم  
كعب بن جميل ومسكين الدارمي والفرزدق وجريرو والأخطل وعدي بن الرقاع  
والنابغة الشيباني وغيرهم ، كانوا دعاة بني أمية يشيدون بأعمالهم وينوهون بآثرهم  
ويسفهون أحلام خصومهم ، ويرون أن العرب لا تصلح إلا عليهم :

ما تقموا من بني أمية إلا أنهم يخلعون إن غضبوا  
وأنهم سادة الملوك ولا تصلح إلا عليهم العرب

حتى إذا ضمهم الزمان قال أحد شعرائهم واسمه أبو عطاء السدي :  
 أليس الله يعلم أن قلبي يحب بني أمية ما استطاعا  
 وما بي أن يكونوا أهل عدل ولكنني رأيت الأمر خائفا  
 وشعراء الحزب الهاشمي يتميز شعرهم بنشيج الحزون وغيط الموتور وكمد المغلوب  
 وأسف المقهور ، وفيه شجوة ورقة وحنين وحزن وكآبة ، من أشهرهم أبو الأسود  
 الدؤلي والكميت بن زيد الأسدي .

وشعراء الخوارج فرسان أبطال ، وشعرهم شعر القوة والبطولة والایمان الثابت ،  
 يلحقون الموت وهو يفر منهم ، كانت إحدى نسايتهم ترتجز في الحرب وتقول :  
 أحمل رأساً قد شمت حملاً وقد شمت دهنه وغسله  
 هل من فتى يحمل عني ثقلاً

ويصف أحد شعرائهم صريعاً منهم بقوله :

يهوي وترفعه الرماح كأنه شلوة تنشب في مخالب ضاري  
 فتوى صريعاً والرماح تنوشه انت الشراة قصيرة الأعمار  
 وللفتوح أثر في الشعر الأموي ، وقد فتحت الأقطار المناخمة للجزيرة العربية  
 كالشام والعراق ومصر قبل الدولة الأموية فما قيل في تلك الفتوح لا يدخل  
 في بحثنا . وتم فتح ما وراء تلك الأقطار في الدولة الأموية ، والفتن في  
 الداخل لا تكاد تهدأ ، فكان هم الشعراء في هذه الفتن التي يشاهدونها صارفاً  
 لهم عن إعطاء الفتوح ما تستحق من العناية . على أن منهم من كانت يرافقه  
 بعض جيوش الفتوح ويتغنى بما يفتح الله عليها ويصنع لها ، مثل كعب الأشقر  
 الذي رافق المهلب بن أبي صفرة في حروبه . ومن أثر الفتوح قول كعب بن  
 جميل لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد :

أبوك الذي قاد الجيوش مغرباً إلى الروم لما أعطت الخرج فارس  
 وما يستوي الجيشان جيش خالد وجيش عليه في دمشق البراني  
 وقد مدح جرير مسلمة بن عبد الملك في غزواته في الروم .



وبعد أن فتح العرب الشام والعراق وفارس ومصر ورأوا مدنها الزاهرة بالحضارة والعمران ، وما أفاء الله على الفاتحين من غنائم على اختلاف الأنواع ، وزار الشعراء قصور الخلفاء في دمشق ، ظهر في بعض الحواضر شعراء صقلت الحضارة حواشي شعرهم ، وظهر عليه النعيم والترق ، ولا سيما مدن الحجاز ، والشعراء الغزلون في جواهر الحجاز أثر مما ذكر . وقد تدير فتاة عربية دمشق وأعجبها ما فيها من النعيم والرجود الحاش فقالت :

كهول دمشق وشبانها أحب إلي من الجالية

وقد ذكر الشعراء قصور الخلفاء والحدائق المحيطة بها ، وقصيدة النابغة الشيباني في وصف الجامع الأموي أثر للحضارة بين . وللفردق قصيدة غزلية يذكر فيها قصراً شاهقاً تدلى منه من علو ثمانين قامة ، كما يذكر حراس القصر ووصائفه .

وقبل أن أختم هذا البحث أريد أن أشير إلى شاعرين عجبيين بين شعراء العصر الأموي كل منهما أمة وحده ، تفردا بأشياء لم تجتمع لغيرهما . الأول : سابق قاضي الرقة لعمر بن عبد العزيز ، شعره كله مواعظ وحكم وزهد وتقوى وصلاح مستقاة من الدين ، يعظ وينذر ويخوف بالموت والحساب والعذاب في اليوم الآخر ، وكان عمر بن العزيز يحله ويؤثره . والثاني كعب ابن معدان الأشقر شاعر الفتوح بأسلوب قصصي دقيق متابع ، رافق المهلب ابن أبي صفرة في حروبه ، وكان يصور الوقائع تصويراً تاماً متتابعاً ، وقد أوفده المهلب إلى الحجاج فأنشده قصيدة وصف فيها يوم رام هرمز وأيام سابور وأيام جيرفت أولها :

يا حفص إني عداني عنكم السفر وقد سهرت قاذي عيني السهر

وهي طويلة جداً أشبه بملحمة ، وفيها وصف كامل تام متلاحق ، فاستحسنها

خليل مردم بك

الحجاج وقال له : إنك لمصنف .

## الحدس والفكر

من الألفاظ الفلسفية التي لا تخلو دلالتها من الالتباس والاشكال لفظا  
الحدس والفكر . فالحدس يدل في اللغة على معان كثيرة ، منها الظن  
والتخمين ، والنوم في المعاني والكلام والأمر ، والمضي في استقامة أو على  
طريقة مستمرة ، والنظر الخفي ، والضرب والذهاب في الأرض على غير هداية ،  
والرمي ، والسرعة في السير . أما الفكر فيدل على أعمال النظر في الشيء ،  
وعلى ما يخطر بالقلب من المعاني ، وعلى التأمل والروية . فلكل لفظ من هذين  
اللفظين إذن معان متقاربة تشترك كلها في اسم واحد اشتق منه العلماء اصطلاحاً  
فلسفياً واحداً ، فأخذوا اصطلاح الحدس من معنى السرعة في السير ، فقالوا :  
« الحدس هو سرعة انتقال الذهن من المبادي إلى المطالب » ( تعريفات الجرجاني )  
أو « هو تمثل المبادي المرتبة في النفس دفعة من غير قصد واختيار سواء كان  
بعد طلب أو لا فيحصل المطلوب » ( كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي ) .  
وبحدود معنى الفكر بقولهم هو الانتقال « من أمور حاضرة في الذهن متصورة  
أو مصدق بها تصديقاً عالياً أو ظنياً أو وضعاً وتسليماً إلى أمور غير حاضرة فيه » .  
( ابن سينا ، الاشارات ، ص : ٢ من طبعة ليدن ) .  
وتريد الآت أن نعرف هذين اللفظين بالاعتماد على النصوص الفلسفية  
المشتملة عليهما .

من هذه النصوص قول الفارابي في فصوص الحكم عند الكلام عن الرؤيا :  
« فربما ضبطت القوة الحافظة الرؤيا بحالها فلم تحتاج إلى عبارة ، وربما انتقلت



القوة التخيلية بحركاتها التشبيهية عن المألوف نفسه الى أمور تجانسه ، فحينئذ تحتاج الى التعبير . والتعبير هو حدس من المعبر يستخرج به الأصل من الفرع « (فصوص الحكم ، ص ٧٦) . فقله حدس من المعبر يدل على الظن والتخمين أو على النظر الخفي . وليس في هذا المعنى أي اصطلاح فلسفي جديد خرج به الفارابي على المؤلف من كلام العرب .

ومن هذه النصوص قول ابن سينا في كتاب النجاة ( ص ١٣٧ ) : « الحدس حركة إلى إصابة الحد الأوسط اذا وضع المطلوب ، أو إصابة الحد الأكبر إذا أصيب الأوسط ، وبالجمله سرعة الانتقال من معلوم الى مجهول ، كمن يرى تشكل استنارة القمر عند أحوال قربه وبعده عن الشمس ، فيحدس أنه يستنير من الشمس » . فهذا القول يدل على أن ابن سينا استعمال كلمة حدس للدلالة على معنى فلسفي جديد اقتبسه من كتاب البرهان لأرسطو . فقد جاء في ترجمة هذا المعنى الى العربية <sup>(١)</sup> بقلم بشر بن متى ما يلي : « وأما الذكاء فهو حسن حدس ما يكون في وقت واحد للبحث عن الأوساط » . وهذا كلام غامض يمكننا تصحيحه بالرجوع الى نص أرسطو فنقول : « الذكاء هو حسن حدس به يشكف الحد الأوسط في وقت واحد » ، وبعبارة أخرى هو إصابة الحد الأوسط في وقت واحد إصابة جيدة .

وبما جاء في كتاب النجاة ( ص ٤٧٢ - ٢٧٤ ) أيضاً :

« واعلم أن التعلم سواء حصل من غير التعلم ، أو حصل من نفس التعلم متفاوت . فان من المتعلمين من يكون أقرب الى التصور لأن استعداد الذي

(١) ترجمته الى العربية بقلم بشر بن متى كما هي محفوظة في مخطوط المكتبة الأهلية

رقم ٢٣٤٦ ورقة ٢٢٢ راجع أيضاً مجلة علم النفس مجلد ١ ، عدد ٣ ، مستخرج

فبراير ، كيف ترجم الاصطلاح intuition للأستاذ محمود الحفيري .

قبل الاستعداد الذي ذكرناه أقوى ، فان كان ذلك الانسان مستعداً للاستكمال فيما بينه وبين نفسه سمي هذا الاستعداد القوي حدساً - وهذا الاستعداد قد يستند في بعض الناس حتى لا يحتاج في أن يتصل بالعقل الفعّال الى كبير شيء ، والى تخرج وتعليم ، بل يكون شديد الاستعداد لذلك ، كأن الاستعداد الثاني حاصل له ، بل كأنه يعرف كل شيء من نفسه ، وهذه الدرجة أعلى درجات هذا الاستعداد . ويجب أن نسمى هذه الحال من العقل الهولاني عقلاً قديماً ، وهو من جنس العقل بالملكة ، إلا أنه رفيع جداً ليس مما يشترك فيه الناس كلهم ، ولا يبعد أن تنبض هذه الأفعال المنسوبة الى الروح القديمي لقوتها واستعلائها أيضاً على التخيّل أيضاً ، فتحاكيها : فتخيّل أيضاً بأمانة محسوسة ومسموعة من الكلام على التحوّل الذي سلفت الاشارة اليه . وما يحقق هذا ان من المعلوم الظاهر أن الامور المعقولة التي يتوصل الى اكتسابها إنما تكتسب بحصول الحد الأوسط في القياس - وهذا الحد الأوسط قد يحصل ضربين من الحصول فتارة يحصل بالحدس ، والحدس فعل للذهن يستنبط به بذاته الحد الأوسط والذكاء قوة الحدس ، وتارة يحصل بالتعليم ، ومبادئ التعليم الحدس ، فإن الأشياء تنتهي لا محالة الى حدوس استنبطها أرباب تلك الحدوس ثم أدّوها الى المتعلمين - فجائز أن يقع للانسان بنفسه الحدس ، وأن يستند في ذهنه القياس بلا . وهذا مما يتفاوت بالكم والكيف ، أما في الكم فلا أن بعض الناس يكوز أكثر عدد حدس للحدود الوسطى ، وأما في الكيف فلا أن بعض الناس أسرع زمان حدس - ولأن هذا التفاوت ليس منحصراً في حد ، بل يقبل الزيادة والنقصان دائماً ، وينتهي في طرف النقصان الى من لا حدس له البتة ، فيجب أن ينتهي أيضاً في طرف الزيادة الى من له حدس في كل المطلوبات أو أكثره أو الى من له حدس في أسرع وقت وأقصره ، فيمكن أن يكون شخص .



الناس مؤبد ! النفس بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية الى ان يشتعل حدساً ، أعني قبولاً لا لإلهام العقل الفعال في كل شيء ، فترسم فيه الصور التي في العقل الفعال من كل شيء ، إما دفعة وإما قريباً من دفعة ارتساماً لا تقليدياً بل بترتيب يشتمل على الحدود الوسطى ، فان التقليديات في الأمور التي انما نعرف بأسبابها ليست يقينية عقلية - وهذا ضرب من النبوة بل أعلى قوى النبوة ، والأولى أن تسمى هذه القوة قوة قدسية ، وهي أعلى مراتب القوى الانسانية » .

فهذا الكلام يدل على ان لا كتاب المعرفة في نظر ابن سينا طريقين مختلفين هما الحدس والتعلم .

١ - أما الحدس فهو جَوْدَةٌ حركية لقوة الفهم إلى انتناص الحد الأوسط من تلقاء تنسها ( الشفاء ، منطق ١ ) . أو هو تمثل الحد الأوسط وما يجري مجراه دفعة في النفس ، وبالجملة هو سرعة الانتقال من المعلوم إلى المجهول . وليس في قولنا : الحدس حركة ما يدل على أن هناك حركة حقيقية ، بل المقصود من الحركة ومن سرعة الانتقال عدم التدرج في الفعل . وهذا لا يعني أن حصول الحد الأوسط في الذهن غير محتاج الى زمان . فقد يكون هذا الزمان قصيراً جداً ، وقد يكون بعض الناس أبطأ زمان حدس من بعض ، ولكن هذا الزمان على قصره ، ضروري على كل حال لكل فعل من أفعال النفس ، ولولاد لأصبح العقل الانساني شبيهاً بالعقل الإلهي الذي تكون المقولات فيه حاضرة أبدأ بالفعل . فالحدس هو إذن انتقال عفوي من غير قصد واختيار ، وهو يحصل للإنسان دفعة في وقت واحد ، كأنه وحي مفاجيء ، أو وميض برق ، لا تدرج فيه ولا حركة .

ثم ان الناس متفاوتون في عدد الحدوس التي يعيونها ، فمنهم من تكون حدوسه كثيرة ، ومنهم من تكون حدوسه قليلة ، ولا حداً ولا نهاية لهذا

التفاوت بين الناس ، فقد ينتهي الحدس في طرف الزيادة الى من له حدس مربع في جميع المطالب أو أكثرها ، كما ينتهي في طرف النقصان الى من لا حدس له البتة . وفي ذلك يقول ابن سينا : « وكما انك تجد جانب النقصان منتهيًا الى عديم الحدس ، فأيقن ان الجانب الذي يلي الزيادة يمكن انتهاؤه الى غنى في أكثر أحواله عن التعليم والفكر » ( الاشارات ١٢٧ ) . وقد يكون شخص من الناس مؤيد النفس بشدة الصفاء حتى يشتعل حدسًا وقبولًا لالهام العقل الفعال ، فتشرق عليه الصور العقلية إما دفعة وإما قريبًا من دفعة ، إشراقًا لا يحتاج الى تعليم وتقليد ، ويصبح عقله مرآة صقيلة ، تعرف كل شيء من نفسها ، وتسمى هذه الحالة من العقل الانساني عقلاً قدسيًا . وهي ضرب من النبوة ، لا بل أعلى درجات النبوة ، حتى ان هذه الأفعال المنسوبة الى الروح القدسي كثيراً ما تفيض على التخييلة فتحاكيها التخييلة أيضاً بأمثلة حسية تجانسها كما يعبر النائم في نومه عن المراتب بصور تشبيهية أو رمزية .

٣ - وأما التعلم فهو أدنى مراتب الانسان في ادراك المعقولات ، لأن التعلم يكون في هذه الدرجة لا فكر له بنفسه ، بل إنما يفكر حين التعلم بمعونة المعلم ، ثم يرتقي بعد ذلك الى مرتبة أعلى فيدرك بعض الأشياء بفكره بلا معونة معلم ، ويتدرج في ذلك الى أن يصبح قادراً على تعلم كل شيء بنفسه ، ثم تظهر له بعض الأشياء بالحدس ، فيدركها دفعة بلا معلم ، ويزداد هذا الحدس عنده على التدرج حتى يتصور الأشياء كلها حدسية له . وهذه الدرجة الأخيرة هي مرتبة القوة القدسية التي أشرنا اليها سابقاً . ومعنى ذلك ان الانسان اذا بلغ هذه المرتبة استطاع أن يعلم بالحدس كل ما لم يكن حاصلًا له بالفكر . وهذا كله يدل على ان ادراكه الحقائق بالحدس أعلى مراتب القوى الانسانية . فالحدس أصل والتعليم فرع ، لأن الأشياء تنتهي الى حدوس استنبطها العلماء بأنفسهم ثم أدوها إلى المتعلمين .



ذلك هو الفرق بين الحدس والتعلم ، أما الفرق بين الحدس والفكر فهو ان الحد الأوسط اذا حصل في النفس بعد طلب كان حصوله بالفكر ، واذا حصل في النفس من غير اشتياق وحركة ، أو عقيب طلب وشوق من غير حركة كان حصوله بالحدس . والدليل على ذلك قول ابن سينا في الاشارات : « لعلك تشتعي الآن أن تعرف الفرق بين الفكرة والحدس ، فاسمع . أما الفكرة فهي حركة ما للنفس في المعاني مستمينةً بالتخيل في أكثر الأمور تطلب بها الحد الأوسط ، أو ما يجري مجراه مما يصار به الى علم المجهول حالة النقص استعراضاً للمخزون في الباطن أو ما يجري مجراه ، وربما تأدّت الى المطلوب ، وربما انبت . وأما الحدس فان يمثل الحد الأوسط في الذهن دفعة إما عقيب طلب وشوق من غير حركة ، وإما من غير اشتياق وحركة ، ويتخيل معه ما هو وسط له أو في حكمه » ( الاشارات ، ص ١٢٧ ) .

وما يزيد هذا المعنى وضوحاً ان المنطقيين يطلقون الفكر على ثلاثة معان ، ( راجع كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، كلمة فكر ) .  
المعنى الأول هو حركة النفس في المعقولات بواسطة القوة المتصرفة أي حركة كانت سواء كانت بطلب أو بغير طلب ، وسواء كانت من المطالب الى المبادي أو من المبادي الى المطالب . ان هذا المعنى الأول يشتمل على معنى الحركة ، وهو يخرج الحدس . لأن الحدس انما هو انتقال من المبادي الى المطالب دفعة لا تدريجياً . أما الفكر فهو حركة سواء كانت بطلب أو بغير طلب . والأولى أن يشترط في معنى الفكر التقصد لأن حركة النفس في المعقولات بلا اختيار كما في المنام لا نسي فكراً .

والمعنى الثاني للفكر هو حركة النفس في المعقولات مبتدئة من المطلوب المشعور به الى مبادئه المؤدية اليه ، الى أن تجدها وترتيبها ، فترجع منها الى

المطلوب . فالفكر بحسب هذا المعنى الثاني يشتمل على حركتين : الأولى من المطالب الى المبادي ، والثانية من المبادي الى المطالب . وهذا أيضاً يخرج الحدس ، لأن الحدس إنما هو انتقال من المبادي الى المطالب دفعة .

والمعنى الثالث للفكر هو انه الحركة الأولى من هاتين الحركتين ، أعني الحركة من المطالب الى المبادي ، من غير أن توجد الحركة الثانية معها . وهذا هو الفكر الذي يقابله الحدس تقابلاً يشبه تقابل الصعود والهبوط ، إذ الانتقال من المبادي الى المطالب دفعة يقابله عكسه الذي هو الانتقال من المطالب الى المبادي ، وإن كان تدريجياً .

والخلاصة ان الحدس يقابل الفكر بأي معنى من هذه المعاني الثلاثة ، لأن الفكر كما يقولون يشتمل على الحركة ، أما الحدس فلا حركة فيه البتة . ولكن الحدس والفكر يشتركان في أمر ، ويفترقان في آخر . أما الأمر الذي يشتركان فيه فهو ان كلاهما انتقال من المبادي الى المطالب ، وأما الأمر الذي يختلفان فيه فهو ان الفكر يضع المطلوب أولاً ثم يطلب الحد الأوسط ، فإذا وجدناه عاد منه الى المطلوب . ففيه إذن كما بينا حركتان إحداهما من المطالب الى المبادي ، والثانية من المبادي الى المطالب . أما الحدس فانه انتقال من الحد الأوسط الى المطلوب دفعة ، وليس فيه حركة البتة . وهذا الاختلاف في وجود الحركة وعدمها هو الفرق الأساسي بين الفكر والحدس .

ومهما يكن من أمر فإن للناس في الفكر والحدس ثلاث مراتب . فمنهم غبي لا يفيد الفكر علماً بالجهول أصلاً . ومنهم من له فطانة قليلة ويستمتع بالفكر ، ومنهم من هو أقوى من ذلك وله إصابة في المعقولات بالحدس . ( الاشارات ١٣٧ ) .

وإذا بني الحكم في القضايا على الحدس سميت هذه القضايا بالحدسيات . فان القضايا اليقينية كما يقول المنطقيون ستة أنواع .



النوع الأول قضايا يجزم بها العقل بمجرد تصور طرفيها سواء أكان تصورهما بالنكسب أم بالبدية ، أم كان تصور أحدهما بالنكسب والآخر بالبدية ، وتسمى هذه القضايا بالأولييات أو البدييات ، كقولنا الكل أعظم من الجزء ، والشيطان المساويان لشيء ثالث مساويان .

والثاني قضايا يجزم بها العقل لا بمجرد تصور طرفيها بل بواسطة مثل قولنا الأربعة زوج ، فان العقل يجزم بأن الأربعة زوج لا بمجرد تصور طرفي هذه القضية ، بل بواسطة تصورهما الدمن عند تصور الزوج والأربعة والانتقام بمساويين وتسمى هذه القضايا بالقضايا التي قياساتها معها .

والثالث قضايا يجزم العقل بها بواسطة الحس الظاهر كقولنا الشمس مضيئة ، والنار حارة ، أو بواسطة الحس الباطن مثل علمنا بأن لنا فرحاً وغضباً وخوفاً وتسمى هذه القضايا بالمشاهدات . فان الحاكم فيها هو العقل ، ولكن بواسطة الحس . والرابع قضايا يجزم بها العقل وحسن السمع معاً مثل أن يخبرك جمع من الناس عن محسوس خبراً يجزم العقل بامتناع توأطهم على الكذب فيه ، كعلمنا بالوقائع التاريخية الماضية أو البلاد النائية . وتسمى هذه القضايا بالتواترات . ومن شرطها أن يكون الخبر عن أمر محسوس ، لأن الخبر عن غير المحسوس لا يفيد الجزم . ومن شرطها أيضاً أن يكون هذا المحسوس ممكن الوقوع ، لأن ما يستحيل وقوعه لا يحصل الجزم بالخبر عنه .

والخامس قضايا يحكم بها العقل لمشاهدات متكررة مفيدة لليقين كالحكم بأن شرب بعض العلاجات سهل بسبب تكرار مشاهدتنا للإسهال عقيب شربه . وتسمى هذه القضايا بالمجربات .

والسادس قضايا يحكم بها العقل لحدس قوي في النفس مفيد للعلم كالحكم بأن نور القمر مستفاد من الشمس ، وتسمى هذه القضايا بالحدسيات . والفرق بين الحدسيات والمجربات ان التجربة تتوقف على فعل يفعله الانسان

حتى يحصل له المطلوب . فان الانسان ما لم يجرب الدواء ، إما بقناوله ، وإما بإعطائه غيره مرة بعد أخرى ، لا يمكنه الحكم عليه بكونه سهلاً ، بخلاف الحدسيات فانها لا تتوقف على ذلك .

وكذلك المشاهدات التي تتألف من قضايا يجزم بها العقل بواسطة الحس الظاهر أو الحس الباطن فانها لا تستند الى الحدس ، بل تستند الى الحس والوجدان ، وهي أولى بأن تسمى حسيات أو وجدانيات .

أما القضايا البقنية المؤلفة من التصورات البديهية وما يجري مجراها من القضايا التي قياساتها معها فانها لا تشمل على حدس ، بل هي قضايا « يوجبها العقل الصريح لذاته ولغريزته لا لسبب من الأسباب الخارجة عنه » .

وهذا كله يدل على أن الجزم في الحدسيات يستلزم وجود سبب خارجي يتوصل اليه الذهن بقوة قياسية فيه ، كالقوة التباسية التي تخالط التجربات . ولا شيء من ذلك في الأوليات ، لأن الذهن يتصورها ويتصور أجزائها من تلقاء نفسه لا لسبب خارج عنه . ولذلك كانت الحدسيات عند فلاسفة الاشراف مشتملة على التجربات والمتواترات معاً وهي كلها مبنية على مشاهدات وشهادات خارجية يحدس منها الانسان حدساً يفيده اليقين ، ولكن حدسياتك ليست حجة على غيرك الا اذا حصل له من الحدس ما حصل لك (الهروردي ، حكمة الاشراف ، طبعة طهران ١٩٥٣ مع مقدمة للموسيو كورين) .

\* \* \*

واذا انتقلنا الآن من المنطقي الى الالهيّات استطعنا أن ندل بالحدس على اتصال العقل الإنساني بالعقل النعّال ، أي على إدراك النفس الانسانية لما يفيض عليها واهب الصور من المعقولات . وهذا هو معنى الحدس عند فلاسفة الاشراف . فهو يدل عندهم على ارتقاء النفس الانسانية الى المبادئ العالية

حتى تصل الى الله وتصبح مرآة مجلوة تحاذي شطر الحق ، فتتلي من النور الإلهي الذي يغشاها دون أن تخل انحلالاً تاماً في منبع النور . والسبب في عجز بعض النفوس عن الارتقاء من نطاق الطبيعة الضيق ، الى فضاء العالم الواسع اشتغالها بتدبير البدن ، وانصرافها الى الخيال ، ولو تجردت من شواغل البدن ، ومعارضات الخيال لأدركت الحقيقة بمقتضى فطرتها الأصلية ، فهي لا تحتاج إذن الى الفكر الا لأجل هذه المعارضات وتلك الشواغل ، ولا ينكشف لها النور الإلهي ، إلا اذا ترصدت له بالحدس . هذا الذي أشار اليه الحديث الشريف بقوله : إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها .

قأنت ترى أن للحدس معنى منطقياً ومعنى فلسفياً . فالمعنى المنطقي الذي نجده عند ابن سينا قريب من الشعور الخاص الذي أشار اليه ( كلود برنار ) في كلامه عن تصور الفرضيات العلمية . فهو ينبجس في الذهن على سبيل الحزر كأنه وحي مفاجئ ، أو وميض برق . والمعنى الفلسفي قريب من المعنى الذي نجده عند ( ديكارت ) أو ( يرغسون ) لأنه يدل على إدراك الصور العقلية ادراكاً مباشراً كما يدل على اكتناه جواهر الأشياء اكتناءً حقيقياً .

ومن نظر في الألفاظ التي اقتبسها ابن سينا من سورة النور في كتاب الاشارات لشرح مراتب العقل في العرفان وجد فيها دليلاً على صدق ما نقول . فقد جاء في سورة النور : « الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري ، يوقد من شجرة مباركة زيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ، ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس » . أخذ ابن سينا بعض ألفاظ هذه السورة ، فشبّه العقل الهولاني بالكشكاة ، لأنه القوة الاستعدادية للنفس نحو المعقولات ، وشبه العقل بالملكة بالزجاجة ، لأن هذا العقل إنما يطلق على حصول المعقولات الأولى للنفس ، وعلى تهيئتها لا كتنساب المعقولات



الثواني ، وهذا الاكتساب يكون تارةً بالفكرة وهي الشجرة الزيتونة ، وتارةً بالحدس ، وهو الزيت . وإذا بلغ الحدس درجة عالية شريفة صار قوة قدسية يكاد زيتها يغني . ثم شبه العقل بالفعل بالمصباح لأن هذا العقل منير بذاته من غير احتياج الى نور جديد يكتسبه ، أما العقل المستفاد الذي تكون العقولات فيه حاضرة لا تغيب أبداً فهو نور على نور . وكذلك العقل النفعال الذي تنفيض عنه العقولات على النفس فهو النار ، وابن سينا يقول في ذلك :

انما النفس كالزجاجة والعالم سراج وحكمة الله زيت

فاذا أشرقت فإنك حي وإذا أظلمت فإنك ميت

ذلك هو معنى الحدس في الفلسفة العربية القديمة . وهو يختلف بعض الشيء عن المعنى الذي يدل عليه لفظ الحدس عند المحدثين ، فهو يدل على الحدس العقلي الذي أطلقه ديكارت على العلم بالحقائق البديهية كعلم الإنسان بالاوليات ، وعلمه بأنه موجود ، وأنه يفكر ، وأن المثلث محدود بثلاثة خطوط ، وأنه ليس للكرة إلا سطح واحد ، وما شابه ذلك من الأمور . وهو يدل أيضاً على اطلاع النفس دفعة على ما يتلوه لها الحس الظاهر أو الحس الباطن من صور حسية أو نفسية . وهو يدل أيضاً على كشف الذهن عن بعض الحقائق بوحى مفاجئ لا على سبيل التماس ولا على سبيل الاستقراء أو الاستنتاج ولكن على سبيل المشاهدة التي ينبثق فيها الحق انبلاجاً . وهو يدل أخيراً على الحدس الصوري أو الفلسفي الذي يطلقه (يرغسون) على نوع من التعاطف يتناوب بين الشيء ينتقلنا الى داخله ويطلعنا على ما فيه من حقيقة مفردة لا يمكن التعبير عنها بالألفاظ . والقاعدة التي اتبعناها في اطلاق اسم الحدس على هذه المعاني المختلفة في البحث عن لفظ قديم يقرب منها من المعاني الفلسفية الحديثة ، ثم تبديل هذا المعنى القديم قليلاً أو توسيعه بحيث يشمل جميع هذه المعاني . وليس في هذه القاعدة أي تعسف أو تحكم لأنه اذا كان معنى الحدس مختلفاً باختلاف الفلاسفة ،

فإن اختلاف معناه في الفلسفة الحديثة عن معناه في الفلسفة العربية القديمة لا يمنع إطلاق اللفظ نفسه على المعنيين ، ولا حاجة إلى البحث عن لفظ آخر كلفظ البداهة الذي اختاره أحد المترجمين المعاصرين للدلالة على الحدس الديكارتي ، لأن لفظ البداهة إنما يقابل لفظ ( Evidence ) لا لفظ ( Intuition ) ، ولا حاجة أيضاً لترجمة كلمة ( Intuition ) تارة بالاكتهاء وأخرى بالاستبصار لأن لكل لفظ من هذين اللفظين مدلولاً خاصاً يختلف عن مدلول الحدس . والذين ترجموا كلمة حدس إلى اللغات الأوروبية لم يسلموا من الخلط الذي وقع فيه بعض كتابنا المعاصرين عند ترجمتهم كلمة ( Intuition ) إلى اللغة العربية . فقد ترجم بعضهم كلمة حدس بكلمة ( Divination ) <sup>(١)</sup> تارة وبكلمة ( Subtilitas ) <sup>(٢)</sup> تارة أخرى . وهذا خطأ . كما أن بعضهم ترجم الحدس بـ ( Intuition Intellectuelle ) والملاحظات بـ ( Intuition sensible ) والحدسيات بـ ( Hypothèses ) أو بـ ( Evidences saisies par l'intuition intellectuelle ) <sup>(٣)</sup> ، وهذا أيضاً تنكب عن جادة الحق ، لأن قولنا ( Intuition intellectuelle ) يدل على الحدس العقلي لا على الحدس البسيط ، وقولنا ( Intuition sensible ) يدل على الحدس الحسي لا على الملاحظات ، وقولنا ( Hypothèses ) يدل على الفروض أو الفرضيات ، كما أن قولنا ( Evidences saisies par l'intuition intellectuelle ) يدل على البدييات المدركة بالحدس العقلي لا على الحدسيات . وربما كان الحق في ذلك أن نترجم اليوم

(١) Forget , in Rev. néo - Scol. 1894. p 29

(٢) An., V, 6, fo 26 , P. 1.1. 52, pour Chifa 1.360 - 361 Nadjat, 272 . 1.7

(٣) Goichon, Lexique de la langue philosophique d'Ibn Sina. art, Hads.

Introduction à Avicenne . Livre des Directives et Remarques (Kitab al-Isharat Wa-l-Tanbihat) - Traduction avec Introduction et notes.

كلمة حدس بـ ( Intuition ) وكلمة مشاهدات بـ ( Constataions ) أو بـ ( Jugements de faits ) ، وكلمة حدسيات بـ ( Jugements d'intuition ) .  
 فان المشاهدات قضايا يجزم العقل بها بواسطة الحس الظاهر أو الحس الباطن وكذلك الحدسيات فهي أيضاً قضايا يحكم بها العقل لحدس قوى في النفس .  
 واذا كان لا بد من استعمال كلمة ( Intuition sensible ) للدلالة على المشاهدات من حيث هي قضايا فان هذا يتلزم أن يضاف اليها كلمة ( Jugements ) فتصبح ترجمتها ( Jugements d'intuition sensible ) .

ومعها يكن من أمر فان الضبط العلمي كما قلنا في مقال سابق يتلزم تخير لفظ واحد للدلالة على المعنى الواحد ، ولا يكفي أن تتطور الألفاظ تطوراً عفويّاً حتى تصل الى هذا الضبط ، لأن التطور العفوي قد يؤدي الى الاحتفاظ بألفاظ كثيرة للدلالة على المعنى الواحد ، واذا أدّى الى اختصار لفظ على غيره لم يكن هذا اللفظ الفائز في المعركة أحسن الألفاظ دائماً . فلا بد إذن من توجيه هذا التطور حتى يبلغ غايته ، ولا بد أيضاً من تومئيع بعض الاصطلاحات القديمة حتى تشمل المعاني الحديثة .

جميل صليبا



## المسوغات العقلية للبلاغة

نريد في هذه التوطئة أن نرى ما بين البلاغة والأحكام العقلية من روابط ثابتة . والذي يحدونا الى ذلك ما نشعر به من إعراض أهل زماننا عن المحسنات اليبانية وحسانهم اياها من الطرائق الرجعية . ولعلهم معذورون في ذلك فان البلاغة منذ القرن الرابع الهجري تحولت عن منهجها الصحيح الى منهج الصناعة المتكلفة . فأصبح البديع غاية منشودة لذاتها وأخذ أرباب الأقلام يتبارون في هذه الصناعة ويبتذلون جهودهم في إتقانها والتوفر على غرائبها . وعلى ذلك جرى رواد النهضة اللغوية الحديثة في القرن الماضي مما أدى في هذا القرن الحاضر الى فعل انعكاسي هدفه هدم الزخارف البديعية والأخذ بأسباب السهولة الانشائية .

على أن هذا الفعل الانعكاسي لا يعني انهيار البلاغة والقضاء على محسنات الكلام . فالأسس البلاغية عامة في آداب الأمم تشترك فيها أكثر اللغات الراقية . بل هي متصلة بطبيعة النفس البشرية اتصالاً وثيقاً يحول دون تجريد الكلام منها . وقد أصاب ابن الأثير إذ قال <sup>(١)</sup> : « إن علم البيان ليس كالنحو أحكاماً نقبلها كما وضعت لتمييز الخطأ من الصواب ، « لأنه ( أي البيان ) استنبط بالنظر ، وقضية العقل من غير واضح اللغة ، ولم يفتقر فيه الى التوقيف ، بل أخذت ألفاظ ومعان على هيئة مخصوصة وحكم لها العقل بمزية من الحسن لا يشاركها فيها غيرها . فان كل عارف بأسرار الكلام من أي لغة كانت يعلم أن إخراج المعاني في ألفاظ رائعة حنة يلذها السمع ولا ينبو عنها الطبع

---

(١) للثلث السائر (جولان) ٤٤ .

خير من إخراجها في ألفاظ قبيحة مستكرهة . ولو أراد واضح اللفظ خلاف ذلك لما قلدها .

والبلاغة خصائص أهمها الوضوح أو جلاء المعنى ، و الابتناع أي حسن التناسب بين أجزاء الجملة ، و الإثارة أي المقدرة على إذكاء العواطف وتحريك القوى الخيالية والفكرية ، ثم الإيجاز أو الإيحاء إلى معان وراء المعاني القريبة .  
فلو تحريتنا هذه الخصائص وسواها من الناحية العقلية لرأيناها تتركز على الأسس التالية :

١ - أن العقل يضطرب أو 'يهيد' إذا عرضت عليه أوضاع مبهمة أو معقدة كأن 'تختلف القواعد أو توضع القيود في غير مواضعها أو يكثر تشجير العبارات وتدخلها بعضها في بعض وما إلى ذلك .

خذ ما يشغلون به من قول المتنبي :

وفاؤكم كالربيع أشجار طاسمه بأن تسعدا والدمع أشقاء ساجده  
أو قول أبي تمام في الخمر :

جهيمية الأوصاف إلا أنهم قد لقبوها جودس الأشياء

أو قول بعض المتكلمين في صفة الله تعالى :

« لا يقاس بالقياس ولا يدرك بالألماس »

ففي بيت المتنبي اضطراب في ترتيب الكلام . وفي بيت أبي تمام تعبئة وامتنهام لأن الوصف بالجهمية لا يدل على شيء يصح أن تشبه به الخمر أو تنسب إليه <sup>(١)</sup> .

وفي قول القائل « لا يدرك بالألماس » خروج عن القواعد لجمعه المصدر

لمس وإنما فعل ذلك ليصبح له السجع <sup>(٢)</sup> .

(٢) المناعتين للمصري ٢٥ .

(١) المناعتين للمصري ٢٥ .

٢ - ان العقل أسرع الى إدراك الخاص منه الى إدراك العام . فقلنا  
« أرض تفيض لنا وعسلاً » أوضح من قولنا أرض تفيض خيراً أو أرض  
كثيرة الخصب . وقولنا اشترك في حفر البئر أبادر كثيرة يصور لنا من حياة  
العمل ما لا يصوره قولنا عمال كثيرون .

على أنه اذا أردنا التعبير عن فكرة غير محدودة أو صورة غير معينة فاستعمال  
العام أولى من استعمال الخاص . فاذا وصفت مثلاً نزهة لك بين البساتين  
العطرة الأريج لا تختص فتقول ذهبنا الى البساتين لاستنشاق الورد أو القرتفل  
بل تعمم فتقول لاستنشاق الرياحين .

٣ - ان العقل أسرع الى إدراك النسبة بين متباينين . ففي قول الشاعر :  
فالوجه مثل الصبح مبيضٌ      والشعر مثل الليل مودٌ  
طباق بين البياض والسواد يجعل كلاً منهما أوضح للذهن . وذلك ما تراه  
أيضاً في :

الاستفهام اليباني : كقول الخطيب - « هل الحياة أفضل من أن تبذل  
في سبيل الحرية » ؟

وفي التهكم : كقول الشاعر بدم سيداً كان أسود الوجه مبيء الخلق وكان  
لشدة غروره بنفسه يقول اني خلقت من نار وخلق سائر البشر من طين .

ان قلت من نار خلقت      وقت كل الناس فيها  
قلنا أصبت فما الذي      أطفأك حتى صرت فخماً

٤ - ان العقل يرتاح الى لحظ النسبة بين الأشياء والنظائر . وعلى ذلك  
جمال الكلام المجازي والبديع اللفظي وهو باب واسع ومنعرج له بعد .

٥ - ان العقل يزداد تأثره واستمتاعه اذا شوق الى غرض ما . والمشروعات  
مختلفة منها تقديم القيود على المقيدات وتكريرها كقولك : م (٣)



« لا في هذا ولا ذاك بل في كذا وكذا تجد ما تريد » - أو قولك تصف شخصاً شريفاً - في الحرب وفي السلم . في البيت وفي الحياة العامة بلغ فلان غاية الشرف . ومن المشوقات ما تجده في القصة من عقدة خلابة يهفو الذهن الى حلها . وما يستعين به الخطيب أحياناً من أسئلة مثيرة تحول الذهن الى غرضه الخاص .

٦ - ان العقل ينجذب عادة الى غير المعتاد . وهذا هو أساس البلاغة في الالتفات والتعجب والاستفهام والاختصاص والتقصير وتقديم ما حقه التأخير أو تأخير ما حقه التقديم وما الى ذلك .

٧ - ان العقل يرتاح الى التنوع المعتدل في الفكر والأسلوب . أما في الفكر فيطلب تجنب الاطالة المملة في أي نوع من أنواع الكلام . فكم من كتاب أو رسالة تفقر النفس عند قراءته فيضيع تأثيره لإفراط الكاتب في وصف وإطالة في شرح وحمله الذهن على ونيرة بلازمها حتى درجة الإيثار . وأما في الأسلوب فيقتضي أن لا تعلق تعلقاً طويلاً بسجع أو توازن أو بديع لما في ذلك من إجهاد للقوى المتأثرة بضعفها وبالتالي يمنعها من التمتع بالكلام . على ان التنوع لا يعني الاستطراد والخروج عن الموضوع كما يفعل بعض الكتاب ، بل يعني عرض الفكر على طريقة الإيجاز في غير إخلال والإطناب في غير تطويل .

٨ - ان العقل ينتظر توالي المعاني توالياً منطقياً فهو لذلك يضطرب اذا خرجت عن ذلك لغير داع موجب . ومن الترتيب المنطقي ما يلي :

(١) الوضع المكاني حيث يحى . وصف الأماكن بطريقة منطقية لا تشويش فيها ولا اضطراب .

(٢) الوضع الزمني ويتناول ترتيب الحوادث وارتباطها حسب مقتضيات التاريخ .

(٣) الوضع السبي أي ارتباط السبب بالتسبب ووجود أحدهما عند وجود الآخر .  
وإذا نظرت في أوجه الكلام وجدت أن الانشاء الوصفي يرتب الكلام طبقاً للمنطق المكاني ، والانشاء الإخباري طبقاً للمنطق الزمني ، أما في البحث والتحليل والعرض فلا بد من اعتبار الروابط السببية والنظر في أوجه المشابهة والمضادة .

### المحسنات اليبانية ونسبها المنطقي

رأينا أن مقاييس البلاغة لم توضع اعتباطاً ولا توقيفاً بل ترجع إلى اعتبارات نفسية عامة . وقد اهتم علماء العربية قديماً بهذه المقاييس وتدارسوها في أقسامها الثلاثة المعاني والبيان والبديع واقتنوا الشعراء والمنشئون سيفي التأنيق بصورها .  
على أن العلماء مع توفرهم على درصها وشرحها لم يفتوا بتبويبها تبويباً منطقياً يسهل على الباحث فهم حقيقتها والرجوع إلى أصولها . وقد رأينا أن نقتراح هنا عرضها تحت الأبواب الرئيسية التالية :

باب التعادل : ويراد به تماثل الفقرات في الجمل وزناً وتركيباً وقد يسمى الازدواج وهو نوعان - عاطل ومقتنى - ويدخل تحت العاطل :

(١) التوازن : وهو أن يكون الكلام ذا فواصل متساوية الوزن كالآية « وآيتاهما الكتاب المستبين ، وهديناهما الصراط المستقيم » .

(٢) للمائلة : وهي أن تكون جميع الألفاظ في الفقرات متساوية الوزن نحو :

سهل خلأثقه ، صعب عرائكه . جم غرائب في الحكم والحكم

أما المقتنى فيدخل فيه ما يلي :

(١) السجع : وهو معروف ويقوم على تقيقه الفواصل .

(٢) التسميط : وهو أن يكون الكلام أربعة أجزاء ثلاثة منها على سجع

والرابع مختلف كهذا البيت .

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

٣ — الترسيع : أي مقابلة كل لفظة في العبارة بمثلا في الثانية وزناً وروياً ، نحو :

يطبع الأشجاع بجواهر نغظه ، وبقرع الأسماع بزواجر وعظه .

٤ — التزاوج : أي ازدواج الفواصل المسجعة نحو :

فاني مؤمل غمام غير جيا ، ومعمل حمام غير كهام .

وقس على هذه الأنواع سواها .

باب التواطؤ اللفظي : وهو أن تكون الألفاظ على جرس واحد أو من

أحرف متشابهة سواء اختلفت في المعنى أم لم تختلف . وتقوم بلاغتها على تنبيه

الذهن الى المعنى بمعارضة اللفظين المتجانسين وعلى ما فيها من حلاوة موسيقية

ناشئة عن تجانس الحروف ، تألفها .

ويدخل في هذا الباب ما يلي :

(١) الجناس : وهو أنواع كثيرة منها التام والمركب والملق والمذيل .

والمصحف والمقلوب والمخوف واللاحق والمطرف والتميم وغيرها ..

(٢) التورية : نحو قول الشاعر :

قالت وهبت لك السواك فقلت لا ولماك مالي حاجة بسواك

(٣) التصدير : أورد العجز على الصدر نحو :

فأجبتها انت النية منهل لا بد أن أستي بذاك المنهل

(٤) العكس : نحو :

فلولا دموعي كنت الهوى ولولا الهوى لم يكن لي دموع

(٥) الجمع مع التفريق : أي الجمع بين شيئين في حكم واحد ثم التفريق

بينهما في ذلك الحكم . نحو :

تشابه دمعانا غداة فراقنا مشابهة في قصة دون قصة

فوجنتها تكسو المدامع حمرة ودمي يكسو حمرة اللون وجنتي



(٦) المجاورة : تردد لفظين ووقوع كل منهما بجانب الآخر أو بقربه . نحو :

إنما يفتقر العظيم العظيم .

ونحو : « صدعوا صدور العوالي في صدور الكتاب »

(٧) الطي والنشر :

فلذا تروي وتروي ذا صدى وحديثاً عن فتاة أخي حي

ويجوز أن يلحق بهذا الباب لزوم ما لا يلزم وما إلى ذلك من أنواع التجانس

اللفظي ، ويراد بلزوم ما لا يلزم أن تأتي القافية على أكثر من روي واحد ،

وقد اشتهر بذلك المعري في ديوانه المعروف بالزوميات .

باب التواضع المعنوي : ويتناول ما كان فيه مشابهة بين شيئين ومن ذلك :

(١) التشبيه والتشليل والاستعارة وهي معروفة لا تحتاج إلى شرح بل عليها

يقوم علم اليات .

(٢) مراعاة النظر .

(٣) تجاهل العارف . كقول الشاعر :

سلاخية الوادي وما الظبي مثلها وإن كان مصقول اثرائب أكلا

أنت أمرت الصبيح أن يعدد الدجى وعاشت غصن البان أن يتجلا

وقول ابن الفارض :

أبرق سري من جانب الغور لامع أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع

باب المغايرة : وهي عكس المشابهة ويراد بها الجمع بين المتضادات أو أشباهها .

ويدخل فيه :

(١) المقابلة : أو التنظير بين ما يوافق وما يخالف كقولهم :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتماعاً وأنبج الكفر والإفلاس بالرجل

(٢) المطابقة : أي الجمع بين لفظين متضادين كقول المجتري :

ان أيامه من اليخش يخش ما رأيين للفارق السود سودا

(٣) الطرد والعكس :

مودته تدوم لكل هول . وهل كل مودته تدوم

(٤) التهمك : وهو ما كان ظاهره جداً وباطنه خفياً :

(٥) الاستفهام اليباني نحو :

أصلحة الفرد أفضل أم مصلحة الجمهور .

(٦) التعاير : أي مدح ما هو مذموم وذم ما هو مدوح لغرض . كقول

ابن الفارض :

يهوى لذكر اسمه من لج في عذلي سمعي وان كان عذلي فيه لم يلج .

(٧) السلب والایجاب : وهو أن تبني الكلام على نفي الشيء من جهة

وأثباته من جهة أخرى <sup>(١)</sup> كقولهم :

لا تعجب من الخطي كيف أخطأ بل اعجب من المصيب كيف أصاب .

وقد بدخل تحت هذا الباب المناقضة والاستدراك والاستثناء والمحاورة والترديد

وغير ذلك من هذه المقابلات .

باب الخروج عن المعتاد : وهو يشمل ما يلي :

(١) المجاز المرسل : أي تجسيم المجردات أو تفعيل ما لا يفعل مثل :

صررت على المروءة وهي تبكي . وقوله : حتى رجعت وأقلامي قوائلي :

فبكاء المروءة ونطق الأقلام أمر غير عادي .

(٢) التجريد : أن يخاطب الإنسان نفسه كأنها شيء مستقل عنه كقول المتنبي :

كنى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكن أمانياً

(٣) الالتفات : أو الانتقال المفاجئ من صيغة إلى صيغة أو من ضمير

إلى ضمير . نحو :

« قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد واتخ » وهو كثير في القرآن .

(٤) تقديم ما حقه التأخير وبالعكس تأخير المتقدم . نحو : « وربك فكبر » عظيمة هي أعمالك يا رب .

(٥) الغلو والمبالغة : نحو :

أضأت لهم أجسامهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه  
وقول ابن الفارض :

كهلال الشك لولا انه ان عيني عنه لم تتأي  
وبدخل في هذا الباب كثير من غرائب الصنعة البديعية كقصيدة الحريري التي مطلعها :

ياخاطب الدنيا الدنيئة إنها دار الردى وقرارة الأكار  
دار متى ما أضحككت في يومها أبكت غداً تباً لها من دار  
فهي من بحر الكامل ولكنك تستطيع أن تسقط منها الجزئين الأخيرين  
من كل بيت فيصبح من مجزوء الكامل وتتحول قانيتها الى حرف الدال . فتقول :  
ياخاطب الدنيا الدنية إنها دار الردى  
دار متى ما أضحككت في يومها أبكت غدا  
وقد لحظ ذلك بعض القدماء في بيتين للأخطل (١) :

وللبديعيين في مثل هذه الصنعة فنون شتى كلها من باب الخروج عن المعتاد  
ويقوم تأثيرها على ما فيها من غرابة معنوية أو لفظية .

(١) راجع طبقات الشعراء لابن سلام ( طبعة السادة مصر ) ١٦٨ واليتان ما :

ولقد علت اذا الريح تروحت هدى الرمال نكبتهن شمالا  
اما نسيلا بالمعيط لفيننا قبل الغيال وتقتل الابطالا



باب الإيحاء الى غرض : وما يدخل فيه :

(١) الكناية والاستخدام والتعريض : وهي معروفة لا تحتاج الى تبيان .

(٢) التوجيه : وهو أن يكون للكلام معنيان مختلفان يجوز اعتبار أحدهما :

كقول المتنبي لكافور :

ومالك تعنى بالأسنة والقنبا وجدك طعنا بغير منان  
فقد يحمل على أن حسن طالعك يفعل ما لا تفعله الأسنة وهو مدح ، أو أنك  
رجل محظوظ لست من أهل الشجاعة والإقدام وهو ذم .

(٣) الاكتفاء : وهو أن يكون الكلام منعلقاً بمحذوف مفهوم . كقول الشاعر :

لا يعلم الشوق إلا .. ولا الصبابة إلا .. - أي إلا من يكابد ذلك .  
وقول الآخر :

راموا فطامي عن هوى غديته طفلاً وكهلاً  
فوضعت طوقي في يدي وقلت خلّوني وإلا ...

(٤) الاتفاق : كقول ابن الساعاتي يصف افتتاح صلاح الدين ( واسمه يوسف )

الحسن اسمه « بيت يعقوب » في القدس :

« دعوا بيت يعقوب فقد جاء يوسف »

وهو يعني دعوا الحسن فقد جاء فاتحه ، وقد وافق ذلك كون النبي يوسف

هو ابن يعقوب فهو أولى بيته من سواء .

(٥) الاشارات اللغوية والعلمية : وهي باب واسع ومن أمثله :

يا ساكناً قلبي المعنى ولبس فيه سواك ثاني  
لأني معنى كسرت قلبي وما التقى فيه ساكنان

وقول أحد المحدثين :

ونحوية ساءلتها أعربي لنا حبيبي عليه الحب قد جار واعتدى

فقلت حبيبي مبتدا في كلامنا فقلت لما ضمتيه إن كان مبتدا

(٦) الادماج : وقد يسمى التعليق وهو أن يدمج الشاعر، أو الكاتب غرضاً له ضمن معنى آخر ليؤم السامع أنه لم يقصده وإنما عرض في كلامه تلميحاً للمعنى الرئيسي .  
كقول المتنبي :

أبي دهرنا إسماعنا في نفوسنا      وأسعنا فيمن نحب ونكرم  
فقلت له نعاك فيهم أتمها      ودع أمرنا ان المهم المقدم  
فهو أدمج شكواه في تهنة المدوح وقد تطف في الطلب مع صيانة النفس .  
والمدح هو المعنى الرئيسي والطلب هو المعنى الفرعي المدمج فيه .

(٧) التذييل : كقول النابغة :

ولت بمسئق أخاً لا تلمه      على شئت أي الرجال المذهب ؟  
والمعنى مستوفى قبل العبارة الاستفهامية ولكن الشاعر ذيله بالاستفهام ليزيد المقصد إيضاحاً .

(٨) التثيم : كآلية « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً »  
فقوله على حبه تثيم للمعنى يزيده قوة وتوكيداً .  
وقول زهير :

من يلق يوماً - على علاته - هرماً      يلق الساحة فيه والندى خلقاً  
فقوله على علاته تثيم وتوكيد لكرم المدوح .  
وقس على ما ذكرنا ما لم نذكر مما يحتوي معنى الإيحاء .

أنيس المقدسي

( بيروت )

# جولة لغوية في كتاب النبات

لأبي حنيفة الدينوري

— ٣ —

نمرذجات من نوارده ومراومه

( المييد ) « طعام لا يزيد عليه طعام يأكله الناس » كذا قال الأعرابي الذي احبب أي اتخذ من المييد - وهو حب الحنظل وبزوره - ذلك الطعام الشهي .  
ويحسن أولاً أن نصف للقاري نبات ( الحنظل ) وشيئاً من خبره وقيته في نظر أهل البوادي ملخصاً بما ذكره ( الدينوري ) في كتابه :  
تنسحق شجيرة ( الحنظل ) بأرشيتهما ( أي حبال غصونها ) على الأرض كالقشاة .  
لكن ثمرة الحنظل كروية مدورة كصغار البطيخ لا مستطيلة كشجرة القشاة .  
وكنا الثرتين تسمى ( جرو ) وتجمع على جراء . فإذا كبرت الحنظلة وسميت واخضرئت سميت حدة وتجمع على حُدَج . حتى إذا تقدمت نحو النضج وظهر فيها خطوط تمتد بين قطبيها صفراء إلى يابض وإذا ذاك تسمى خطبانة .  
وتجمع على خطبان . ثم تغلب على الخطبانة الصفرة وتعمها وهو نهاية نضجها . وتأخذ في اليبس . فيستوونها صرارة وصرابة وتجمع على صرراء وصررايات وتلوه الجواري البدويات بالصررايات فيتراشقن بها كما يتراشق نيات زماننا بكرات الثلج في مناطق الثلج بلبنان . قال شاعر العرب يعصف جماجم الأعداء المنائمة في ساحة معركة :

( كأن مفالق الهامات منهم صررايات تهدتها الجواري )



أي ترامت بها الجوّاري وتراشت . وسمى الشاعر الصّراية هدية تهكاً .  
ولشدة مرارة الخنظل لا يرعاه إلاّ النعام . قال الدينوري : ( وقد زعم بعض  
من قد سمع العلم أن الطباء ترعاه ولم أجد ذلك معروفاً ) حتى إن مشافر البعير  
لا تقوى على استساغة مرارته . وربما غلط به البعير فوقع في فيه في أضاف  
العشب فيمرض منه فيقولون : حَظِلَ البعير فهو بعيرٌ حَظِلٌ . بطرح الثوب .  
والخنظل إذا اصفرَّ ويبس وكان صرّاً كسروه واستخرجوا هيدّه أي حبه  
من جوفه . ويسمى هذا الكسر تقف واعتباد . ولا تسل عما يصيب ناقف  
الخنظل من احمرار العين وتهيجها حينما تصيبها مرارة الهيد قال اسرى القيس :  
( كآني غداة البين يوم تحمّلوا لدى سمّرات الحيّ ناقف خنظل )  
وهذا الهيد الذي يهتد من أجواف الصّراء تتخذ منه أعراب بوادي الجزيرة  
بعد تحلته طعاماً إذا صب في الجفنة فاخر به الأعرابي طعام الناس كافة فيرفع  
عقيرته ويصبح ( تعالوا فانظروا لا يزيدكم عليه طعام يأكله الناس ) ولا استخراج  
يزور الخنظل بالاعتباد طريقة صناعية شائعة وصفها لنا ( الدينوري ) وصفاً دلّ به  
على أن لعرب الجزيرة حذقاً بالأعمال الصناعية يخرجهم عن ( الاستفراد ) : فأننا  
نعهد فيهم هذا الاستفراد في معيشتهم وحياتهم البدوية أي إنهم يعيشون كما  
يعيش المستعمر الأوربي في مجاهل أفريقيا : فهو يهيئ كل حاجاته ونكاليه  
حياته بنفسه . وهكذا نعهد البدوي فهو يصطنع طعامه وشرابه ولبوسه وسائر  
مؤونة بيته إلا إذا كان قريباً من الخواصر فيطراً عليها . ويحلب من حاجاتها  
ما لا يقدر على تحضيره بنفسه . أما ما ذكره الدينوري عن تحضير الأعراب  
للحيد وطعامه فيفهم منه أنهم كانوا يعالجونه مجتنبين معالجة العمال لأعمالهم في  
الحضر لا مستقردين . ويجهزون منه كميات للتصدير الى الخارج لا مقادير قليلة  
على قدر طلب العائلة ومد حاجتها اليومية اليئسبة .

فالأعراب إذا رأوا الحنظل اصفرَّ وأصبح صرَّاءً وحان جنيه واهبتاده  
 جمعوا حياته تلالاً ، ويتمم العمال ويلتذون فضل عمائمهم على أنوفهم خشية أن  
 تدخل سيف أنوفهم مزارته ( راحته الحريفة فتهبج غياشهم وتدمع عيونهم )  
 ثم يجتمعون على تلك التلال بالعمد خبطاً خطاً حتى يشتحوه كله ( فيصبح  
 يزره وقشوره كحب الحنطة وتبنيها في اليادر ) قال : ثم يذرونها في مهب الريح  
 فيطير قشره كله ويبقى الحب . هذا الحب هو الهيد الذي يؤكل بعد معالجة  
 خاصة وصنع شاقة قال : فيحشون الهيد في أوعيتهم . ثم يحشون به الركبة  
 وهي البئر ويكفون قد حفروا هذه الركبة أي بجانبها زُبيرة أي حفرة  
 على عمق قاشين كهيئة الركبة ( وأصل اسم الزُبيرة للحفرة التي يحفرونها في  
 أعلى الراية فيقع فيها الأسد ومنه المثل : بلغ السيل الزبى ) ثم ثروا  
 ( في تلك الحفرة ) الفرائد<sup>(١)</sup> حتى تمتلئ .

والفرائد جمع فرند ( بكر فكرون فكسر ) وهي الأيزار كما في  
 اللسان . ومراده بالأيزار هنا حبوب الهيد التي تنثرت من الحنظل عند خبطها  
 بالعمد قال : وخذوا من ركبة الماء إلى الحفرة ( التي فيها الأيزار ) جدولاً  
 وخرقوا للحفرة التي فيها ( الأيزار ) جدولاً يذهب ثم في البرية ( يفعلون ذلك  
 ثلثا بغير الماء الأيزار تستنقع وتفند . فيم جعلوا للماء مسيلاً يخرج منه إلى  
 البرية بعد مروره على حبوب الهيد فتحلو رويداً رويداً من دون أن تفسد )  
 وأخذوا بالدلاء فيجرون في ذلك الجدول الذي يذهب إليه ( هذه العبارة غير  
 واضحة المراد ) قال فإذا امتلأ ( أي البئر الذي فيه حب الهيد ) بالماء جاء  
 رجل أو رجلان بمودين يسميان السطاعين كأنهما رحمان فجعلا يحركان أيزار

(١) في الأصل الفرائد بالهمزة . ولم نجد لها معنى هنا . فسحناها بالفرائد بالنون  
 ومنها ما ذكرنا . وقائنا أن نذكر هذا التصحيح في مقال التجميعات لأغلاط  
 كتاب النبات المنشورة في الجزء الماضي ص ٣٧٦ .

المهيد بذينك العودين ويسوطانها (أي يخلطانها بتقليبها من تحت الى فوق ومن فوق الى تحت) قال : ويخرج الماء في الجدول البرتي كأن ذلك الماء بول البغل . فهؤلاء يسقون وذاتك يسوطان والماء يخرج فيُسمسون من عثبتهم وقد اصفر الماء والقوم (العمال) دائبون يعملون الذي قلت لك : إن فتروا عنه وترك اللذان يسوطان سوطه وتقع فيه الماء علقتم (أي صارت فيه علقمة أي مرارة الحنظل) فلا يطيب أبداً . فان ثبتوا عليه (أي على السوط) ذلك اليوم واليلة المقبلة لم يفتروا عنه السقي (أي لم يجسوا الماء عنه) ساعة بعد ساعة . فلا يزالون على ذلك حتى يجعلوا يشربون من الزبية التي فيها الحنظل (يعني هيند الحنظل وبزره إذ أن في شربهم له دلالة على ذهاب علقته) فإذا كان كذلك أخرجوه يرفونه بالجفان والزبل (جمع زبيل وهو الزنبيل) حتى يستخرجوه كله . ثم يحشونه في أوعيتهم فيأتون به أهلهم (أي يرجعون اليهم من البرية حيث تكون معامل المهيد) ويأتي دور النساء للمساعدة في اصطناع المهيد وتقرب المرأة مرصعينا . والمرصع صلافة (أي صفيحة) عريضة من الحجارة . وفيقرأ (حجراً) مدورة تملأ الكف (هنا نحو ثلاثة أسطر قالها الراوي أبو زياد فيها عسلطة ونقص يتلخص منها أن المرأة تشدخ وترضخ المهيد بالنهر على الصلابة) فإذا رضخت من ذلك الذي تربد قل أو أكثر وضعته في الجفنة ثم عجنته عجناً جيداً كما يعجن العجين (ولا يغرب عن فكر القاري أن المقادير الكبيرة يأتي بها الرجال من المعمل ويوزعونها بالشراء حصصاً على البيوت فتعالج كل ربة بيت حصتها من المهيد فتعجنه) ثم ألزقه بجانب الجفنة ثم صب ماء ليس بكثير وتمرس عجنتها ونصب في مخللة عندها حتى لا يبقى في هيدها شيء ويخرج الماء أسود (مرارة الحنظل يضرب بشدتها المثل فالمرأة تعود فتصب الماء في المخللة على المهيد حتى لا يبقى فيه شيء من قشر ولا ماء أسود) فإذا أمسكت مخللاتها على قدح وخرج الماء أبيض خالصاً



نصبّت برمتها (قدرها) وصبّت فيها هذا الميّد (لطبخه) وأوقدت قليلاً قليلاً  
 فإذا غلا أحسّت له الرقود (أي أكثرت من الايقاد) فإذا دنا نضجه وخثر  
 (أي جمد بعد المبوغة) خرجت فيه أساريع من سم (أي بنفصل عن عجين  
 الميّد إذا نضج وجمد خطوط وطرائق برّاقة من دهن كالسمن) فتطعم منها  
 قدحاً حسناً تحضنه في عكّتها (أي إنها تستفيد من الدهن فتثله بقدح  
 وتدخره في عكّتها) و (الشكّة زقيق صغير للسمن) فإن كان عندها ثمر  
 ألقت في عجّين الميّد النضيج قَبَضَات منه حتى تملؤه الحمرة أو الشكّة (والشكّة  
 الشقرة بمعنى أن لون الثمر الأحمر بنفض على عجّين الميّد فيحمر أو يشقر)  
 ثم أفرغت في جفّتها . فتعال فانظر : لا يزيدك عليه طعام يأكله الناس .

(وبعد أن وصل الأعرابي في وصفه لطبيخ الميّد الى هذا الحد من ظهور  
 السمن فيه وخطه بالتمر حتى أكسبه لون الحمرة أو الشقرة وحتى جعله هذا  
 الوصف أو هذا المنظر المتخيّل يتلخّز ويسيل لعابه من الشهوة الى ذلك الطعام  
 الصحراوي اللذيذ - عندها رفع صوته قائلاً للقارئ فتعال وانظر اخ . وحج في  
 إعجابه بطعام قومه الى أن جعله أفضل طعام يأكله الناس ) .

وإن لم يكن عند المرأة الأعرابية ثمر جمعات على طبيخ الميّد قَبَضَات من دقيق  
 فهو صالح وليس مثل التمر . وإن لم يكن دقيق ولا ثمر فإن كان على الفسل الذي  
 قلت لك (أي فإن كان الميّد مغسولاً بالماء كما مر وصفه) رجّسوا فيه (لعل صوابه  
 طاب ورجنوا فيه : أي طاب لهم أكله ورجنوا فيه فلم يعافوه : رجن في الطعام إذا لم  
 يعمف منه شيئاً كما في اللسان) وإن لم يكن فيه ثمر ولا دقيق وكانوا ضعفوا  
 عنه عند الفسل الأول (أي لم يحكموا غسله) فبقيت فيه علقمة فأكلوه صرفاً  
 ليس معه شيء (أي من إدام كالخبز مثلاً) جعل يأخذهم منه دُوار (في رؤوسهم)  
 وصلاح القوم (أي أسهل بطونهم) ولكنهم صحت (انتهت قصة اصطناع  
 طعام الميّد الذي لا يزيد عليه طعام يأكله الناس في اعتقاد الأعراب .

( الرِّمَثُ في الأدب الجاهلي ) وللمَث ( وهو من الحمض أي النباتات ذات الملوحة ) مكانة في أدب العرب وله في مجالس أسماهم أخبار وملح يتطارحونها . وأوصاف تشبه الأحاجي يحمضون ويتسلثون بها . ولا جرم فإن الإبل نفسها تولع بالرمث فتحتمض به بعد أن تكون شبت من نبات الخلّة وملت حللوتة . ويعلم الرمث على وجه الأرض مثل قعدة الرجل . وقال آخر يرتفع دون القامة . قالوا : وربما خرج من الرمث عسل أبيض كأنه الجمان والأولؤ ! وهذه المادة الحلوة التي يفرزها الرمث يسونها المغافير وهي ذات حللوة شديدة . والمغافير ذكر في السنة النبوية وفي تفسير آية : ( وإذ أصرّ النبي إلى بعض أزواجه حديثاً ) .

وللرَّمْث حَطَب وقوده حارٌّ يستثنى بدخانته من الزكام . قال أعرابي وقد طاح ( أي ضل وتاه ) في بعض القُرى فمرض فدأله من بُيرِضه أيش تشتهي ؟ فأنشد :

( قال الأطباء ما يشفيك قلت لهم : دخان رِمَثٍ من التسرير يشفي )  
و ( التسرير ) اسم جبل ، وقد اعتاد الأعرابي شِم دُخان ومثله أيام صحته فهو يبتني أن يداوى بشمه لحين مرضه .  
قالوا وفي دخان الرمث عُبرة . ولذلك يشبه به لون الدُّب : من ذلك قول كعب بن زهير يصف ذئباً :

( كأن دخان الرمث خالط لونه )

وقيل لأعرابي : ما تقول في الرِمَث ؟ أي في طيب مرعاه للإبل فقال : ( لو خلقت الإبل من شجر خلقت من الرِمَث ) يريد أن من شدة ولعها بأكله تكاد أجسامها تتكون من الرمث لا من اللحم والدم . وأبلغ من ذلك ما روي أن ( الأحموس بن جعفر ) سيد بني عامر عمي في أخريات أيامه فكان بنوه يسوقون به . فوطئ بلداً ( أي أرضاً ) فسأل بفيه أي شيء ترتعي الإبل في

هذه الأرض ؟ قالوا الرمث فقال ( خلقت منه وخلق منها ) وليس أدلّ على ولع الإبل ووجدتها بالرمث من هذا التعبير .

وقال الأصمعي سأل رجل من أهل الحضر رجلاً من أهل البادية : هل عندكم ما يرعى ؟ يسأله الحضري عما إذا كان في أرضهم مرعى تحبه الإبل وتجيد به ؟ وكما أن أهل الحضر يتكلمون بعقلية أهل البادية كذلك هؤلاء فانهم يهزؤون بالحضارة وعقلية أهلها . وقد حانت لهذا البدوي المسؤول الفرصة فسلك في جوابه مسلك الإيماز والتعريض بعبارة الحضري . قال الأصمعي : فأجابه البدوي وهو يهزأ به : ( نعم عندنا مقل ، ومدي ، وباقل ، وحانط ، وثامر ، ووارس ) وبدبهي أن الحضري لم يفهم من هذا القول سوى أن مرعى أرض البدوي يشمل على كل هذه الأعشاب . وهو خلاف ما أراد البدوي من أنه لا يوجد مرعى في أرضهم إلا الرمث وحده الذي فيه غناء عن غيره .

فيكون بجوابه ألفز وعمى على الحضري وتهكم به . وتفسير ذلك أن الرمث إذا تفرط أي تشقت أغصانه بالنبات كانت أول ما يبدو منه هئات سود صغيرة تشبه القمل فيقال فيه أنه أقل فهو مقل . ثم تكبر هذه الهئات السود وتتلاصق إلى غبرة فتعود تشبه الدّابي أي حمار الجراد قبل أن يقوى على الطيران . فيقال أن الرمث قد أدبى فهو مدي . فإذا ظهرت الخضرة على تلك الهئات قيل له في طوره هذا إنه قد أبقل فهو باقل أي ذو خضرة كخضرة البقل ( يقال باقل ولا يقال مقل ) وهذا الطور هو أول الإبراق أي ظهور الورق على الأشجار . وإيقال الرمث وإبراقه إن كان حاصلًا عن مطر كان مرعاه أحيا للإبل وأنجح وإن كان الإبراق عن ( ترويح ) أي عن غير مطر وإنما عن رطوبة يرد الليل وحدها كان جودة مرعاه على قدره . ثم بعد الإيقال ينتقل الرمث إلى الطور الذي حان أن يبسط فيه أسكه من الثمر فيقال إن الرمث قد أحنط وهو حانط ( ولا تقل محنط ) قال ( والحانط من كل



شيء المدرك) ثم ينتقل الرمث إلى دور إعطاء الثمر واجتنائه . فيقال إنه قد أثر فهو ثامر أي ذو ثمر (ولا تقل 'مثر' وإنما اثمر الذي من شأنه أن يثمر لا ذو الثمر الذي عليه ثمره) وبعد أن يعطي الرمث ثمره وتنفعي وظيفته تأخذ أوراقه بالذبول ويظهر عليها اصفرار كصفرة الورد (الزعفران) فيقال له حيثئذ إنه قد أورس فهو وارس (ولا تقل مورس) : فأدوار الرمث (أو كل شجر سواء) ستة : إثمار ، إدباء ، إقبال ، إحناط ، إثمار ، إراس . وإذا وصفت قلت من الأولين على صيغة (مفعول) (مفعل - مبدى) ومن الأربعة الأخر على صيغة (فاعل) باقل ، حانط ، ثامر ، وارس . والوارس وصف للذي يصفر من الأشياء نباتاً كان أو غيره ، فإذا كان في بستانك تغيل أي ماء جار تحت أشجاره وكان في قعر الساقية حجارة تراكب عليها الطحالب وهو النبات المائي الأخضر الضارب إلى صفرة - تقول في وصف تلك الحجارة :

(حجارة 'تغيل' وارسات بطحالب)

وارسات أي ذات صفرة بسبب تراكم الطحالب عليها . هذه الحجارة التي قد أورست ألفت إليها نظر امرئ القيس منذ القديم فتسبه حوافر فرسه بها حين قال :

(ويخطو على صم صلاب كأنها حجارة 'تغيل' وارسات بطحالب)

وللاصمعي في طور (إحناط الرمث) وهو الدور الرابع قول لم تفهمه وهو (فإذا ابيض الرمث وأدرك قيل إنه حنط فهو حانط) فما معنى الايضاض في الرمث لحين إدراكه سوى البياض المعروف من الألوان ! وأيد أبو حنيفة قول الأصمعي بقوله بعده (ولا يبيض الرمث في الوقت الذي ذكر الاصمعي قال الراجز وهو (هميان بن قحافة) يصف نافته :

(ترعى من الصممان روضاً أرجاً والرمث بالصريمة الكناجفا)

(مثل الشيوخ أحرمت جواججاً) م (٤)

أقول : ( آرجاً ) أي ذو رائحة طيبة . و ( الصريمة ) الأرض ذات الرمل  
و ( الكُنْجَا ) صفة للرمل بمعنى أنه كثير أو بمعنى أن حبه مكثّر سمين .  
ثم شبه الشاعر الرمل ( الذي قالوا أنه يرتفع عن الأرض بقدر قعدة الرجل )  
بالشيوخ المحتاج المحرمين الذين تكون ثياب إحرامهم بيضاء . فهذا يؤيد  
قول الأصمعي بأن الرمل في طور إحناطه يبيض ولا يمكن أن تقول ابيضاضه  
ناشئ عن بيس عيّدانه فيكون لونها عند بيسها البياض لأن هذا الدور وصف  
بالإدراك . وإدراك الثمر أو الشجر لا يكون معه بيس . وقد يقال ان  
المراد بالبياض في قول الأصمعي البياض الضارب الى صفرة فسماء بياضاً وأراد  
الصفرة وربما أبدى ما قاله أبو حنيفة بعده ( وزعموا أن الرمل اذا انتهى منتهاه  
في الإدراك اصفر صفرة شديدة حتى إن قارقه ( أي قاربه ) إنسان اصفر  
نوبه : أخبرني بذلك بعض الأعراب .

المعربي

فهرست مؤلفات

## محيي الدين ابن عربي

( ٥٦٠ - ٦٣٨ هـ )

بقلم

عُني بتحقيقه

كوركيس عواد

- ٣ -

—

- ١٠٩ - وكتاب قد : وهو كتاب البقاء .
- ١١٠ - وكتاب عد : وهو كتاب القدرة .
- ١١١ - وكتاب يد : وهو كتاب الحكم والشرائع الصحيحة والسياسة .
- ١١٢ - وكتاب قه : وهو كتاب الغيب .
- ١١٣ - وكتاب غه : وهو كتاب مفاتيح الغيب <sup>(١)</sup> .
- ١١٤ - وكتاب قو : وهو كتاب الخزان العلمية .
- ١١٥ - وكتاب كا : وهو كتاب الرياح اللواقح وكتاب الريح العقيم .
- ١١٦ - وكتاب لا : وهو كتاب الكتب : القرآن والفرقات وأصناف الكتب كالسطور والمرقوم والحكيم والمبين والمحصى والمتشابه وغير ذلك .
- ١١٧ - وكتاب ما : وهو كتاب التدبير والتفضيل .

---

(١) طبع في القاهرة . ومنه نسخ خطية في : خزانة المزاوي بغداد - برلين ٢٩٦٢  
للتحف البريطاني ٨٨٦ (٢٢) باتنا ٢ : ٣٤٣ جون ريلندز ١٠٦ (٢٧) .

- ١١٨ - وكتاب نا : وهو كتاب اللذة والألم .
- ١١٩ - وكتاب سا : وهو كتاب الحق <sup>(١)</sup> .
- ١٢٠ - وكتاب عا : وهو كتاب الحمد .
- ١٢١ - وكتاب يا : وهو كتاب المؤمن والمسلم والمحسن .
- ١٢٢ - وكتاب صا : وهو كتاب القدر .
- ١٢٣ - وكتاب دا : وهو كتاب [١٣] الشأن <sup>(٢)</sup> .
- ١٢٤ - وكتاب شا : وهو كتاب الوجود .
- ١٢٥ - وكتاب تا : وهو كتاب التحويل .
- ١٢٦ - وكتاب ثا : وهو كتاب الخيرة .
- ١٢٧ - وكتاب خا : وهو كتاب الوحي .
- ١٢٨ - وكتاب ذا : وهو كتاب الانسان .
- ١٢٩ - وكتاب ضا : وهو كتاب التحليل والتركيب .
- ١٣٠ - وكتاب ظا : وهو كتاب المعارج والمعراج .
- ١٣١ - وكتاب كب : وهو كتاب الروائح والانساق .
- ١٣٢ - وكتاب اب : وهو كتاب الملك .
- ١٣٣ - وكتاب هب : وهو كتاب الأرواح .
- ١٣٤ - وكتاب نب : وهو كتاب الهياكل .
- ١٣٥ - وكتاب سب : وهو كتاب التحفة والطرفة .

(١) دار الكتب ١: ٣٠٢ و ٢٤٥ (٣ نسخ) برلين ٢٩٢٠-٢٩٢٢ للتحف البريطاني

٨٨٦ (١٦) باريس ٦٦٤٠ .

(٢) 'طبع بعنوان « أيام الشأن » في « مجموعة الرسائل » لابن عربي ( حيدرآباد

١٣٦٣ هـ ١٨ ص ) وهو سادس ما في المجموعة . ومنه نسخ خطية في : دار

الكتب ١: ٢٧١ و ٣٤٥ ( ٥ نسخ ) نجر الله ( استانبول ) ١٨٨٠ (٢)

عمومية ٢٧٥٠ تذكرة النوادر ٢٧١ برلين ٢٩٥٠ للكتب الهندي ٦٥٧ (٤)

جون ريلنندز ١٠٦ (٢) وقد عرف أيضا بكتاب السبعة .



- ١٣٦ - وكتاب عب : وهو كتاب الفرقة والخرقة <sup>(١)</sup> .
- ١٣٧ - وكتاب تب : وهو كتاب الاعراف .
- ١٣٨ - وكتاب صب : وهو كتاب زباد كبد التوت .
- ١٣٩ - وكتاب رب : وهو كتاب الاسفار عن نتائج الاسفار <sup>(٢)</sup> .
- ١٤٠ - وكتاب شب : وهو كتاب الأشجار المنفجرة والمتشققة والمأبظة .
- ١٤١ - وكتاب تمب : وهو كتاب الخيال .
- ١٤٢ - وكتاب تب : وهو كتاب الطير .
- ١٤٣ - وكتاب خب : وهو كتاب النمل .
- ١٤٤ - وكتاب ذب : وهو كتاب البروج .
- ١٤٥ - وكتاب فب : وهو كتاب الحشرات .
- ١٤٦ - وكتاب طب : وهو كتاب القسطاس .
- ١٤٧ - وكتاب ضج : وهو كتاب القلم .
- ١٤٨ - وكتاب كج : وهو كتاب اللوح .
- ١٤٩ - وكتاب طج : وهو كتاب العرش من مراتب الناس الى الكتيب .
- ١٥٠ - وكتاب زج : وهو كتاب الكرمي .
- ١٥١ - وكتاب لج : وهو كتاب الفلك وكتاب الفلك المشعون .
- ١٥٢ - وكتاب خج : وهو كتاب المباء .
- ١٥٣ - وكتاب نج : وهو كتاب الجسم .
- ١٥٤ - وكتاب ثج : وهو كتاب الزمان .
- ١٥٥ - وكتاب يج : وهو كتاب المكان .

(١) في خزانة المتحف العراقي ( الرقم ٢٠٦٣ ) : رسالة الخرقة . فتلها الكتاب المذكور أعلاه .

(٢) الأزهر ٣ : ٣٧٧ الخالدية بالقدس ( تصوف ٣٤ ) جون ويلندز ١٠٠٠ (١) ١٠٦ (٢) تذكرة النوادر ٣٦٠ .

- ١٥٦ - وكتاب شج : [١٤] وهو كتاب الحركة .
- ١٥٧ - وكتاب سج : وهو كتاب العالم .
- ١٥٨ - وكتاب شج : <sup>(١)</sup> وهو كتاب الآباء العلويات والأمهات السفليات والمولدات .
- ١٥٩ - وكتاب غج : وهو كتاب النجم والسحر .
- ١٦٠ - وكتاب رج : وهو كتاب بيجود القلب .
- ١٦١ - وكتاب فج : وهو كتاب الأسماء .
- ١٦٢ - وكتاب صح : وهو كتاب النحل .
- ١٦٣ - وكتاب كه : وهو كتاب الرسالة والنبوة والولاية والمعرفة .
- ١٦٤ - وكتاب ظذ : وهو كتاب الغايات <sup>(٢)</sup> .
- ١٦٥ - وكتاب لد : وهو كتاب التسعة عشر .
- ١٦٦ - وكتاب ضد : وهو كتاب النار .
- ١٦٧ - وكتاب مد : وهو كتاب الجنة .
- ١٦٨ - وكتاب ند : وهو كتاب الحضرة .
- ١٦٩ - وكتاب رد : وهو كتاب المشرق .
- ١٧٠ - وكتاب سد : وهو كتاب المناظرة بين الانسان والحيوان .
- ١٧١ - وكتاب شد : وهو كتاب المفاضلة .
- ١٧٢ - وكتاب عد : وهو كتاب الانسان الكامل والاسم الأعظم .
- ١٧٣ - وكتاب المبشرات من <sup>(٣)</sup> الأحلام فيما روي عن النبي ﷺ من الأخبار في التام .

(١) كذا بتسكرر ما ورد في مطلع الرقم ١٥٦ .

(٢) في خزانه برلين ( الرقم ٢٩٤٦ ) نسخة من كتاب « الغايات فيما ورد من الغيب في تفسير بعض الآيات » فلها هي للمذكورة أعلاه .

(٣) المخطوط : لا .

- ١٢٤ - وكتاب محاضرة الأيرار ومسامرة الأخبار<sup>(١)</sup> .  
 ١٢٥ - وكتاب الأولين .  
 ١٢٦ - وكتاب ترجمان الأشواق<sup>(٢)</sup> .  
 ١٢٧ - وكتاب العباد<sup>(٣)</sup> .  
 ١٢٨ - وكتاب تاج التراجم<sup>(٤)</sup> .  
 ١٢٩ - وكتاب ما لا يعرف إلا عليه في طريق الله .  
 ١٨٠ - وكتاب إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن<sup>(٥)</sup> .

(١) هو كتاب أدب ونوادر وأخبار، وورد عنوانه في بعض النسخ بصورة «محاضرات الأيرار ومسامرات الأخبار»، وقد طبع في القاهرة غير مرة . ومنه نسخ خطية في : مكتبة الامام الأعظم ببغداد ، دأمد اراميم ( استانبول ) ٩٥٩ للتحف البريطاني ( Suppl. ) ١١٤٢ برلين ٨٣٦٥ - ٨٣٦٨ لندن ٤٨٢ - ٤٨٤ أياصوفيا ( استانبول ) ٤٢٥٣ .

(٢) نشره للشرق نيكسن ، بترجمة انكليزية ، في لندن سنة ١٩١٠ ، متران : The Tarjuman al - Ashwak . A Collection of Mystical Odes. ( Oriental Translation Fund . New Series . No 20 . London 1911 : 155 p. ) .

ومنه نسخ خطية في : الأوقاف ببغداد ١٨٦ ، ٢١٦ ، ٣٩٠ ، ٩٧٩٨ - خزانة العزاوي ببغداد ، المدرسة الحسينية بالموصل ( مخطوطات الموصل من ١٢٣ الرقم ٣٩ ) . مدرسة عبد الرحمن جلبي الصائغ بالموصل ( مخطوطات الموصل من ١٥٢ الرقم ٢٢ ) . خزانة باش أتيان في البصرة . عاشر ( استانبول ) ٢ : ٢٨٢١ ، ثانيا ٢ : ٤٤٨ برندين ١٤٨ ، غوطا ٣٣٦٨ ، لندن ٦٩٨ برمنكهام ٦٨٤ جامعة بايل بأمركة ٨٦ ، للمهد اللاهوتي في هرتفرد ( أميركة ) ١١٥٧ . وترجمان الأشواق ترجمان وشروح ، بها شرح لدوايب يأتي في الرقم ١٨٤ ، وفي دار الكتب ٣٢١ : ١ شرح له . (٣) غوطا ٣ .

(٤) دار الكتب ١ : ٢٧٤ برلين ٢٠٦٦ غوطا ٨٨٨ (٢) للكتب الهندي ٦٥٧ (٦) . وفي دار الكتب ( ١ : ٣٤٧ ) : كشف تاج التراجم وإيضاح معناه من دائرة الجود والمراحم ، وهو شرح لتاج : تأليف نور الدين علي بن محمد بن أحمد الحجازي الشرقاوي . وفي تذكرة النوادر ( ٢٤٣ ) « التراجم » قلعه هـ .

(٥) في هامش المخطوط : « وهذا التنجيد ، رأينا منه المجلد الأول ، الى تلك الرسل من سورة البقرة » .

- ١٨١ - وكتاب المواقف وسعرفة المعارف : وهو كتاب كبير في نحو  
من المجلدات [ ١٥ ] ، وهو من أبداع المصنفات الذي لنا وأجمعها .
- ١٨٢ - وكتاب التجليات <sup>(١)</sup> .
- ١٨٣ - وكتاب شرح الأسماء <sup>(٢)</sup> .
- ١٨٤ - وكتاب الذخائر والأعلاق في شرح ترجمان الأشواق <sup>(٣)</sup> .
- ١٨٥ - وكتاب الوسائل في الأجوبة من عيون المسائل <sup>(٤)</sup> .
- ١٨٦ - وكتاب النكاح المطلق .
- ١٨٧ - وكتاب فصوص الحكم <sup>(٥)</sup> .

- (١) هو كتاب « التجليات الالهية » . ومنه نسخ في : الأزهر ٣ : ٥٤٨ ( ٥ نسخ )  
دار الكتب ١ : ٢٧٥ ( نسختان ) . الاسكندرية : تصوف ١٠ فاتح ٥٣٧٨ (٦)  
المجلس اللاهوتي ( طهران ) ٦٥٠ تذكرة النوادر ٣٠٩ غوطا ٨٨٦ للتحف البريطاني  
٨٨٦ (٢٧) جون ريلندز ١٠٥ (٤) .
- (٢) لعله « شرح أسماء الله الحسنى » . ومنه نسخة في الأوقاف ببغداد ٩٧٨٣ ونسختان  
في دار الكتب ١ : ٣٢٠ .
- (٣) « طبع بالطبعة الأنسية في بيروت سنة ١٣١٢ هـ . ومنه نسخة خطية في : دار الكتب  
١ : ٣٣٠ . فاس ( القرويين ١٤٤٦ (١) . كبرج ( Arberry ) ٢٥٣ .  
برمنسكهام ٦٨٤ و ٦٨٦ .
- (٤) ويُعرف بـ « وسائل للسائل » . ومنه نسخ في : دار الكتب ١ : ٣٧٥ ( نسختان )  
برلين ٢٩٦٥ فينة ١٩١٠ (٣) اسكوريال ٤١٧ (٢) .
- (٥) ألفه بدمشق سنة ٦٢٧ هـ . « طبع في الاستانة سنة ١٣٠٩ هـ . مع شروح الشيخ  
بالي زاده الماككي ، للثوثي سنة ٩٦٠ هـ . و« طبع في القاهرة مع شرحه لعبد الغني  
الناقلي وللملاّ جاي ، سنة ١٣٠٤ و ١٣٢٣ هـ . ومن النصوص نسخ خطية  
في : للتحف المراقي ٢١٨ . الأوقاف ببغداد ٦٤٦٠ ، ٩٥٣٩ ، ١٠٠٦١ ،  
خزانة المزاري ببغداد . جامع بكر افندي بالوصل ( مخطوطات للوصل ص ٧ :  
الرقم ٥٣ ) . الظاهرية ص ٤٩ . الأزهر ٣ : ٦١٢ ( نسختان ) . دار الكتب  
١ : ٣٣٨ ( ٧ نسخ ) الآصفية : تصوف ٢٥ ياتنا ١ : ١٣٩ يانكييور ٨٧٠  
٨٧١ ، ٨٧٢ الجوائز ٩١٠ (١) قوله ١ : ٢٥٠ برلين ٢٨٧٦ ، ٢٨٧٧  
كبرج ( Arberry ) ٢٧١ جون ريلندز ١٠٢ و ١٠٣ برمنسكهام ٦٥٦ - ٦٢٢ -



- ١٨٨ - وكتاب اللوائح في شرح النصائح .
- ١٨٩ - وكتاب نتائج الاذكار في المقربين والابرار .
- ١٩٠ - وكتاب اختصار سيرة النبي ﷺ .
- ١٩١ - وكتاب الأجوبة العربية من المسائل اليوسفة .
- ١٩٢ - وكتاب اللوامع والطوابع .
- ١٩٣ - وكتاب الحرف والمعنى .
- ١٩٤ - وكتاب الاسم والرسم .
- ١٩٥ - وكتاب الفصل والوصل .
- ١٩٦ - وكتاب الوجد .
- ١٩٧ - وكتاب الطالب والمجذوب .
- ١٩٨ - وكتاب الأدب .
- ١٩٩ - وكتاب الحال والمقام والوقت .
- ٢٠٠ - وكتاب الشريعة والحقيقة .
- ٢٠١ - وكتاب النحكيم والسطح .
- ٢٠٢ - وكتاب الحق المخلوق به : مستفاد من قوله تعالى : وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق <sup>(١)</sup> .
- ٢٠٣ - وكتاب الافراد وذوي الاعداد .
- ٢٠٤ - وكتاب الحكمة الالهية في معرفة الملامية <sup>(٢)</sup> .

— غوطا ٨٨٨ فيه ١٨٩٨ باريس ١٣٤٠ (١) للكتب الهندي ٦٤٥ - ٦٤٦ بدليان ١ : ١٧٠ .

ولفصوص الحكم ، شروح وتعليقات وترجمات كثيرة تاهزت الثلاثين كتاباً ، أشار اليها الحاج خليفة في كشف الظنون ، في كلامه على فصوص الحكم ، فليُرجع اليه .

(١) سورة الحجر ٨٤ .

(٢) لعله « الحكم الالهية » . ومن هذا نسخ في : الاسكندرية : تصوف ١٥ و ٤٢ .

دار الكتب ١ : ٢٩٠ - فنون ١٥١ (٤) .

- ٢٠٥ - [ وكتاب ] الخوف والرجاء .
- ٢٠٦ - وكتاب القبض والبسط .
- ٢٠٧ - وكتاب الحية والأنس .
- ٢٠٨ - وكتاب الثناتين الدنيوية والأخروية <sup>(١)</sup> .
- ٢٠٩ - وكتاب التواشي الليلة .
- ٢١٠ - وكتاب الفناء والبقاء .
- ٢١١ - وكتاب الغيبة والحضور .
- ٢١٢ - وكتاب الصعو والسكر .
- ٢١٣ - وكتاب القرب والبعد .
- ٢١٤ - وكتاب الخو والإثبات .
- ٢١٥ - وكتاب كشف [ ١٦ ] السرائر في موارد الخواطر .
- ٢١٦ - وكتاب الشاهد والمشهد <sup>(٢)</sup> .
- ٢١٧ - وكتاب الكشف <sup>(٣)</sup> .
- ٢١٨ - وكتاب الولد .
- ٢١٩ - وكتاب التجريد والتفريد .
- ٢٢٠ - وكتاب الغيرة والاجتهاد .
- ٢٢١ - وكتاب اللطائف والفوارث <sup>(٤)</sup> .
- ٢٢٢ - وكتاب الرياضة والتجالي .
- ٢٢٣ - وكتاب الحق والسحق .

(١) برلين ٢٩٦١ .

(٢) تذكرة النوادر ٣٥٥ .

(٣) في دار الكتب ( ١ : ٣٤٨ ) نسختان من « الكشف والتبيين » لابن عربي .

قلعها الكتاب للذكر أعلاه .

(٤) لل الأصل : الرواقت .

- ٢٢٤ - وكتاب التوراة <sup>(١)</sup> والمجوزم .
- ٢٢٥ - وكتاب التلوين والتمكين .
- ٢٢٦ - وكتاب الرغبة والرهبة .
- ٢٢٧ - وكتاب المكروم والاصطلام .
- ٢٢٨ - وكتاب اللمة والهمة .
- ٢٢٩ - وكتاب العربية والغربة .
- ٢٣٠ - وكتاب الفتوح والمطالعات .
- ٢٣١ - وكتاب الوقائع والصنائع .
- ٢٣٢ - وكتاب التدلي والتداني .
- ٢٣٣ - وكتاب الرجعة والخلصة .
- ٢٣٤ - وكتاب الستر والجلوة .
- ٢٣٥ - وكتاب النون في السر المكتوب .
- ٢٣٦ - وكتاب الختم والطبع .
- ٢٣٧ - وكتاب الجسم والجسد .
- ٢٣٨ - وكتاب الظلال والضياء .
- ٢٣٩ - وكتاب القشر واللب .
- ٢٤٠ - وكتاب الخصوص والعموم <sup>(٢)</sup> .
- ٢٤١ - وكتاب العبارة والإشارة .
- ٢٤٢ - وكتاب الحق والباطل .
- ٢٤٣ - وكتاب الملك والملوك .
- ٢٤٤ - وكتاب الحد والمطلع .

(١) لعل الأصل : للوارية ، بمعنى المداهاة والمخاتة .

(٢) المخطوط : والعلوم .

- ٢٤٥ - وكتاب الفرق بين الاسم والصفة . .
- ٢٤٦ - وكتاب السادن<sup>(١)</sup> والاقليد .
- ٢٤٧ - وكتاب النوم واليقظة .
- ٢٤٨ - وكتاب العبد والرب .

\* \* \*

وهذا آخر ما تبسر ذكره من أسماء الكتب التي لنا في هذه العجالة .  
وكان قد ذكر بعض المحبين لنا ، أنه قد ضبط لنا نحو أربعة آلاف مصنف  
وعدها بأسمائها . ولكن لعدم فروع البال ، والاشتغال بما هو أهم في الحال ،  
ذكرت منها [ ١٧ ] منها نحو مائتين وكسر ، بحسب التيسير من ذلك ،  
والله أعلم بما هنالك .

\* \* \*

تمت بعون الله وحسن توفيقه ، في غرة ذي الحجة سنة تسع وثمانين وستمائة .  
وكان الفراغ من تحرير هذه الرسالة ، في اليوم الثالث والعشرين من شعبان  
سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وألف من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة  
والسلام ، وعلى آله وصحبه على الدوام .

( يتبع )



# منازل القبائل العربية

مول دمشق

- ١ -

كان في الشام قبل الإسلام قبائل كثيرة من العرب المتحضرة وغير المتحضرة نزحت من شبه الجزيرة العربية ونزلت في بادية الشام بين الفرات ووادي العاصي ، وفي بعض المدن أو حولها . فاستقروا بها <sup>(١)</sup> وأوثق بعض هذه القبائل الحكم وكانوا سادة العرب فيها <sup>(٢)</sup> .

فمن هذه القبائل قضاة التي صارت الى ملوك الروم : وأوثقت تنوخ بن مالك الملك ، ودخلوا في دين النصرانية فملكهم ملك الروم على كمن يسلاد الشام من العرب <sup>(٣)</sup> .

ووردت سليح الشام فتغلبت على تنوخ . وملكها الروم على العرب <sup>(٤)</sup> .

---

(١) عن العرب في الشام قبل الاسلام انظر :

Dussaud, les Arabes en Syrie avant l'Islam, Paris 1927.

نولكه ، أسراء غسان ، بيروت ١٩٤٢ .

لامانس ، سورية في زمن الفتح العربي ، مجلة للشرق ١٩٣٢ .

(٢) يذكر نولكه أن العرب لم يكونوا في الشام ملوكاً ، وإنما أتى هذا الاسم

من السريان الذين كانوا يستولون أسراء العرب ملوكاً . أما الوثائق التي

تمثل لغة الحكومة الرسمية للشمعة حينذاك لم تكن تطلق على أسراء العرب ،

ومنهم الفئسة سوى لقب بطريق Patricius أو رئيس قبيلة Phylarch

نولكه ص ١٢ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، ليدل ١ : ٢٣٤ .

(٤) للمسودي ، سروج الذهب ، باريس ٣ : ٢١٦ .

ومن سليح الضجاعم<sup>(١)</sup> الذين حكموا في أواخر القرن الرابع للمسيح<sup>(٢)</sup> وكان منهم داود اللثقي الذي يُضاف إليه دير داود بالشام والذي ملك زماناً<sup>(٣)</sup> . وجاء بنو جفنة النسطانيون فأوتوا الحكم في الشام بعد أن انتصروا على الضجاعم<sup>(٤)</sup> وظلوا حكاماً حتى قيل الفتح سنة ٥٨٤ هـ حين حمل المنذر النسطاني أسيراً إلى عاصمة الروم فتصدّعت أحوال العرب في سورية وتفككت عرى وحدتهم حتى اختارت كل قبيلة منهم أميراً<sup>(٥)</sup> .

وهذه القبائل النازحة إلى الشام كانت تسمى «عرب الضاحية» وكانت الروم تستنفرهم قبيل الفتح على «عرب الجزيرة» . وتذكر المصادر من عرب الضاحية بهراء وسليح وكلب وتنوخ وطم وجذام وغسان وقضاة من يزيد بن حيدان<sup>(٦)</sup> . ونذكر إلى جانب هؤلاء تغلب بن ربيعة التي نزلت بأرض الجزيرة ، وهي ديار ربيعة ومضر<sup>(٧)</sup> ونزل السليمون من طيء يجاضرون من أعمال حلب وبقوا فيها<sup>(٨)</sup> .

## - ٢ -

فلما كان الفتح ، دفعت الجزيرة إلى الشام قبائل جديدة ، غير التي خرجت من قبل . ولدينا نص ذو شأن جمع فيه أسماء القبائل التي خرجت إلى الشام ، جاء فيه :

- (١) انظر عن الضجاعم نولكه ص ٦ . وابن دريد ، الاشتقاق ، لبسيع ، ص ٣١٩ .
- (٢) نولكه ص ٦ .
- (٣) ابن دريد : الاشتقاق ص ٣١٩ .
- (٤) البلقوني ، تاريخ ١ : ٢٣٥ .
- (٥) نولكه ، اسراء غسان ص ٣٤ .
- (٦) الطبري ، تاريخ ، لندن ، ٢٠٨٣/٤/١ . ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، المجمع المكي بدمشق ، ص ٤٠٣ ( مثلاً ) .
- (٧) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٩ .
- (٨) للمسودي ، التنيه والاشراف ، ص ٢٠٨ .

« وأما الذين خرجوا الى الشام في وقت الجاهلية فهم : كلب ، وسليح ، وتنوخ ،  
ومسحجة ، والقين ، وبهراء ، وعذرة ، وجرم ، وجهينة ، وبلي أيضا . وهم  
من قضاة من ذرية حمير .

« وأما نهم وجذام وغسان والأزد ، فهم من ذرية كهلان .  
وخرج طوائف كثيرة من اليمن من آل ذي السكلاع الحميري وآل ذي صبح ،  
وآل ذي رعين ، وآل ذي ظلم ، ويحصب ، وحضرموت ، وآل ذي الثمين ،  
وكندة ، والسكاسك ، والسكون ، ومذحج ، ومحمدان ، وبجيلة ، وطوائف  
الأزد من غسان وبارق وغيرهم .

« فهؤلاء الذين افتتحوا الشام وصارت إقامتهم فيه الى الآن »<sup>(١)</sup> .  
وتفرقت هذه القبائل في سورية . ففي حوران ومدينتها بصرى نزل قوم  
من قيس من بني مرّة ، خلا السويداء فإن قوماً من كلب سكنوا بها .  
وفي البثينة ، ومدينتها اذرعاء نزل قوم من اليمن . وفي الجولان ، ومدينتها  
بانياس ، نزل قوم من قيس أكثرهم بنو مرّة . وكان بها نفر من اليمن .  
وفي جبل سنبر نزل بنو ضبة وقوم من كلب<sup>(٢)</sup> وبالفلجة ، من أرض دمشق ،  
نزل بيت من بني الحارث بن كعب<sup>(٣)</sup> وفي الشمال بقي التنوخيون في قنسرين<sup>(٤)</sup>  
وكذلك كان السليونيون من طي<sup>(٥)</sup> .

وكانت ديار غسان تبدأ اذا جزت جبل عامله تربد قصد دمشق وحمص  
وما يليها<sup>(٦)</sup> .

(١) نشر المحاسن البانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية ، ( مخطوط في الظاهرية

٨٢٩ تاريخ ) لأحد أفاضل وصاب م ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) اليعقوبي ، كتاب البلدان ، بريل ، ١١٣ - ١١٤ .

(٣) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، لندن ، م ١٣٠ .

(٤) ابن المديم ، زبدة الحلب ، دمشق ، ١ : ٣٠ .

(٥) ابن حوقل ، صورة الأرض ، م ١٣ .

(٦) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، م ١٣٢ .

أما دمشق فكانت منازل ملوك غسان . فغلب عليها أهل اليمن وقوم من قيس ، وكان في القروطة غسان وبطون من قيس وقوم من ربيعة<sup>(١)</sup> ، ومن كلب عامر بن الحصين بن عليم<sup>(٢)</sup> .

وإذن فقد غلب على دمشق قيس واليمن . فلنر أين نزلت هذه القبائل وبطونها في دمشق وفي قرى القروطة .

\* \* \*

— ٣ —

كانت منازل القبائل ظاهراً في البلد لا داخله<sup>(٣)</sup> فقد كانت الأرباض أكثر سعة وأقرب إلى الصحراء والبادية . ولعل دور المدينة نفسها لم تكن كافية يومئذ لسكنى الفاتحين جميعاً . فنزلت القبائل في القروطة وحول سور دمشق ، لأن فيها منفراً لهم ولمواشيهم .

إن بعض الأماكن التي نزلت بها بطون قيس واليمن قد اتخذت أسماء النازلين بها . وبقيت هذه الأسماء إلى أيام مؤرخ دمشق ابن عساكر . ففي الفصل الذي عقده هذا المؤرخ عن البنيان خارج السور نجد بذكر ما يلي : « وفي الشام : سطر ، والفراديس ، والأوزاع ، والصدف ، ومقرى ، ومرج شعبات .

« ومن الغرب : لؤلؤة الكبيرة ، ولؤلؤة الصغيرة ، وقينية ، وصنعاء ، والحيرين ، ومنازل بني رعين .

« ومن القبلة الراحب ، ومحلة السفلين ، والقطائع ، وفندق بني عبد المطلب<sup>(٤)</sup> .

(١) اليعقوبي ، كتاب البلدان ، لندن ، ص ١١٣ .

(٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، لندن ، ص ١٢٩ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق ، المجلد الثانية ، القسم الأول ( تحتبنا ) ص ١٤٣ .

(٤) للمصدر السابق ١٤٣ - ١٤٤ .



هذا ما ذكره ابن عساكر من الأسماء في شمال المدينة وعمرها وجنوبها .  
وسنذكر ما كان في الشرق بعد .

لنفصل الآن ما أجمله ابن عساكر .

ففي الشمال كانت مطرا . ولم أجده قبيلة أو بطناً بهذا الاسم . ولم يزد  
القاموس على ضبطها بوزن مكري وقال إنها قرية بدمشق . وفي كتاب وقف  
ابن المنجا الحنبلي ذكر لها . فقد سماها « مطرا العرب »<sup>(١)</sup> . وهذه الإضافة  
تدل على أن قبائل من العرب كانت تسكن بها ، ولم أعثر على نص فيه اسم  
هذه القبائل التي سكنت مطرا . وموقع مطرا اليوم شمال مسجد القصب  
غرب القصاع ، وحوالي العنابة<sup>(٢)</sup> .

أما الأوزاع فقرية كانت على طريق مقابر الفراديس . وقام مقامها في القرن  
السادس الهجري حي العتية . وسميت أوزاعاً لتوّل الأوزاع بها . والأوزاع  
بطن من حمير ، وقيل من همدان باسكان اليم . وكانت من قرى البهانية<sup>(٣)</sup> .

أما العُدْف (مثل كتيف) فقرية كانت غرب مقبرة الفراديس (الدحداح  
اليوم) نزل بها بطن من بطون الأشرس من كندة ، وهي من كهلان<sup>(٤)</sup>

فسميت بهم .

وكانت مقرى قرية شرقي طاحون الاثنان . وما تزال الى هذا اليوم  
هناك طاحون تسمى طاحون مقرى . وقد نزل بها بطن من حمير من القحطانية  
فسميت به<sup>(٥)</sup> .

(١) كتاب وقف القاضي ابن المنجا الحنبلي ، (تحقيقنا) ص ١٨ .

(٢) انظر مخطط الصالحية لدمان .

(٣) معجم البلدان ١ : ٤٠٤ . مهذب ابن عساكر ٧ : ١٨٢ .

(٤) طرقة الاصحاب ص ١١ .

(٥) معجم البلدان ٤ : ٤٣٧ . طرقة الاصحاب ص ١٣ . ومخطط الصالحية لدمان .

وكانت شعبان قرية عند عين الكرش ممتدة نحو صفح قاصيون ، الى الشمال .  
 وشعبان بطن من ممدان من القحطانية أو من حمير <sup>(١)</sup> نسبت القرية اليه .  
 ونزل الأشعريون ، وهم من كهلان من القحطانية <sup>(٢)</sup> في مرج سمى مرج  
 الأشعريين . وكانت غرب باب الحديد الذي للقلعة ، أي محل السجقدار  
 اليوم حتى المرجة ودار البلدية وما يليها غرباً .  
 أما ما كان في الغرب من البنيان فاللؤلؤتان <sup>(٣)</sup> ولم أجد اسم البطون التي  
 نزلتها من الجاية .

أما قينة فنزل بها أناس من القين . نسبت اليهم . والقين بطن من  
 قضاة من القحطانية <sup>(٤)</sup> . وكانت خارج باب الجاية بجوار الخللخال ( انظر  
 دور القرآن بدمشق لنا ص ٤٧ ) .

ونزل الجاية بين المزة ودمشق بمحاذاة تل الثعالب ، في قرية سموها « صنعا »  
 باسم عاصمة قطرهم اليمن . ومكان صنعا اليوم الجامعة السورية أي الشكنة  
 الحبيدة . وكانت منزعرة وبساتين أيام ياقوت <sup>(٥)</sup> .

ونزل قوم من حمير في قرية نسبت اليهم فسميت الحميريون . وذكر ياقوت

(١) نهاية الأرب ٢ : ٢٩٤ .

(٢) الاشتقاق ص ٢٤٨ . وانظر مخطط دمشق القديمة ، للتحق بالقسم الأول  
 من المجلد الثانية من تاريخ ابن عساكر .

(٣) نلرجح ان مكان اللؤلؤتين اليوم شارع النصر وما يليه الى الجنوب حتى  
 باب الجاية . ويذكر ياقوت أن اللؤلؤة الكبيرة كانت خارج باب الجاية ٣٧١ : ٤ .  
 ويضم من نصيب وردت عند القلاني أن قينة ولؤلؤة والقنوات وباب الجاية  
 كانت أراض يحدو بعضها بعضاً . ( القلاني ص ٦٠٠ ) .

(٤) طرقة الأصحاب ص ٥٦ .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ٣ : ٤٣٦ .

انها على القنوت<sup>(١)</sup> ، وهي اليوم عند حي الشويكة ، وهناك مقبرة ما تزال الى  
أبنا نسي الحربية هي بقايا مقبرة تلك القرية التي دثرت .  
أما منازل بني رعين فكانت ، على ما أرجح ، قرب المزة غربي صنعاء .  
ورعين بطن من حمير<sup>(٢)</sup> .

وأما المزة فكان فيها منازل كلب ونسبت اليهم فسميت مزة كلب<sup>(٣)</sup> .  
ونأتي الآن الى الجنوب . نجد من أسماء القبائل بني عبد المطلب والراغب  
والسفليين والقطائع .

فبني عبد المطلب بن هاشم ثم من العدنانية<sup>(٤)</sup> وكانت منازلهم تقريباً عند  
المصلّى ، في طرف مقبرة باب الصغير الى الجنوب .  
والراغب ثم الخزرج بن جدّة من القحطانية<sup>(٥)</sup> وكانت منازلهم جنوب  
المصلّى وميدان الحصا .

والسفليون قرية لعلها تكون منسوبة الى سفلى يحصب ، وسفلى يحصب وعلو  
يحصب بخلافان باليمن<sup>(٦)</sup> وكان مكانهما عند المسجد الجديد ، جنوب ميدان الحصا .  
والقطائع جمع قطيعة ، وهم بطن من بني زيد بن مذحج من القحطانية<sup>(٧)</sup>  
نزلوا جنوب الشاغور فسميت باسمهم<sup>(٨)</sup> .

(١) معجم البلدان ٢ : ٢ ٣ .

(٢) معجم القبائل ٢ : ١٣٨ .

(٣) معجم البلدان ٤ : ٥٢٢ .

(٤) نهاية الأرب ٢ : ٣٦٠ .

(٥) العقد الفريد ٢ : ٧٢ .

(٦) معجم البلدان ٣ : ٩٨ .

(٧) معجم القبائل ٣ : ٩١١ .

(٨) يعتقد الأستاذ دهان أن مسجد القوم يفسر الى قبيلة القوم ، لا الى ما تزعمه  
المامة أنه قدم الرسول . وان دير مرّاق يفسر الى قبيلة مرّاق ، لا كما زعم  
الباحثون انه ثنية مرّ . وفي هاتين الملاحظتين كثير من التصواب ، والقبول . سران  
قيلتان من اليمن ، يبدو أنهما نزلتا في هذين للمكانين من أراض دمشق  
فلسبا اليها .

وقد كان في شرق المدينة بيت لها . وتزل بها السكاسك من ولد  
السكك بن أشرس<sup>(١)</sup> ومما من اليمن . وكانت في القرن الثاني من أحسن  
القرى وأكثرها قصوراً<sup>(٢)</sup> .

فيتضح لنا أن القرى القريبة من دمشق المحيطة بسورها كانت مسكونة  
بقبائل من اليمن ما خلا بني عبد المطلب ، وإن هذه القبائل كانت تحيط  
بالمدينة إحاطة تامة .

### — ٤ —

أما الغوطة فقد كانت فيها غتان ، وبطون من قيس وقوم من ربيعة<sup>(٣)</sup>  
ولكن الكثرة كانت من اليمن .

لنر الآن القرى البمانية والقرى الأخرى غير البمانية . فقد يصعب ذكر  
البطن الذي سكن كل قرية ، وسنتمسك على نص ورد في ابن عساكر في  
ترجمة أبي الهيثم الذي كان في القرن الثاني :

كانت داريا أعظم القرى البمانية في الغوطة<sup>(٤)</sup> ، وقد نزل بها عيسى  
وخولان<sup>(٥)</sup> وفرد من رجب<sup>(٦)</sup> وكان من قراهم : أروونا ، والأوصاب ، وبيت أبيات ،  
وبيت الآبار ، وبيت قونا ، وبيت سوا ، وبيت البلاط ، وقرى حرش ،  
وجسرين ، وحمورية ، وحجرا ، وحوارة ، وقرى حكم ، والحديثة ، وداعية ،  
ودقانية ، وزملك ، وصاجد ، وعرييل ، وعقرباء ، وعين ثرماء<sup>(٧)</sup> .

(١) جهرة انساب العرب لابن حزم ص ٤٠٥ .

(٢) مهذب ابن عساكر ٧ : ١٩١ .

(٣) اليعقوبي ، البلدان ، ص ١١٣ .

(٤) مهذب ابن عساكر ٧ : ١١٠ .

(٥) تاريخ داريا ص ٢٨ .

(٦) للمصدر السابق ص ٣٣ .

(٧) انظر مهذب ابن عساكر ٧ : ١٨٢ - ١٨٧ ترجمة أبي الهيثم .



وكان لم كفرسوسية<sup>(١)</sup> وكوكبا الى جانب داريا . وكان حول داريا عامر بن عوف والقين وسليح (مذهب ٧ : ١٨٥) وما ذكرنا حول المدينة من القرى : كقري ، والاذراع والحيريين ، وصنعا ، وقينية وغيرها . وكان لم جبل دير مران أيضا (مذهب ابن عساكر ٧ : ١٨١) .

أما قري قيس فكانت منها في القوطة صكا<sup>(٢)</sup> ، ويرا<sup>(٣)</sup> ، وحلفدا ، وبلاس ، وراوبة ، وكفربطنا<sup>(٤)</sup> ، والقطيقة<sup>(٥)</sup> .

ويبدو أن جوهر ومزرعة الضحاك كانت لقيس . نستدل على ذلك من بيت ورد في الحماسة هو :

إذا انتخر القيسي فاذا كر بلاء . يزرعة الضحاك شرقي جوهر

وهو من أبيات لعمرو بن مخلد الحمار السكي يندد فيها بمروان بن الحكم ويذكر بلاء القيس . ويقول : إذا انتخرت قيس فاذا كر لم خذ لانهم الضحاك لبتروا الانتخار<sup>(٦)</sup> .

وكان ساحول الكسوة لقيس . لأن جبل مانع المشرف على الكسوة كان لقيس ويوقد أبو الهيثام في فتنة النار منه<sup>(٧)</sup> . وكان في حرجلة بنو سليم أو بنو كلاب<sup>(٨)</sup> .

(١) مذهب ابن عساكر ٧ : ١٨٣ .

(٢) المصدر السابق ٧ : ١٨٨ .

(٣) المصدر السابق ٧ : ١٨٧ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق ٧ : ١٨٢ .

(٦) ديوان حماسة أبي تمام مع شرحه للتبريزي ج ٢ ص ١٤ ، القاهرة ١٩٢٧ ، وقد نبهنا الى هذا البيت الأستاذ الجليل خليل مردم بك .

(٧) مذهب ابن عساكر ٧ : ١٨١ .

(٨) مذهب ابن عساكر ٧ : ١٧٩ .

وكان كلب في البقاع والجولان <sup>(١)</sup> والزواويل بحوران <sup>(٢)</sup> .  
 وكانت دومة لبني تغلب بن وائل من قيس <sup>(٣)</sup> وكذلك كانت حمنا لتغلب <sup>(٤)</sup> .  
 هذه نظرة مجملة تبين منازل القبائل العربية في أرباض دمشق وغطتها ،  
 ي منها أن البمانيين كانوا في الغوطة أجمع داراً من قيس ، وأنهم أهل  
 ثروة والعدد والعز .

وقد كان تتجاور قيس واليمن والعداوة التي قامت بينهم أثر كبير في التاريخ  
 لاسلامي . فالخصومة بين هذه القبائل ظلت شديدة تغور ، بدأت بوقعة  
 سرج راهط في القرن الأول ومرت بفتنة أبي الهيثم في القرن الثاني وظلت  
 حتى انتهت في عين دارة في أيام العثمانيين سنة ١٧١١ ميلادية .

صلاح الدين المنجد

وملاحقته

- 
- (١) مهذب ٧ : ١٧٩ .  
 (٢) مهذب ٧ : ١٧٨ .  
 (٣) مهذب ٧ : ١٩٠ .  
 (٤) مهذب ٧ : ١٨٤ . وانظر عن هذه القرى جماء غوطة دمشق للأستاذ كردعلي  
 (الطبعة الثانية) ، وممجم البلدان لياقوت ، وضرب الحوطة لابن طولون .

# مقدمة المرزوقي

لشمس طماسة أبي تمام

شرح هذه المقدمة ومنبسطها

— ٣ —

قال المؤلف : ( فمن البلاء من يقول : فتر الألفاظ وعررها بجواهر العتود  
ودررها فاذا وسبب أغفالياً بتحسين نظومها وتحلي أعطائنا بتركيب شذورها فراق  
مموعها ومضبوطها وزان مفهومها ومحفوظها وجاء ما حرر منها مصروفاً من كدر  
البي والخلط مقوماً من أود اللحن واخطأ سائلاً من جنف التأليف موزوناً بميزان  
الصواب يتوج في حواشيه رونق الصفاء نفثاً وتركيباً . قبله النهم والتذ به  
السمع . واذا ورد على ضد هذه الحفة جدي النهم منه وتأذى السمع به  
تأذى الحواس بما يخالفها ) .

أراد بالبلاء أئمة النقد وعلماء فن الترسيل وقرض الشعر والبلاغة الذين يصرفون  
اهتمامهم الى العناية بحالة الكلام المفيد المعاني وجعله مناط الاختيار والنقد .  
وهذا المذهب نسبته الآمدي في كتاب الموازنة الى الكتاب وأهل البلاغة .  
ونسبه عبد القاهر في دلائل الإعجاز الى القدماء وعلى حسب اهتمامهم هذا يجري  
اختيارهم فيما يختارون من منافع أهل الأدب ويجري تعليمهم فيما يلتقون للشادين  
في مراوطة الصناعة من الترسيل وقرض الشعر . فهم يصرفون الاهتمام الى محاسن  
الكلام فلما وجدوا المعاني إنما تظهر من دلالة الكلام عليها صرفوا أول العناية

الى جانب الكلام والفاظه وجعلوا المعاني حاصلة بالتبع . وعلى عكس هذه الطريقة من الاعتبار جرى الفريق الذين قدموا النظر الى جانب المعاني .

فظهر أن المقصود من صرفهم الاعتماد الى العناية بحالة الكلام اشتراطهم أن يكون كلاماً فصيحاً بفصاحة كلماته في حد ذاتها وبفصاحة تراكيبها عند اجتماعها .  
فأما فصاحة الكلمات فلأنها أجزاء الكلام فتعين أن تكون الأجزاء فصيحة ليكون مجموع الكلام فصيحاً .

ومعنى فصاحة الكلمات سلامتها من تنافر الحروف ، ومن الغرابة ومن مخالفة قواعد اللغة المستقرّة من استعمال العرب وهذا ما يقتضيه تشبيه المؤلف الألفاظ بالجواهر والدرر . إذ لم يختلف أئمة البلاغة في أن من شرط كون الكلام فصيحاً أن تكون كلماته فصيحة ولم ينكروا أن الألفاظ المفردة تتفاضل بمقدار تفاضلها في فصاحتها . ويظهر ذلك جلياً في المترادفات فلا يختلفون في أن لفظة (سد أحسن من لفظة فدوكس) وقد عابوا استعمال المتني ألفاظ العقلة في قوله :  
وقلقت بالهم الذي قلقت الحشا قلاقل هم كلهم قلاقل

قال الشيخ في دلائل الإعجاز<sup>(١)</sup> « وقصارى تفاضل الكلمتين لا يكون أكثر من كون إحداهما مألوقة مستعملة والأخرى غريبة وحشية . أو تكون حروف هذه أخف وامتزاجها أحسن وبما يكسد اللسان أبعد » .

وقال<sup>(٢)</sup> « من المعلوم أن لا معنى لعبارات البلاغة والفصاحة والبيان التي ينسب فيها الفضل والمزية الى اللفظ دون المعنى غير وصف الكلام بحسن دلالاته وتماها ثم تبرزها في صورة هي أبهى وأزین وأحق بأن تستولي على هوى النفس وتنال الحظ الأوفر من قبل القلوب ولا جهة لاستكمال هذه الخصال غير أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو به أخص



وأحرى بأن يكسبه نبلاً ويظهر فيه مزية ، وهل يتصور أن يكون بين اللفظين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من دلالة صاحبها على ما هي موضوعة له حتى يقال ان رجلاً أدل من فرس فلذا لا تتفاضل الكلمتان المفردتان إلا بالنظر الى المكان الذي تقعان فيه من نظم الكلام ، ولا تجد أحداً يقول هذه الكلمة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعنى جارتها .

وقال<sup>(١)</sup> « فإذا تلاقت في النطق حروف تثقل على اللسان ( ومثله بأبيات التناثر الشديد والمتوسط ) فذلك وجه من وجوه التفاضل بين كلام على كلام ولكن ليس المتصور أن يكون ذلك عمدة المفاضلة وهذا لا ضرر به علينا » . ولهذا فالتدين لم يتعرضوا الى محاسن الكلمات المفردة ما أرادوا عدم الالتفات الى شرائط حسنها ولكنهم استغنوا عنه بحصوله تبعاً لحصول شرائط فصاحة الكلام ومحاسنه ولكن المتأخرين من عهد السكاكي رأوا أن لا يحصى عن الاعتماد بصفات الكلمة المفردة قبل دخولها في نظم الكلام فجعلوا الفصاحة مشتركة الوقوع في المفرد وفي الكلام لاسيما بعد أن وضحت الحاجة وزالت الشبهة التي استنكرها عبد القاهر وإن كانوا لا ينكرون أن فصاحة المفرد لا يهتم بها إلا من حيث أنه معرض للوقوع في الكلام . قال الخلاف الى اللفظ . وقد أشار المؤلف الى الأمرين في قوله الآتي « إذ كانت الألفاظ للمعاني بمنزلة المعارض للجواري » . وأصحاب هذا المذهب لا يعباون بالمنفعة ولا يتكلفون للمحسنات ومنهم عبد القاهر قال في أسرار البلاغة<sup>(٢)</sup> « وإن تجد آمين طائراً ، وأحسن أولاً وآخرأ . من أن توصل المعاني على سميتها وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ فانها اذا تركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها ولم تلبس من المعارض إلا ما يزينها فاما أن تضع

في نفسك انه لا بد من أن تجنس أو تسجع بلفظين مخصوصين فهو الذي أنت منه بعرض الاستكراه وعنى خطر من الخطأ والوقوع في اللبس اهـ» .

واليك تفسير مفردات من كلام المؤلف : ففقر بكسر ففتح اسم جمع فقرة وهي ما انعقد من عظام الصلب كالمُلبدة وأراد بها المفردات . والفقر جمع غرة وهي دارة يضاء في حبة النيس وهي من محاسن الخيل وأراد بها محاسن الكلمات والمعنى إن شروط محاسنها كشروط محاسن الجواهر في العتود أفراداً وتآليفاً . والأغفال جمع عُفْل بوزن قُفْل وهو القدح من قداح الميسر الذي لم يجعل له علامة تدل على نصيب من يخرج له .

وبذلك يظهر معنى قوله فاذا وسم أغفالاً حيث جعل الكلمة غير المتخبة كالقدح الذي لاحظ له في القداح . والأعطال جمع عطل وهي المرأة التي لاحية عليها جعل الكلمة غير المتخبة كالمرأة غير الحالية فاذا انتخبت الكلمة للمعنى كانت كالمرأة الحالية . والعيب بكسر العين وتشديد الياء العجز عن الكلام وأراد به هنا العجز عن تأليف الكلام في التوصل والإشياء . والخطأ ينتج من خطأ الرأي أراد به هنا الخطأ في المعنى . والحن خطأ في الألفاظ بإيرادها على خلاف الطريقة العربية والخطأ في الكلام أراد اللفظ في غير معناه الموضوع له لغة دون قصد مجاز أو استعارة تدل عليها قرينة . والجنف يجيم ثم نون مفتوحين الخروج عن جادة الطريق وأراد به الخطأ في نظم الكلام على الأساليب العربية في التقديم والتأخير ووقع في إحدى النسختين التوسيتين حيف بجاء مهمل ومثناة تحتية وهو الظلم أو ظن الكلام العربي لعدم إعطائه حقه الذي رسمه له العرب ولفظ جنف أحسن .

- والموج اضطراب سطح الماء وتجركه وهو من محاسن منظر الماء .
- والحواشي الأطراف وهي للماء شطوطه وحافات سوانيه .
- والروث الحسن والمعان .

قال ( ومنهم من لم يرض بالموقوف على هذا الحد فتجاوزه والتزم من الزيادة عليها ) . أي من البلغاء فريق لم يقتنعوا بحسن الكلام بحسن ألفاظه وتركيبه بل ارتقى الى طلب محاسن زائدة تتعلق بزيادة في تنسيق الكلام ومحاسنه وهي ( تميم المقطع ) أي حسن اختتام الرسالة والخطبة والقصيدة فالمقطع اسم مكان القطع أي قطع الكلام أي ختمه وتنهيته ومعنى تميمه جمعه تامة لا يتروك السامع شيئاً بعده وهو أن يؤتي بما يؤذن بانتهاء الكلام كقوله تعالى « هذا يات للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد » وليذكر أولوا الألباب » وقوله « يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم » . وأشهر أنواع براعة المقطع الدعاء إلا أنه لكثرة وروده في الرسائل سمج في الأذواق فكان العدول الى غيره أحسن مثل التوريات بلفظ الكمال واختتام ومثل ما لا يبقى بعده متروك للازدباد من الخير كقول الحريري في المقامة ٢٣ : « فعاهدني على أن لا أفوه بما أعتمد . ما دمت بهذا البلد ، فعاهدته معاودة من لا يتأول ووفيت له كما وفي السؤال » وقوله في المقامة المائة : « فمزقت رقعة شذر مذر ، ولم أبل أعذل أم عذر » وهذا الشرط الذي ذكره المؤلف من استحسان المولدين ولم يكن مرعياً عند بلغاء العرب قال « وتلطيف المطلع » أي جمعه لطيفاً أي رفيقاً حسناً أتيقاً لأنه أول ما يقرع سمع السامع قال ابن الأثير في الجامع الكبير<sup>(١)</sup> : « وقد كان بعض علماء البيان يقول أحسنوا معاشر الكتاب الابتداعات فانهم دلائل البيان » ومن أم ذلك الاحتراس من ألفاظ تشكره عند السامع ، وللعوائد أثر في هذا الشأن ولذلك قد ترى المولدين ينتقدون بعض فوائح القصائد بما قد كان مثله شائعاً عند العرب مثل ذكر البين والبلى . وأحسن مطالع القصائد ما كان يلتفت نظر السامع الى ما بعده بأن لا يكون

(١) مخطوط بمكتبتي في ١٠٠ ورقة وسيأتي ذكره في ترجمة صاحبه .

من المطالع المتباد تكررهما في الشعر والنثر فينبغي أن يكون المطلع عزيزاً غير مطروق وذلك في الألفاظ المفتحة بها فإذا انضم إليها عذرة المعنى فقد استوفى المطلع الحسن فإن من المعاني المطروقة بكاء الديار الذي ابتكره امرؤ القيس ومع ذلك تجد مطالع للتأبغة في هذا المعنى لطيفة ومن أحسن المطالع قول عنترة :  
« هل غادر الشعراء من متردم »

وعرف بإجادة المطالع أبو تمام والبحتري والمتنبي . وكذلك الأمر في الرسائل مثل الرسالة الرقطاء للحريري . أما فواتح سور القرآن فقد وردت على أكل الوجوه بخلاف مطالع رسائل البديع والخوارزمي إذ التزما غالباً انتشاحها بكلمة « كتابي » .  
« وعطف الآخر على الأوائل » أراد به ما يسمى عند المتأخرين رد العجز على الصدر ويسى عند المتقدمين التصدير وأمثلة كثيرة ولفظ عطف في كلامه هو بالمعنى اللغوي وهو الرجوع والميل وليس المراد المعنى التحوي .  
« ودلالة الموارد على المصادر » أراد بها براعة الاستهلال وهي أن يؤتى في أول الكلام ببيان فيها إيماء إلى الغرض المقصود منه فكأنه في أول كلامه وارد للماء وكأنه في آخر كلامه صادر عن الماء وهذا قسم من براعة المطلع التي سماها المؤلف آنفاً « تلطيف المطلع » .

والموارد جمع مؤرد وهو مكان ورود المستقين أي يجيئهم أنى الماء قال تعالى :  
« ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون » .

والمصادر جمع مصدر وهو المكان الذي يصدر المستقون منه عن الماء بعد السقي قال تعالى : « قالتا لانسقي حتى يصدر الرعاء » .

والاختلاف بين الموارد والمصادر باعتبار اختلاف حال المستقي أما المكان فواحد .  
« وتناسب الفصول والوجوه » الفصول جمع فصل والتوصل بالواو جمع وصل وكلاهما لقب من الألقاب المصطلح عليها عند علماء المعاني من أئمة البلاغة فالفصل ترك عطف جملة على جملة قبلها بآب يؤتى بالثانية غير مقترنة بحرف عطف



والوصل عطف إحدى الجمل على الأخرى ولكل من الفصل والوصل مواقع بعضها تتعين مراعاته وبعضها تحسن مراعاته وقد عقد لها باب واسع في دلائل الإعجاز لعبد القاهر في 'الفتاح السكاني' . وثق المؤلف بصيغتي الجمع في الفصول والأصول باعتبار تعدد مسائل كل وصورها والمؤلف حشر هذا النوع في عداد الصناعة اللفظية نظراً إلى كون الإتيان بالعطف وعدمه لا يغير معنى الجملة غالباً وإنما هو وسيلة من وسائل الإيضاح والإفصاح في العربية فهو بمنزلة الإعراب<sup>(١)</sup> قال إلى حالة لفظية في نظم الكلام وإن كانت مراعاته ترتبط بمراعاة موقع معنى الجملة من معنى التي قبلها فملاحظة موقع الجملة شرط في مراعاة الفصل أو الوصل ولا يوجب اختلافاً للمعنى الذي تشتمل عليه الجملة . وأما عد باب الفصل والوصل في علم المعاني فلأن مسائله ليس لها شائبة اندراج في مسائل علم البيان ولا في مسائل علم البديع فكان علم المعاني أولى بضمها وهي بالفصاحة أطلق فينبغي أن ينتبه لهذا الصنيع الذي صنعه الموزوني بتدقيقه وسيأتي ذكر الفصول والوصل في عيار التمام أجزاء النظم .

«وتعادل الأقسام» يريد بتعادل الأقسام ما يسمى عند الأدباء بصحة التقسيم ثم مقابلة كل قسم من المعاني المتحدث عنها بقسمة وعدم الغفلة عن ذلك ولا التخليط فيه وقد قال المؤلف لما ذكر المقايح<sup>(٢)</sup> «أو يكون في القسم أو التقابل أو التفسير فساد» .

واعلم أن هذا بحث عظيم من مباحث علم الخطابة تكثر الحاجة إليه فيها .

(١) نبت بهذا على أن الإعراب ليس ما يتوقف عليه فهم معنى الكلام بل هو مبدأ من مبادئ فصاحة الكلام العربي فلا نسلم لمن قال :

وقالوا قام زيد ثم ظنوا بدون الرضم زيدا إن يقوموا

ولم أر من سبقني إلى التنبيه على هذا .

(٢) صفحة ٩٦ من النشور .

ومنزع دقيق من منازع صناعة الترسل وصناعة الشعر - وتفصيله في كتب البديع  
وتقد الشعر - والتعادل التفاضلي أي أن لا يكون بعضها أوفر في الذكر « وتعادل  
الأوزان » ظاهر ان ليس مراده بالأوزان أوزان الشعر لأن كلامه هنا على  
شروط الاختيار في الكلام المنثور ولأن حقيقة الشعر مشروطة بتعادل أوزان  
وسيجيء كلامه على ذلك بالنسبة للشعر في ذكر الباب الخامس من الأبواب  
السبعة التي جعلها عمود الشعر ولذلك لم يعد هناك تعادل الأوزان وإنما ذكر  
إتمام أجزاء النظم .

وإنما أراد بتعادل الأوزان هنا تساوي سموط الأتباع وهي المسماة بالقرائن  
التي تنزل من الكلام المسجوع منزلة المصارع للشعر فتعادلها بأن تكون  
متساوية المقدار في النطق معتدلة فيه وذلك أصل السجع وبمقدار تساويه تتفاوت  
أقدار الكتاب - مثال المعتدل التام قول الحريري في المقامة ٣ : « وأودى بي  
الناطق والصامت ، ورثي لي الحاسد والشامت » .

ومن هذا التيل قول المؤلف في صدر هذه المقدمة حسبا في النسخة التونسية :  
« وهو مستودع آدابها - ومستحفظ أنسابها - ونظام نخارها عند النثار - وديوان  
حجاجها عند الخصام » .

وقد يكون بينها تفاوت قليل كقول الحريري في المقامة ٢٩ : « ألباني  
حكم دهر قاسط ، الى أن أتجمع أرض واسط » ولا يجوز التفاوت الكثير  
بين القرينتين وبالأخص إذا كانت القرينة الأولى أطول من الثانية . وما يندرج  
في تعادل الأوزان أن تقابل زنة اللفظ بمثلها في صيغة الاشتقاق من فعل أو  
وصف كقوله تعالى : « قل إن ضللت فأضل على نفسي وإن اعتديت فبإي  
يوحى إلي ربي » فقول ضللت باعتديت وهما فعلان ماضيان وقول أضل يوحى  
وهما فعلان مضارعان . ومن تعادل الأوزان قول الحريري في المقامة الأولى :  
« وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه . ويقرع الأسماع بزواجر وعظه » وكل

هذا معدود من المحسنات اللفظية فلا يصير البليغ اليه إلا حيث لا يوجد ما يقتضي خلافه من جهة المعنى البلاغي ويراعى قريب منه في سموط الترسل غير المسجوع . وإنما حشر المؤلف هذا في عداد الخصائص العائدة الى الألفاظ لأن الكاتب يغير ترتيب المعاني في سجعته تغييراً يعي لموافقة هذا الأسلوب اللفظي فكان بسبب ذلك عملاً لأجل دقائق من حسن اللفظ بدل على قوة المنشي في سجعته وكذا القول في الترسل .

« والكشف عن قناع المعنى بلفظ هو في الاختيار أولى حتى يطابق المعنى اللفظ ويسابق فيه الفهم السمع » قال عبد القاهر في دلائل الإعجاز (١) : « ويختار للمعنى اللفظ الذي هو به أخص وأحرى بأن يكسبه نبلاً ويظهر فيه منية » . « ومنهم من ترقى الى ما هو أشق وأصعب فلم تقتضه هذه التكاليف في البلاغة حتى طلب البديع من الترصيح والتجميع والتطيق والتجنيس » هذه ألقاب لأنواع من البديع لا تعسر على الناظر بمراجعة مباحثها من علم البديع . « وعكس البناء في النظم » يريد بالنظم انتظام الكلام لا لمقابل التثنية كما لا يخفى . وهذا النوع المحسن البديعي المسمى ما لا يستحيل بالانعكاس كقول العماد الكاتب للقاضي الفاضل وقد مر عليه راكباً فرساً « يسر فلا كتباً بك الفرس » . فأجابه الفاضل وقد فطن لما في كلامه من البديع فقال : « دام علا العماد » ومن أحسنه في الشعر قول الأرجاني :

مودته تدوم لكل هول . وهل كل مودته تدوم

ومن أحسنه رسالة البديع الحمذاني المثبتة في مجموعة مراسلاته (٢) .

« وتوشيح العبارة بالألفاظ مستعارة » غلب المؤلف جانب الحسن اللفظي هنا على الخصوصية المعنوية فعد هذا في المحاسن اللفظية جرياً على طريقة كثير من

(١) صفحة ٣٥ .

(٢) طبع مطبعة الموائب بالأستانة صفحة ٣٨ .

الأدباء وأهل البديع وهي طريقة المتقدمين من الأدباء الذين دونوا أصول الأدب قبل أن يبرز علم البلاغة بالتدوين بعناية الشيخين عبد القاهر والسكاكي وإلى هذا أشار الخطيب القزويني في قوله : « وبعضهم يسمي العلوم الثلاثة علم البديع » .

وقد لمح إلى الاستعارة ومثالها عن الدين الموصلي في بديعته بقوله :  
دع المعاصي تشيب الرأس مشعل<sup>١</sup> بالاستعارة من أزواجها العظم<sup>٢</sup>  
« إلى وجود آخر تنطق بها الكنب المولفة في البديع فاني لم أذكر هذا القدر إلا دلائل على أمثالها ولكن بما ذكرته وما لم أذكره رسم من النفوذ والاعتلاء بازائه ما يفاده فبسم لتكوص والاستفال » أي بحيث يرتفع شأن الكلام في الحسن والقبول بمقدار مراعاة هذه الخصائص والخاصة وينحط بإهمال ذلك في مواقع مراعاته انحطاطاً بمقدار ذلك الإهمال .

« فأكثر هذه الأبواب لأصحاب الألفاظ إذ كانت للمعاني بمنزلة المعارض للجواري فأرادوا أن يثبث السمع بما يدرك منه ولا يمحى ويتلقاه بالإصغاء والإذن له فلا يحجب » أشار بقوله فأكثر هذه الأبواب لأصحاب الألفاظ إلى أن بعضها يتجاذبه بجانب المعنوي مثل الفصول والوصف ومثل توشيح العبارة بالاستعارة كما أشرنا إليه هنالك . والمعارض جمع معرض بوزن منبر وهو الثوب الذي تتجلى فيه الجارية حين تعرض للينع وهذا تشبيه طريف وقد تبعه فيه عبد القاهر قال في دلائل الإعجاز<sup>(١)</sup> : « ويحملون المعاني كالجوارى والألفاظ كالمعارض لها » وأشار المؤلف بالتحديد في قوله « إذ كانت للمعاني بمنزلة المعارض للجواري » إلى أن البلغاء الذين صرنا حمتهم في اختيار الكلام البليغ إلى جانبه اللفظي ما أرادوا حالة مقدرات الألفاظ ولكن أرادوا حالة الكلام المؤلف كيف تبرز حين تأليفه والمؤلف ينحو بهذا إلى ما تقدم مما حققه عبد القاهر .



« وقد قال أبو الحسن ابن طباطبا في الشعر : هو ما ان عرى من معنى بديع لم يعر من حسن الديباجة ، وما خالف هذا فليس بشعر » صاقه حجة على أن العناية باللفظ هي في الدرجة الأولى عند كثير من أهل الأدب بحيث ان حسن الديباجة اللفظية تجعل الكلام مقبولا ولو كان عربيا من معنى بديع اذ قد يعرى البيت أو أكثر من القبيحة ، والطر أو أكثر من الرسالة ، عن معنى بديع فيكسوه الكلام بحسنه حسنا يتناض به عن حسن المعنى . وكلام أبي الحسن وإن خصه بالشعر فهو منطبق على النثر لا محالة كما أشار إليه المرزوقي بسوق كلام أبي الحسن عقب ما تقدم ثم تقييده بقوله « في الشعر » وأبو الحسن ابن طباطبا هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا بن اسماعيل بن إبراهيم ابن الحسن بن الحسن أيضا ابن علي ابن أبي طالب وطباطبا ينتح الطاء مكررا لقب ألقى بجده إبراهيم بن اسماعيل لأنه كان يثغ في القاف يجعله طاء وطلب يوما غلامه أن يأتيه بشيابه فأثاه بدراة فقال « لا طباطبا » يعني قبا . وأبو الحسن شاعر مفلح وعالم محقق ولد بأصبهان وتوفي بها سنة ٣٢٢ كان مشهورا بالفطنة وصحة الذهن وله كتاب عيار الشعر وكتاب تهذيب الطبع وكتاب العروض وكتاب المدخل في معرفة المعنى من الشعر وكتاب في تزيين الدفاتر كان ابن المعتز يلمح بذكره . وله شعر كثير ترجمه ياقوت في إرشاد الأريب ومن شعره البيت الذي فيه التشبيه اللطيف وهو :

لا تعجبوا من يلي غلالته قد زر أزراؤه على القمر

« ومن البلغاء من قصد فيها جاش به خاطره الى أن تكون استفادة التأمل له والباحث عن مكنونه من آثار عقله . أكثر من استفادته من آثار قوله أو مثله وهم أصحاب المعاني » هذا انتقال الى الطريقة الثانية من طريقي البلغاء في تمام فضيلة الكلام وفي طريقة الذين صرفوا الاهتمام الأول الى المعاني التي يريد البليغ التعبير عنها وأنت تعلم أن مقصودهم الذي يرمون اليه هو مصرف

الاهتمام الأول على نحو ما قلنا في تقرير مذهب أصحاب الجانب اللفظي وقد أشار المؤلف إلى تحرير الجانب الذي منه يكون شرف المعاني بقوله .

« نطلبوا المعاني المُعْجِبة من خواص أماكنها وانتزعوها جزلة عذبة حكيمة طريفة ، أو رائقة بارعة فاضلة كاملة ، أو لطيفة شريفة زاهرة فاخرة . وجعلوا رسومها أن تكون قريبة التشبيه لائق الاستعارة صادقة الأوصاف لائحة الأوصاح تخلابة في الاستعطاف عطاقة لدى الاستنفار مستوفية خلوطا عند الاستهام من أبواب التصريح والتعريض ، والاطناب والتقصير ، والجد والهزل ، والخشونة والليان ، والإيلاء والإسماح . من غير تفاوت يظهر في خلال أطباقها ، ولا قصور ينبع من أثناء أعماقها ، بمنسمة من مثاني الألفاظ عند الاستشفاف محتجة في غموض البيان لدى الاستهان ، تعطيك مرادك إن رفقت بها وتمتعك جانبها إن عنت معها » ليربك أن ليس المراد بصرف العناية إلى المعاني أن تكون معاني الكلام كلها من الحق والموعظة أو العلم فان ذلك لا يتأتى في كل كلام ولا يقتضيه كل مقام وان أكثر شعر العرب في الجاهلية بمزمل عن ذلك وانما المراد أن المعاني التي يحيش بها الخاطر وهي المعاني الأصلية من أغراض التخاطب وغيره إذا جاش بها الخاطر وترددت في النفس يكون حقاً على البليغ أن يصورها معاني فائقة من مجاز أو تشبيه أو إيجاز أو تلميح ، أو تلميح حتى إذا أدبت بالكلام أبرزت ألفاظها صوراً من الحقائق والكيفيات العقلية تقع في نفوس السامعين مواقع الإعجاب أو الاستحسان فانك إذا اقتعدت قول كثير :

ولما قضينا من منى كل حاجة      ومسح بالأركان من هو ماسح  
وشدت على دم المهاري رحالنا      ولم ينظر القادي الذي هو رايح  
أخذنا بأطراف الأحاديث بيتنا      وصالت بأعناق المطي الأباطح  
وهذا معدود من أجود الشعر . لم تجد في أصل معناه أكثر من أنا فرغنا

من الحجج فركبنا راجعين ونحن نتحدث على مطي الرواحل . ولكنك تجده أفاد هذا المعنى بأفانين من التصوير المعنوي وتشخيص الأحوال ما ان سمعه السامع اهتز له إعجاباً . وتحرك للاستزادة من سماعه طلاباً . وكان من أصحاب هذا المذهب ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير<sup>(١)</sup> إذ يقول<sup>(٢)</sup> : « ينبغي أن يستيقن المؤلف أن المعاني أشرف من الألفاظ والدليل على ذلك أن لو خلطنا هذه الألفاظ من دلالتها على المعاني لما كان شيء منها أحق بالتقديم من شيء بل كانت بمنزلة أصداء الأجسام والأصوات الناشئة عنها ويتردد ما ذكرناه وضوحاً أن هذه الصناعة من النظم والنثر التي يتواضعها البلغاء بينهم وتتفاضل بها مراتب البلاغة إنما هي شيء يستعان عليه بدقيق الفكرة وكثرة الرؤية ومن المعلوم أن الذي يستخرج بالفكر وينعم فيه النظر إنما هو المعنى دون اللفظ لأن اللفظ يكون معروفاً عند إرباب صناعة التأليف دائراً فيما بينهم ، والمعنى قد يتدع فيذكر المؤلف معنى لم يسبق إليه الخ ... »

فمعنى قول المرزوقي : « من قصد فيما جاش به خاطره إلى أن تكون استفادة المتأمل له والباحث عن مكنونه من آثار عقله أكثر من استفادته من آثار قوله » أن أهل هذا المذهب يصرفون أكبر اهتمامهم عند قصد إفادة المعاني الأصلية إلى أن يودعوها في صور من المعاني البيانية تفيد متأملها معاني جملة ليس كل معنى

(١) هو الوزير نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري للأصلي توفي سنة ٦٣٧ من أئمة الأدباء والكتاب له كتاب للتل السائر مشهور مطبوع . وكتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم والنثر ذكره صاحب كشف الظنون ويظهر أنه ألفه بعد التل لأه لم يذكره في كتاب للتل السائر مع أنه ذكر كتاباً آخر له سماه الوشي للرقوم في حل للنظوم . وهذا الجامع الكبير أخصر من للتل وأقل شواهد ولكنه قد يكون أكثر منه قواعد فلهذا قصدته تهذيب الفن والاقبال من انتشاره وهو يقع في زهاء ثلث حجم للتل السائر وهو عزيز الوجود وفي مكتبي نسخة منه نسخت سنة ٦٦٨ وهذه للسألة التي ذكرناها هنا هي مما لم يذكره في للتل السائر .

(٢) في الورقة ٣١ .

منها مستفاداً من جملة أو عبارة بل يستفاد الكثير منها من الجملة الواحدة وذلك بحسن التوصيف بتشبيه قريب واستعارة لائقة وسبشير المؤلف الى ما يحاوله البلقاء من ذلك بكناية وتعريض ونضرب الأمثال وبمراعاة تأثر السامعين على حسب اختلاف طبقاتهم وتنوع مقامات خطابهم بما يناسب تلك المقامات من التصوير من خشونة أو رقة ، ومن جدد أو مزج ، ومن تصريح أو رمز ويحصل بذلك الایجاز الذي هو زينة كلام البلقاء كما قيل «لحمة دالة» مما لو جعل لكل مراد منه لفظ أو جملة لطال الكلام وفاتت براعة مؤلفه وضاعت فطنة متأمله أو تساوت درجاتها . فاذا نظرت الى قوله تعالى : «اشتعل الرأس شيباً» وجدت التصور المفاد من كلمة اشتعل مغنياً عن أن يقال شاب شعر رأسي دفعة واحدة ولم يترك الشيب منه شيئاً كالتار اذا التهب في الحطب ، فتصوير الاشتغال أفاد ذلك كله .

وأما معنى مفردات كلام المرزوقي فقوله جاش : فاض واخططر : الدهش باعتبار جوالته في المعاني فكأنه يخطر في خلالها أي يمشي ومقصود المرزوقي انه نشأت في نفسه المعاني التي أراد إفادتها ثم جالت في نفسه حتى تمكنت ووضحت فشبّه ذلك التمكن بالجيشان وهو غلبات القدر .

وقوله «من آثار عقله» متعلق «باستفادة» .

وقوله «أو مثله» هو غير مضبوط في النسخ التي بين أيدينا أو ينبغي أن يضبط بضمتين جمع مثال يعني أن بعني بتصوير المعاني أكثر من عنايته بالقول والإيضاح بالأمثلة .

وقوله «رسومها» براء في أوله جمع رسم وهو ما يعرف به الشيء وأصله رسم الدار وفي النسختين التونسيتين ونسخة الأمانة ونسخة دار الكتب ورسومها يواو في أوله وهو جمع رسم وهو العلامة .

وقوله «من غير تفاوت يظهر في خلال أطباقها ولا قصور ينبع من أثناء أعماقها» .



الأطباق بفتح المدزة جمع طبق بفتحين وقد تقدم في شرح قوله « لا يطابقه »  
وأراد بالتفاوت تفاوت الإفادة في ذلك التصوير بين ما يفيد بعض فقر الكلام  
وفيده بعض آخر أي بأن تكون المعاني متوازنة فلا يوضع المعنى الشريف  
بإزاء المعنى السخيف ، والقصور العجز عن الوصول إلى ماحقه أن  
يصل إليه وهو مشتق من قصر القامة أي قلة الامتداد في الأشياء بما يقتضيه  
كل أنواعها ، وشبه القصور الظاهر أثره بماء نابع يجتمع الظهور وأثبت له النبع  
على طريقة الاستعارة المكنية وهو من تشبيه المعلوم بالتخيل بالموجود مثل تشبيه  
اللؤلؤ في بيت حسان :

لو ان اللؤلؤُ صَوَّرَ كان عبداً تبيحَ الوجهَ أعورَ من ثقيف

ومناسبة الاعماق للنبيح ظاهرة ظاهرة فتكون ترشيحاً لا استعارة .

وأراد بالمبتسمة أنها تكشف عما تحجبه كشفاً حسناً كما يكشف الابتسام  
عن عامن الثغر ومثاني الألفاظ في التراكيب لأن الكلمات تثني فيها أي  
تكرر ومنه سميت النافذة المثاني .

و « الاستشفاف » هو نظار التأمل وفي إحدى التوسيتين الاستشفاف  
أي طلب الاسعاف أي قضاء المطلوب فعلى هذه النسخة يكون الابتسام تشيلاً  
بجالة سرور الكريم عند ملافة العناء كما قال الشاعر :

تراء إذا ما جئت متهللاً

والاحتجاب تمثيل للمعاني بالنسوة يحجبهن عن قد يستخف بهن في مواقع صونهن  
فقوله لدى الامتهان أي لدى إرادة الامتهان . وأما قوله « تعطيك مرادك »  
فهو تمثيل آخر مثله فيه المعاني بالنافذة الكريمة لا تدرك إلا بالإسساس أي يرفق  
الحالب بها فاذا رفق بها مكنته ودرت وإن اشتد عليها منعت قال بشار :

والدأرُ يمنعه جفاه الحالب

( فهذه مناسب المعاني لطبائرها وتلك مناصب الألفاظ لأربابها ) .  
 الإشارة بهذه الى الصفات المذكورة قريباً وتلك اشارة للبعيد وهو هنا  
 إشارة الى الصفات المذكورة سالفاً لأنها بتعد ذكرها .  
 والمناسب بفتح الميم جمع متنسب بفتح الميم وفتح السين وهو مصدر ميمي  
 لنسبه بنفسه اذا ذكر نسبه وغالب إطلاق ذلك في ذكر الأنساب الشريفة  
 أي فهذه الصفات التي ذكرتها قريباً هي صفات المعاني الشريفة الأصلية فهي  
 للمعاني كالأنساب للناس فمن طلب المعاني الشريفة فليتوخ منها الصفات  
 التي ذكرتها .

والمناسب جمع منصوب بفتح الميم وكسر الصاد وهو مكان النصب أي رفع  
 الشيء وإظهاره ومنصب المرء شرفه ورفعه أي الصفات التي ذكرتها سالفاً  
 هي مظان شرف الألفاظ فمن كان من أرباب الألفاظ أي المعتنين بها  
 فليبحث عن انطباق تلك الأوصاف عليها . ويبين المناسب والمناسب في كلامه  
 الجنس المحرف .

محمد الطاهر ابن عاشور

( تونس )

يتبع :

# ابن الطيب محشي القاموس

مولده ونشأته وحياته ونسبه :

هو نضر الدين محمد بن الطيب وبه عرف ابن محمد بن مومى القامي المدني المعروف بالشرقي [بالقاف المعقودة] لا بالقاف إجماعاً والشرقي نسبة إلى شراقة وينطق بها أهل المغرب بالكاف وهي على مرحلة من قاس وقد أخطأ خطأ فاحشاً من ذكره بالقاف وعده من أولاد الشرقي الأندلسيين الذين بفاس وليس منهم بل هو من أولاد العجبي وُلد بفاس سنة ١١١٠ هجرية ونشأ بها .

حياته : كان هذا الإمام نادرة عصره في سعة الاطلاع وقوة العارضة ورزق فيها وفي الرواية عمداً مينا وحلاؤه القاضي الشوكاني في ثبته والوجيه الأهدل في النفس الباني بالشيخ الحافظ وقال عنه ابن الحاج القامي لم يكن في زمانه أحفظ منه بالتحق واللغة والتصريف والأشعار إماماً في التفسير والحديث والفقه . .

مشيخته بالمغرب : له من الشيوخ ما يقارب مائة وثمانين شيخاً كما وُجد ذلك بخطه في إجازته لابن عبد السلام البناني وهذا ما يتعد العهد به عن أقرانه في المغرب منذ قرون واستجاز له والده من أبي الأسرار حسن بن علي العجبي المكي قال الحافظ مرتضى الزبيدي في ألفية السند لما ترجمه :

وصح أن حسن العجبي أجازوه كتباً بغير ضم .  
وكذا أخذ عن والده وعن محمد بن عبد القادر القامي ومحمد بن عبد الرحمن

ابن عبد القادر القاسي ومحمد بن عبد السلام البناني ومحمد بن عبد الله المثنالي وأبي عبد الله محمد بن محمد مباره وأبي الإقبال أحمد بن محمد الدرعي وأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي وأحمد بن علي الوجاري .

مشيخته بالمشرق : منهم محمد بن محمد المساوي ومحمد أبو الطاهر القوراني وحسن العجيمي والسيد عمر الباعنوي والزرقاني وغيرهم مما يطول بنا ذكرهم .

رحلته : لقد طاف الأرض طولها والعرض فني ديباجة حاشيته على القاموس مانعه : قال ما أملت سطوراً منها إلا في شطر من الأرض وأنشد :

يوماً بفاس وفي مكناسة زمناً وتارة في زوايا العم والخال  
وبرهة سفري صفر وآونة . تازا وطوراً أرى <sup>(١)</sup> الفلاخلى

وأقام بمكة سنين وختم بالمسجد الحرام الصباح الستة وغيرها من الأصول الحديثية وانتفعت به الطلبة هناك ورحل إلى الروم من الطريق الشامي ورجع منها على الطريق المصري وأخذ عنه في الشام ومصر خلق كثيرون .

أما تحقيقه وكمال اطلاعه وطول باعه في العلوم فيعلم ذلك من طالع حاشيته على القاموس بالدقة إذ يجد أمراً مهولاً من سعة حفظه واستحضاره وكثرة تأليفه وواسع رحلته وأعجب ما تجد فيها أنه ألّفها حالة مفارقه لأصوله وكتبه قال إلا ما علّق بالبال أو علّق في طرس بال وقال بعد شرح خطبته قد أشرت في الخطبة إلى أن هذا الكتاب طُلب مني ونحن في أثناء أسفار . قال تليذه الحافظ الزبيدي في طالعة شرحه على القاموس وهو عمدي في هذا الفن والمقلد جيدي العاقل بجلى تقريره المستحسن ، وقال في محل آخر من مقدمة التاج :

(١) الشعر من البسيط وعجز البيت الثاني مكسور (المجمع)



لا أدعي فيه دعوى فأقول شافيتُ أو سمعتُ أو شددتُ أو رحلتُ أو أخطأ فلان أو أصاب أو غلط القائل في الخطاب فكل هذه الدعاوي لم يترك فيها شيخنا لقائل مقالاً ولم يخل لأحد فيها مجالاً لأنه عني بشرحه عمن روى وبرهن عما حوى وسبر بخطبته فادّعى ولمحري لقد جمع فأوعى وأتى بالمقاصد فوفّسى . قلتُ : أمّا رويتُ ورحلتُ وسمعتُ فلم يخل منها تاج العروس أبداً ومن تتبعه على صدق الحديث وجدده بقرئ شيخه المذكور بالفضل والتقدم وإن أردت أن لا تتعب نفسك بتتبع المجلدات العشر فانظر إلى قوله في خاتمة الشرح : إن كتابي هذا لا يوفق لمثله إلا من ركب في طلب الفوائد كل طريق فغار فيه وأنجد وتقرب فيه وأبعد وليس ذلك إلا لشيخه المذكور .

مؤلفاته : فإن له - رحمه الله - مؤلفات حسنة سارت بها الركبان وتناس بها المتنافسون من أهل الدراية وجمّلت بها خزائن الملوك والأكابر فمنها حاشيته على القاموس فهي في أربع مجلدات وبودّي لو يعتني المجمع العلمي العربي بطبعها بوضع القاموس في أعلى الصفحة والحاشية في أسفلها .

ومنها شرحه على فصيح ثعلب في مجلدين ومنها شرحه على كفاية المتخفّظ ومنها حاشيته على الاقتراع ومنها شرحه على كفاية ابن مالك ومنها شرحه على شواهد الكشاف ومنها حاشيته على المطول ومنها رحلته التي جمعت فأوعت ومنها جمع مسلسات في كتاب وهي تنوف على ثلاثمائة ومنها حاشيته على شرح القسطلاني لصحيح البخاري ومنها شرحه على كل من سيرة ابن الجوزي وابن فارس ومنها حاشيته على الثمائل للإمام الترمذي ومنها شرح المضربة لخير البرية ، ومنها حاشيته على المزهري للإمام السيوطي سماها المسفر عن خبايا المزهري ومنها سمط الفرائد فيما يتعلق بالجملة والصلاة من الفوائد ومنها الفهرست

الكبرى المسماة بإقرار العين وإقرار الأثر بعد ذهاب العين ومنها فهرسته  
 الصغرى الموسومة بإرسال الأسانيد وإيصال المصنفات والمسانيد ومنها الأنيس  
 المطرب فمن لقبته من أدباء المغرب وافق في تسجيله كتاب عصره <sup>(١)</sup> أبي عبد الله  
 محمد العلمي الفاسي دفين مصر ومنها رحلته الحجازية الأولى والثانية ومنها  
 الأفق المشرق بتراجم من لقبناه بالمشرق إلى غير ذلك من المصنفات والرسائل .  
 قال المرادي في سلك الدرر وله شعر لطيف ونقل طائفة منه .

وفاته ومدفنه : توفي رحمه تعالى سنة سبعين ومائة وألف ودفن بالمدينة  
 المنورة بالقيع رحمه الله .

محمد العربي العزوزي

( بيروت )

(١) له يريد : لكاتب عصره الخ (المجم) .

# رسالة حي بن يقظان

مع شرمها لربنا

- ٣ -

( وأما هذا الممّوء المتحرّص فلا تجنح إليه أو يؤتيك موثقاً من الله غليظاً  
فهناك صدقه تصديقاً ، ولا تجنح عن إصاخة إليه لما ينهيه اليك وإن اختلط<sup>(١)</sup> ،  
فإنك إن تعدد من أنبائه ما هو جدير باستثباته<sup>(٢)</sup> وتحققه<sup>(٣)</sup> . )

وأما هذا الممّوء المتحرّص ، أشار به الى الطريقة التي يجب أن تسلك في تدبير  
[ ورقة ٩٣ الف ] القوة التخيّلة لتجمع الى السلامة من ضلالتها ، الاستفادة  
بأفعالها وأحكامها . وذلك بأن لا تشقّ بها كل الثقة حتى تصير بحيث تميّز  
صدقها من كذبتها وباطلها من حقها بوضعك قانوناً ترجع اليه في ذلك وميزاناً  
تزن به أحوالها ، وهذا هو إنبائه موثقاً من الله غليظاً ، ويجوز أن يكون  
أراد بذلك القوانين المنطقية . وإذا فعلت ذلك وقويت وعلمت على مثل هذا الموثق .  
فهناك صدقه تصديقاً ولا تمنع من الاستماع لما ينهيه اليك وإن كان  
بعضه<sup>(٤)</sup> مختلطاً مشوباً بما يورده عليك ما لا بد من استثباته<sup>(٥)</sup> وتحصيله في  
خاص أفعالك من التعلّلات .

( فلما وصف لي هؤلاء الرفقة وجدت قبولي مبادراً إلى تصديق ما يقرّ فهم<sup>(٦)</sup> به .  
فلما استأنفت في امتحانهم طريقة المتبرّص صحح المختبر منهم الخير عنهم ، وأنا في  
مزاوتهم ومقاساتهم ، فتارة لي اليد عليها وتارة<sup>(٧)</sup> لها علي . والله تعالى  
المستعان على حسن مجاورته هذه الرفقة إلى حين الفرقة . )

- 
- (١) م و ص : خلط . (٢) ب : باستنباه . (٣) م و ص : تحقّقه به .  
(٤) ب : بحد . (٥) أيضاً : استنباه . (٦) م و ص : قرّ فهم .  
(٧) ب : طورا .

فلما وصف لي هؤلاء الرقة . أراد به أني لما تأملت أحوال هذه القوى وجدت بها  
مواقفة لما وصفها به فازددت بما شرحه من أحوالها بعيرة<sup>(١)</sup> ، وامتلكت أمره  
فبأهدائي<sup>(٢)</sup> إليه من تدبير أمرها . وحصلت على حالة متوسطة في السلامة  
منها والابتلاء بفوايلها ، وعلى ذلك دلّ بقوله فتارة لي اليد عليها وطوراً لها علي .  
(ثم إني استهديت هذا الشيخ سبيل السياحة استهداء حريص عليها ،  
منوق إليها ، فقال : إنك ومن هو بسيلك عن<sup>(٣)</sup> مثل سياحتي لمسدود .  
وسبيله عليك وعليه لمسدود . أو يمدك التفرّد وله<sup>(٤)</sup> لذلك [ ورقة ٩٣ ب ]  
مرعد مضروب لمن تسبقه<sup>(٥)</sup> فاذنح بسياحة مدخولة بإقامة تسبيح<sup>(٦)</sup> حيناً  
وتخالط هؤلاء حيناً . فمضى تجردت للسياحة بكنه نشاطك وافقتني<sup>(٧)</sup> وقطعتهم ،  
وإذا حننت فحرم اقلبت إليهم وقطعتني<sup>(٨)</sup> حتى يتأني<sup>(٩)</sup> لك أن تتولى  
يركنك<sup>(١٠)</sup> عنهم<sup>(١١)</sup> . )

قوله : ثم إني استهديت هذا الشيخ سبيل السياحة أي إني لما وجدت العقل  
على هذا الكمال وبحيث هو مستعدّ العلوم والمعارف حرصت على سلك مثل سبيله  
واقتراس العلم وتحصيله ففرغت اليد في أن يهديني سبيل السعي في ذلك .  
فقال إنك . . . . . لمسدود أي إن النوع من التعقل الذي لي يتميز عن  
التعقل الانساني بالخلوص عن شوب التخيل والحس ، وبالدوام والاتصال الغير  
المقطوع<sup>(١٢)</sup> بموانع<sup>(١٣)</sup> الأحوال البدنية وبالأجمال المتضمن<sup>(١٤)</sup> للمعقولات  
التي لا نهاية لها دون التفصيل المتناهي على واحد واحد من المعقولات وبالوصول<sup>(١٥)</sup>

- |                       |                                     |                        |
|-----------------------|-------------------------------------|------------------------|
| (١) م : نصرة .        | (٢) أيضاً : أهدائي .                | (٣) أيضاً : من .       |
| (٤) ب : له ولذلك .    | (٥) أيضاً : تسعه .                  | (٦) أيضاً : تسبح .     |
| (٧) م : وقتك .        | (٨) ب : قطعتني .                    | (٩) م و م : يأتي .     |
| (١٠) أيضاً : برأتك .  | (١١) أيضاً : منهم .                 | (١٢) ب : الغير متطوع . |
| (١٣) أيضاً : لمرانم . | (١٤) + . . . + بالهامش في مخطوط ب . |                        |



اليه من غير كلفة ولا عناء ولا استدلال وأصنتاج بطلب الوسط . وبمحله لا سبيل لك ولا مثالك من البدنين الى الوصول اليه والتصرف فيه مادمت على أحوالك من مباشرة الأحوال البدنية . اللهم إلا أن تسعدوا بمفارقة البدن والتفرد . ولذلك وقت مقدر لا يحتمل الزيادة عليه ولا النقصان منه .

ثم قال فاقنع بسياسة مدخولة بإقامة أراد به تعقلاً غير خالص من مشوب التخيل والحس ، وغير موصوف بالدوام والاتصال بل يسعد بالانقطاع اليه والاشتغال به وقتاً ويشقى بالانقطاع عنه والاشتغال بالبدن وقتاً آخر ، فإذا انقطعت اليه كنت مصاحباً لي وموافقاً ، وإذا انقطعت عنه كنت مصاحباً لقوى البدن وموافقاً لا يزال هذا دأبك وديندك الى حين انقراضك عنها بالكلية وذلك يكون بعد الموت ومفارقة النفس للبدن [ ورقة ٩٤ الف ] .

( فرجع بنا الحديث الى مسأله عن إقليم إقليم مما أحاط بعلمه ووقف على (١) خبره ) .

قوله : فرجع . . . إقليم أي أردنا الوقوف من جهته على معرفة الموجودات كلها المعقولات منها والمحسوسات وإحاطة العلم بها إذ وجدنا الكائن الإنساني متعلقاً بذلك محصلاً من نسيله .

( فقال (٢) : إن حدود الأرض ثلاثة : حد يحوزه الخفافات وقد أدرك كنهه وترامت (٣) الأخبار الجلية المتواترة والغريبة بجل (٤) ما يحتوي عليه ، وحدان غربيان : حد وراء (٥) المغرب وحد قبل المشرق ) .

قوله : حدود الأرض ثلاثة ، عني بالأرض الموجودات الطبيعية المخالطة للمادة المعرضة لضروب التغير (٦) . فهو في هذا الفصل يشرح أحوالها دون أحوال الموجودات العقلية غير المخالطة (٧) للمادة غير المعرضة (٨) للتغير . وأراد

(١) م و س : عليه . (٢) ايضاً : فقال لي . (٣) ايضاً : ترامت به  
الاخبار . . . بجل . (٤) غير موجود في م و س ولكن موجود في ك .  
(٥) ب : الغير مخالطة . (٦) ايضاً : الغير معرضة .

بالحدود الثلاثة ما تنقسم هذه الموجودات الطبيعية < إليه > وهي المركبات  
المحسوسات + والحيولى والصورة (١) . وأشار بقوله الحد الذي يحوزه الخافقان  
إلى المركبات المحسوسات + (٢) في عالم الأرض والسماء التي يجمعها الخافقان  
الذان هما الأرض والسماء . وقال وقد أدرك كنهه إلى آخر الفصل إلى أنها  
مدركة بالحواس ، عرفها الإنسان . أما ما يخصه فبخاص حسه النظري ، وأما  
ما يغيب عنه فالأخبار المتواترة التي تتراعى إليه من جهة من شاهده .  
+ وأراد بالحدين الغريبيين الحيولى والصورة ، وأما ما وراء المغرب فالحيولى .  
وأما الذي قبل المشرق فالصورة + (٣) .

( ولكل واحد منهما صقع وهذان الحدان قد جعل (٤) بينهما وبين عالم البشر  
حد محبوب لن يمدوه إلا الخواص منهم المكتسبون منه لم تنأى للبشر  
بالفطرة [ ورقة ٩٤ ب ] . )

لكل واحد منهما صقع ، أي لكل واحد من الحيولى والصورة كنه وحقيقة ،  
وقد ضرب بينه وبين عالم البشر حد محبوب ، + أي أن كل واحد منهما  
ليس بظاهر الوجود بل كان بين كل واحد منهما وبين الناس حجاب وحد  
لا يتجاوز إلى إدراكه (٥) + .

إلا الخواص أي لا يعرفه إلا قوم مخصوصون متميزون بما يكسبونه من منه  
أي قوة لم تكن للإنسان بالفطرة والطبع دون الاكتساب .

( وبما يفيدها الاغتسال بين خراة في جوار عين الحيوان الراكدة ، إذا  
هدى إليها السائح فتطهر بها وشرب من فرائها ضرت في جوارحة منه مبتدعة )

(١) وهي تنقسم إلى المركبات المحسوسات وإلى الحيولى والصورة . (٢) + ..... +  
موجود في ب بالهامش : (٣) + ..... + موجود في ب بالهامش ، وإيناً في ك  
(٤) هو من : ضرب . (٥) + ..... + موجود في ب بالهامش ، وك : وليس  
ولا واحد منها بظاهر الوجود إلا للتبئين الذين يكسبون قوة لم تؤت الإنسان قبل الاكتساب .

طويت له بها<sup>(١)</sup> تلك المهامة ، ولم يرصب<sup>(٢)</sup> في البحر المحيط ولم يكاده جبل قاف ولم تدهمه الزبانية مدهمة الى الهاوية ) .

قال وما يفيد هذه القوة الاغتسال بعين خراة ، وأراد بالعين الخراة<sup>(٣)</sup> علم المنطق . والاغتسال بهذه العين هو جلاء الذهن واستعداده بقوانين المنطق ليحصل اليقين لمعرفة الموجودات وأراد بالخراة المفيدة لقوة المنطق إذ الخبر هو صوت الماء ، فأشار به الى المنطق الذي يفيد هذا العلم ، والى الاقتدار على تحصيل المحاولات بالمعلومات .

وأراد بقوله في جوار عين الحيوان الراكدة ، أي ان علم المنطق مناهج لعلوم الحقائق وآلة يتوصل بها اليها . وعين الحيوان هو العلم الحقيقي .  
فقال : اذا هدى اليها . . . . . فرائها أي متى وفق طالب العلم فليتهدي الى هذا العلم فحصله وجلا ذهنه به وشرب منه أي اقتناء على سبيل الملكة .  
سرت في جوارحه منه مبتدعة أي اقتدرته وحصلت له منه أي قوة لم تكن له قبل ، فقوي بها على قطع تلك المهامة أي على الاحاطة بأصناف الموجودات والسلوك منها بلا تعب ولا نصب .

قوله : ولم يرصب في البحر المحيط أي لم يلبث في الجهل الشامل لكل يعني [ ورقة ٩٥ الف ] المتميزين بثل هذه القوة ، وقوله : ولم يكاده جبل قاف أي لم يشق عليه صعود جبل قاف أي الترقى الى أعلا درجات العلم وهو العلم اليقيني . ولم تدهمه الزبانية مدهمة الى الهاوية أي لم تدفعه عن الحق الشكوك ، وأصناف الخيرة المستولية على الناس الموقعة إياهم إلى الجهالة والضلالة التي هي الجهل المضاعف .

(١) م و ص : مبتدعة بقوى بها على قطع تلك . (٢) ايضاً : ولم يرصب :  
(٣) ك : ( بالهامش ) عين خراة صوت الماء ، وعين خراة بالحاء المعجمة اولاً ثم للهلتين يعني جثه آب جارية ، هو صوت ويمكن ان يكون بالحاء للمهلة والراء ثم الراء من الحرز وهو الصوت والحفظ أي الباصرة الحارسة عن الخطأ .

( فاستزدناه شرح حال هذه <sup>(١)</sup> العين ، فقال : سيكون قد بلغكم حال  
الظلمات المقيمة بناحية القطب ، فلا يستطيع عليها الشارق في كل سنة الى أجل  
مسمى ، إنه من خاضها ولم يخيم عنها أفضى الى فضاء غير محدود قد شحجن نوراً ) .  
قال المفسر : يريد بالظلمات الشكوك والخواطر والتخيلات العارضة لطبقات  
الناس على درجاتهم ، وأراد بناحية القطب النفس الانسانية التي عليها مدار أمر  
الناس ومن جبهتها تدبير البدن وسائر القوى ، فلا يستطيع . . . . . أجل مسمى  
أي لا يقوى العقل والقوة النطقية على الهداية الى إزالتها وإيضاح الحق فيها  
الى أجل مسمى أي الى حين التقوى بما يكسبه من المنة التي يقوى بها على  
ذلك <sup>(٢)</sup> . إنه <sup>(٣)</sup> من خاضها ولم يخيم عنها أي من عني بالنظر فيها والبحث عنها  
وإزالة الشكوك فيها واستعد لمعرفة الحق منها أفضى الى فضاء غير محدود .  
قد شحجن نوراً أي وصل آخر الأمر الى ما استعد له من الكمال والاستنارة  
بنور العلم .

( فيعرض له أول شيء عين خراطة تمد نهراً على البرزخ ، من اغتسل منها  
خفف على الماء فلم يرجع الى الفرق ، وتسم تلك الشواهد غير منصب  
[ ورقة ٩٥ ب ] حتى تخلص الى أحد الحدين المنقطع عنها ) .  
قوله : فيعرض له . . . . . خراطة أي علم المنطق .  
تمد نهراً على البرزخ أي تصير مدداً للعقل الهولاني المستعد للمعارف  
ومدد < أ > الى استفادته من الحس من الأوليات الكليات <sup>(٤)</sup> .

(١) م : هذا .

(٢) ك : وأراد بناحية القطب النفس الانسانية التي عليها مدار أمر الناس . ومن جبهتها  
تدبير البدن وسائر القوى ، وأراد بالظلمات الشكوك العارضة لطبقات الناس على  
درجاتهم ، فلا يستطيع عليها الشارق أي لا يقوى العقل والقوة النطقية على إزالتها،  
وإيضاح الحق فيها الى أجل مسمى وهو حين يكتب منه تقوى بها على ذلك .

(٣) ب : أنها .

(٤) م و س : الحس في الأوليات والمقولات .



وقوله : من اعتسل . . . . الى الفرق أي لم ينبط في الجهل بل غلبه واستولى عليه .  
وتقسم . . . . غير منصب أي بلغت درجته في عالم المنطق الى أن يصير  
بحيث يطلع على الحقائق من غير تعب بلحقة ولا نصب يرد عن وجهه حتى  
تخلص الى أحد الحدين المنقطع عنها أي ينظر في الحقائق ولكنه الموجودات  
فيلحظ منها أول شيء الهولي <sup>(١)</sup> ثم الصورة اللتين <sup>(٢)</sup> مما هما الحدين المحجوبين  
المنقطع عنها .

فاستخبرناه عن الحد الغربي لمصابقة بلادنا إياه . فقال : إن بأقصى المغرب  
بحراً كبيراً حاملاً قد سمي في الكتاب الإلهي عيناً حائمة ، وإن الشمس إنما <sup>(٣)</sup>  
تغرب من تلقائها ومعد هذا البحر من إقليم غامر فات <sup>(٤)</sup> التحديد رحبه لا عمار  
له إلا غرباء يطراون عليه ، والظلمة متكفة على أديمه ، وإنما ينحدر المهاجرون  
اليه لمعة نور معها جنت الشمس للوجوب .

قوله فاستخبرناه . . . إياه أي يعرفنا منه أولاً حال الهولي ، فقال إن  
بأقصى المغرب بحراً كبيراً حامياً أشار به الى الهولي وبهذا الاسم سمي في القرآن  
حيث يقول : « حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمة » ،  
وغروب الشمس فيها مصير الصورة اليها وبلاستها لها <sup>(٥)</sup> .

ومعد هذا البحر من إقليم غامر أي إقليم خراب وهو إقليم الكائنات [ورقة  
٩٦ الف] الفاسدات التي تحت فلك القمر .

فات التحديد رحبه أي انه إقليم <sup>(٦)</sup> واسع يشمل على أصناف المكونات  
الفاسدات والاسطوانات التي منها يتركب الكائنات .

(١) ايضاً : من الهولي . (٢) في سائر النسخ سوى ك : اللذين .

(٣) غير موجود في م و س . (٤) ب : قال .

(٥) ك : وملابستها إياه ، وفي م و س و ب : إياها .

(٦) م و س : من إقليم . (٧) م

لا عمار له الا غرباء يطراون عليه ، أراد بعمارة الصورة التي بها كل شيء ،  
واحد منها <sup>(١)</sup> هو ما هو . وهم غرباء أي ان الصورة طارئة عليها من موضع  
آخر بعيد من موطن الهيولى .

والظلمة ممكنة على أدبها أي من حق هيولاها أن تكون بلا صورة .  
وحيث لا تكون صورة فهناك تكون الظلمة مستوية ، إذ الصورة <sup>(٢)</sup> نور  
من واهبها الذي يراها . والصور بها تزول الظلمة عن الهيولى المجردة .  
وإنما يتمحل . . . . للوجوب أي ان الكائنة الفاسدة تمحلت نورها من صورها  
المتفاداة عند أقول الصور في هيولاها واقتراناها بها .

( وأرضه سجنة كما أهلت بعنار نبت بهم فابتنى <sup>(٣)</sup> بها آخرون ، يعمرون  
فينهار ويبنون فينهال ، وقد أقام الشجار بين أهله بل القتال فأبتا <sup>(٤)</sup> طائفة  
عزت استعلت <sup>(٥)</sup> على عقر ديار الآخرين ، وفرضت عليهم الجلاء نبتني قراراً ،  
فلا يستخلص إلا خساراً . وهذا ديدنهم لا يفترق ) .

قال المفسر : وأرضه سجنة أي ان هيولى هذه الكائنة الفاسدة لا تستقر  
فيها الصور ولا تنبت كما لا ينبت في الأرض السجنة سكانها وقوامها وخلقها  
كما أهلت بعنار نبت بهم .

وابتنى بها آخرون أي من شأنها أن يتعاقب عليها الصور فلا يستقر فيها  
صورة بل يستبدل بخلافها أو خدما في حالة أخرى فهي أبداً تنبو <sup>(٦)</sup> بصور  
تبتطل عنها ويخلفها غيرها .

يعمرّون فينهال ويبنون [ ورقة ٩٦ ب ] فينهال أي كل كائن فيها فاسد  
لا محالة ، وقد أقام الشجار بين أهله بل القتال أي ان هذه الصور المتعاقبة

(١) ب : منها . (٢) في سائر النسخ : الصورة . (٣) ب : وابتننا .

(٤) م و س : فأبتا . (٥) أيضاً : استوت .

(٦) نيا للكان بفلان : أي لم يواقع .

المبادلة عليها متعادلة متضادة متعالية كان بعضها أعداء البعض ، فهي تسايل<sup>(١)</sup> على مكنتها .

فأيتا طائفة عززت أي غلبت بقوتها استعلت على عقر ديار الآخر من أي صورة استخفمتها الميولي بحسب أمزجة الاسطوانات بصورتها الميولي ، وبطلت الصورة الأخرى المتقدمة ، وفرضت القادمة على السابقة الجلاء عن أوطانها ، والاخلال بها ينبغي قراراً ولا يستخلص إلا خساراً ، أي ان الغرض ثبات تلك الصور بأعيانها أن لو أمكن ولم يمكن ، حفظ ثباتها للاستبدال والتعاقب .

وهذا ديدنهم لا يفكرون أي ان هذه الأحوال الطييبة هذه الكاينة الفاسدة لا تتغير في حال من الأحوال عن طبيعتها هذه .

( وقد تطرق هذا الاقليم كل حيوان ونبات ، لكننا اذا استقرت به ورثته وشربت من مائه غشيتها<sup>(٢)</sup> غواش غريبة<sup>(٣)</sup> عن صورها ، قترى الانسان فيها ، وقد جلده<sup>(٤)</sup> مسك يبيحة ونبت عليه أنيث من العشب ، وكذلك حال كل جنس آخر ، فهذا الاقليم وإقليم<sup>(٥)</sup> خراب سبخ مشحون بالفتن والخيخ والخصام والمرج يستعير البهجة من مكان بعيد ، وبين هذا الاقليم وإقليمكم أقاليم أخرى<sup>(٦)</sup> . قال المفسر : أراد بقوله +<sup>(٧)</sup> وقد تطرق ... نبات أي من شأن الصور الحيوانية والنباتية أن تلابس هذه الميولي والمواد لكننا اذا حصلت فيها

(١) تسايل التوم : أي تواردوا من كل جهة .

(٢) أيضاً : غشيتها . (٣) ب : غرمها (٤) م و ص : قد جلده بخير الواد .

(٥) م و ص : فهذا إقليم . (٦) م و ص و ك : أقاليم أخرى .

(٧) + . . . . + موجود في ك باختلاف يسير : « الا ان من شأن الصور الحيوانية

والنباتية > ان < تلابس هذه الميولي والمواد لكننا اذا حصلت فيها غشيت

هذه الصورة المجردة . . . . ، وقوله .... بهية أي مثال ذلك ان الصورة الانسانية

اذا حصلت في للمادة اقترنت بها أعراض غريبة من شكل ما وقدر ما وكذلك كل

واحد من الانواع سوى الانسانية . وانظر م و ص أيضاً .

وانطبعت المواد بما غشيت هذه الصورة المجردة . غواش غريبة أي أعراض  
تلتزمها بسبب الميولي .

تقرى الانسان . . . . . مبيعة أي مثال ذلك ان الصورة الانسانية [ ورقة  
١٢ الف ] مثلاً اذا حصلت في المادة اقترنت بها أعراض غريبة من شكل محدود  
ووضع محدود وقدر محدود لا يكاد يختص بشكل دون شكل ولا قدر دون  
قدر ولا وضع دون وضع ، وكذلك كل واحد من الأنواع سوى النوع  
الانساني + (١) ، فانها لا تخلو عن عوارض تقرر بخاض صورها .

فهذا الاقليم . . . . . مكان بعيد ، فهذه الصفة جملة ما فصله في الكلام المتقدم  
من الأحوال (٢) الكائنة الفاسدة وبين هذا الاقليم واقليةكم أقاليم أخرى .  
أراد بالأقاليم الأنواع المعدنية والنباتية والحيوانية ، وبأقليةكم النوع الانساني .  
( لكن وراء هذا الاقليم مما يلي محطة أركان السماء اقليم شبيه به في أمور  
منها أنه منصف غير أهل إلا من واغلين غرباء (٣) ، ومنها أنه مسترق (٤)  
النور من شعب غريب ، وإن كان أقرب الى كوة النور من المذكور قبله ،  
ومن تلك (٥) انه مرسى قواعد السموات (٦) كما ان الذي قبله مرسى قواعد  
هذه الأرض ومستقر لها ) .

التفسير : قوله لكن وراء . . . في أمور ، أشار به (٧) الى الأجرام السماوية  
التي أولها مما (٨) يلينا تلك القمر وآخرها ومنتهاها (٩) الفلك التاسع ، وجعلها  
إقليماً آخر (١٠) وراء الاقليم المتقدم ذكره ، إذ كانت طبيعته مباينة لطبيعة  
الكائنات الفاسدات (١١) وان كانت مشابهة لها على ما ذكره في أمور . منها

(١) 'يرجع للعاشية رقم ٧' في الصفحة السابقة (٢) ب : احوال .

(٣) م و س : غرباء واغلين . (٤) ايضاً : يترق . (٥) ايضاً : ذلك .

(٦) ايضاً : السماويات . (٧) ايضاً : بها . (٨) ايضاً : مايلينا .

(٩) « ومنتهاها » غير موجود في م و س . (١٠) ب : وخلفها : اقليم آخر .

(١١) م و س : الفاسدة . وفي ك : الفاسدات ، كما في ب .



انه صنف ..... غرباء (١) + أي احد ما يشابه به الأجرام السماوية الأجرام الكائنة الفاسدة انها ذات هيولى مجردة باعتبار ذاتها عن الصور + (١) وإنما قطعاً عليها الصورة ، تأنيها من موضع غيره ، فكأنها بقعة غير أهل لا ساكن بها ولا واغل غريب محبي من مكات آخر .

ومنها انه مسترق ..... غريب اي مما تشابهان فيه أيضاً ان كل واحد منها يستعير النور (٢) من انه شعب أي جانب بجانب له وذلك انها طبيعة هيولانية قابلة للصورة ، ومستعار نورها من طبيعة عقلية واهبة للصورة ، وجعلها تسرق أي بأخذ ما ليس لها بذاتها من النور كما ان السارق والمسترق يفوز بما ليس له من المال .

قوله : وإن كان ..... قبله أي إن معدن النور ومستقاه (٣) الذي هو الأمر العقلي بالجملة (٤) يأتي منه النور الى هذه الأجرام السماوية بلا واسطة ، ويأتي منه الى الكائنة الفاسدة بوسط السماوية (٥) فتكون (٦) لذلك السماوية (٧) أقرب الى المعدن أي أشد تقريباً (٨) . وهذا على ما عرفت من حقيقي (٩) المتقدم والمتأخر في موضعه .

ومن تلك ..... ومستقر لها . أي وبما تشابه كل واحد منهما فيه الآخران كل واحد منهما مثبت لقواعد أي حامل لصور ومستقر لها ، أما الحامل للصور الثابتة فمرسى ومثبت لقواعد وحقايق السماويات المتزعة عن الكون والفساد ، وأما الحامل للصور المتعادلة المتعالية المتبادلة فمرسى ومثبت لقواعد وحقايق الأرضيات المنوثة بالكون والفساد .

- (١) + .... + موجود في ك أيضاً ، وفيه « ما شبه به الخ » .  
 (٢) ك : اي يستعير النور من جانب بجانب له وذلك انها .... واهبة للصور .  
 (٣) موجود في ب و ك فقط .  
 (٤) ك : « الذي » موضح « بالجملة » .  
 (٥) أيضاً : بلا واسطة ومنها الى الكائنة .... (٦) غير موجود في م و س .  
 (٧) ب : السماوية .  
 (٨) أيضاً : قدما .  
 (٩) أيضاً : حقيقي .

( لكن العبارة في هذا الاقليم مستقرة ولا <sup>(١)</sup> مقاصبة بين ورآدها للمحاط  
ولكل أمة صقع محدود لا يظهر عليه <sup>(٢)</sup> غيرهم غالباً ) .  
قوله : لكن ... للمحاط أي لكن هذا الاقليم أي اقليم السمائيات وإن  
كان مأهولاً معشوراً بفرباء فان عمارها مستقرون فيها أي صورها صور لا يفارقها  
ولا يتباطل بأخذارها فلا يغضب <sup>(٣)</sup> بعضها بخط بعض على ما عليه الأمر في  
الكتابة الفاسدة بل حالها في ذلك مخالفة لحالها ومباينة [ ورقة ٩٨ الف ] لها  
على ما يدل عليه قوله ولكل أمة صقع محدود لا يظهر عليه غيرهم غالباً .  
( فأقرب معاصرة منا بقعة سكانها أمة صفار الجثث حثاث الحركات ومدنها  
ثماني مدن ) .

قال المفسر : قد أخذ يفصل ما أجمله بقوله ولكل أمة صقع محدود ،  
فقال : أقرب مساكن هذا الاقليم منا بقعة ... الحركات ، وأشار بذلك الى  
فلك القمر ، وعنى « بسكانها » <sup>(٤)</sup> القمر ووصفه بصفر الجثة إذ كان جرمه <sup>(٥)</sup>  
جزءاً من تسعة وثلاثين جزءاً من جرم الأرض .  
وأصحاب الهيئة جعلوا مقدار الأرض الذي عرفوه واستنبطوه بالقياسات  
الصحيحة والاعتبارات الوثيقة معيار < أ > يقاس اليه سائر الأجرام ، وصح  
لهم أن مقدار سطحها بالتقريب مائة واثنان وثلاثون ألف ألف وستاية ألف ميل ،  
بالمقدار الذي هو ميل في ميل بالليل الذي هو أربعة ألف ذراع بذراع السواد <sup>(٦)</sup> ،  
وان مقدار جرم القمر هو المقدار المذكور ، ومقدار جرم عطارد جزء من  
اثنين وعشرين ألف جزء من جرم الأرض ، ومقدار جرم الزهرة جزء من  
سبعة وثلاثين جزءاً من الأرض . ومقدار جرم الشمس مثل الأرض مائة

(٢) م و م : عليهم .

(٤) ب : بكاته .

(٦) ايضاً : السواد .

(١) الواو غير موجود في م و م .

(٣) ايضاً : يصيب .

(٥) ايضاً : اذ كان جزء منه جزءاً .

وسنة وستون مرة ، ومقدار جرم المريخ مثل مرة ونصف وثمان مرة ، ومقدار  
جرم المشتري مثل الأرض خمس<sup>(١)</sup> وتسعون مرة ، ومقدار جرم زحل مثل  
الأرض احدى وتسعون مرة .

ومقادير أجرام : أما التي في العظم الأول فكل واحد منها مثل الأرض  
مائة مرة ، وثمان مرات . وأما التي في العظم الثاني فمثل الأرض تسعون مرة .  
وأما التي في العظم الثالث فمثل الأرض ثنتان<sup>(٢)</sup> وسبعون مرة . وأما التي  
في العظم الرابع فمثل الأرض أربع<sup>(٣)</sup> وخمسون مرة . وأما التي في العظم  
الخامس فمثل الأرض ست<sup>(٤)</sup> وثلاثون مرة . وأما التي في العظم السادس وهو  
[ ورقة ٩٨ ب ] أصغر ما يرى من الكواكب التي أمكن قياسها فمثل الأرض  
ثماني عشرة ، وأعظم الأجرام السماوية قدراً هو الشمس . ثم الكواكب  
الثابتة التي في العظم الأول وهي خمسة عشر كوكباً ، ثم المشتري ، ثم زحل ،  
ثم الكواكب الثابتة الباقية كلها على مراتبها ، ثم المريخ ، ثم الأرض ، ثم  
الزهرة ، ثم القمر ، ثم عطارد .

فلذلك جعل القمر صغير الجثة أي بالقياس الى الأجرام المذكورة . ووصفه  
بسرعة الحركة إذ كان يقطع فلك البروج في سبعة وعشرين يوماً ونصف وخمس  
ساعة بالتقريب ، وعطارد يقطعه في ثلاثاً وخمسة<sup>(٥)</sup> وستين يوماً وربع يوم .  
والزهرة في مدة زمان عطارد ، والشمس في تلك المدة بعينها ، والمريخ في  
سنة فارسية عشرة أشهر واثنين وعشرين يوماً ، والمشتري في احدى عشرة<sup>(٦)</sup>  
سنة وعشرة<sup>(٧)</sup> أشهر ، وخمسة عشر يوماً بالتقريب ، وزحل في تسع<sup>(٨)</sup>  
وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة أيام ، والكواكب الثابتة في ست وثلاثين  
الف سنة ، فلذلك جعل القمر حثا<sup>(٩)</sup> الحركة .

(٣) ايضاً : اربعة .

(٢) ايضاً : اثنان .

(١) ب : خمسة .

(٦) ايضاً : احدى عشر .

(٥) ايضاً : خمس .

(٤) ايضاً : ستة .

(٩) ايضاً : حث .

(٨) ايضاً : تسعة وعشرين سنة .

(٧) ايضاً : عشر .

قال : ومدنها ثمانى مدن ، أشار به الى الأجرام التي ينقسم اليها فلكه ويشتمل عليها بموجب ما وجد له من الحركات ، فانه وجد له ثمانى حركات ، فوجب أن يكون لكل حركة منها جرم على حدة<sup>(١)</sup> على ما شرح في كتب الهيئة .

( وتتلوها مملكة أهلها أصغر جثثاً من هؤلاء ، وأثقل<sup>(٢)</sup> حركات يلهمجون بالكتابة والنجوم والنيرنجات والطلسمات والصنائع الدقيقة والأعمال العميقة مدنها تسع مدن ) .

التفسير : أشار بذلك الى فلك عطارد وواجب أن يكون ساكنه الذي هو عطارد أصغر جثة مما تقدمه وهو القمر وأبطأ حركة منه ، وأنت تعرف صحة ذلك بما أورد في ذكر مقادير الأجرام ومقادير الحركات ، [ ورقة ٩٩ الف ] في الفصل المتقدم ، ووصفه باللهج بالكتابة والنجوم والطلسمات والنيرنجات والصنائع الدقيقة والأعمال العميقة وهذا على مذهب أصحاب النجوم واعتقادهم دلالة عطارد على هذه الأمور المذكورة . ثم قال ومدنها تسع مدن فهو يدل به على ما شرح في باب القمر .

( ويتلوها وراءها مملكة أهلها ممتعون<sup>(٣)</sup> بالصباحة ، مولعون بالقصف والطرب مبرأون من الغموم لطاف لتعاطي المزاهر<sup>(٤)</sup> ، مستكثرون من ألوانها تقوم عليها امرأة قد طبعوا على الاحسان واخير ، فاذا ذكر الشر اشمأزوا عنه ، ومدنها ثمانى مدن ) .

التفسير : أشار بهذا الفصل الى فلك الزهرة ، ووصف الزهرة بهذه الأوصاف المذكورة وهو أيضاً على مذهب أصحاب<sup>(٥)</sup> النجوم .

(١) أيضاً : م و س : على حد ما شرح أسره في كتب الهيئة .

(٢) ب : أثقل . (٣) م و س : ممتعون .

(٤) ب : لطاف التعاطي للمزاهر . (٥) م و س : احكام .



( ويتلوها مملكة قد زيد لسكانها بسطة في الجسم وروعة من <sup>(١)</sup> الحسن ، ومن خصالم أن مفارقتهم من بعيد عنيزة الجدوى ، ومقاربتهم مؤذية ، ومدنها أربع <sup>(٢)</sup> مدن ) .  
أشار بهذا الفصل الى فلك الشمس ووصف الشمس بأنها أوتيت بسطة في الجسم ، وأراد به عظم مقدارها الذي <sup>(٣)</sup> خصت به من دون غيرها .

( ويتلوها مملكة تأوي اليها أمة يفسدون في الأرض حبيب اليهم الفلك والفك والاعتقال والمثل مع طرب ولهو يملكهم أشقر مغرى بالنكب والقتل والضرب ، وقد قن كما يزعم رواة أخبارها بالملكة الحسناء <sup>(٤)</sup> المذكور أمرها ، قد شغفته حباً ، ومدنها سبع مدن ) .

أشار بهذا الفصل الى فلك المريخ .

( ويتلوها مملكة عظيمة أهلها عالون في العفة والعدالة [ ورقة ٩٩ ب ]  
والحكمة والتقوى وتجهيز جهاز الخير الى كل قطر واعتقاد الشفقة على كل من دنا <sup>(٥)</sup> ، وبعد ، وإذلال <sup>(٦)</sup> المعروف الى من علم وجهل ، وقد جسم عظمهم من الجمال والبهاء ومدنها سبع مدن ) .

التفسير : أشار بهذا الفصل الى فلك المشتري .

( ويتلوها مملكة يسكنها أمة غامضة الفكر ، مولعة بالشر ، فان جنحت للاصلاح أتت نهاية التوكيد <sup>(٧)</sup> ، وإذا أوقعت بطائفة لم تطرفها طروق متهور بل توختها بصورة الدواهي <sup>(٨)</sup> المنكر ، لا تعجل فيما تعمل ، ولا تعتمد غير الأثاة فيما تأتي وتذر ، ومدنها سبع مدن ) .

أشار بهذا الفصل الى فلك زحل .

( يتبع ) محمد المدعو بصغير حسن المصري



(١) ايضاً : في . (٢) ايضاً : خس . (٣) ايضاً : التي .

(٤) ايضاً : الحسنى . (٥) ب : الشفقة عن دنا . (٦) ايضاً : إذلال .

(٧) م و س : التأكيد . (٨) ايضاً : بسيرة الداهي .

# تاريخ فكرة إيجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر؛ مع نقر وتعليق

- ١٠ -

## هـ - أمين الخولي :

ومن أجل ما كتب في عصرنا عن فكرة الإيجاز ما كتبه الأستاذ الخولي في ثلاثة مواضع من أبحاثه : الأول : « بحث البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها » والثاني : « التفسير : معالم حياته ومنهجه اليوم » والثالث مقالة : « البلاغة وعلم النفس » التي نشرها في مجلة كلية الآداب ( المجلد الرابع الجزء الثاني ديسمبر سنة ١٩٣٦ ) . ذكر في « بحث البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها » كيف أن البلاغة كانت وسيلة لمعرفة الإيجاز عند القدماء ، ثم ذكر رأي العسكري ( ص ٢٨ ) في ضرورة علم البلاغة لمن يريد أن يدرك الإيجاز بعده رأي صاحب الطراز ثم أثر فكرة الإيجاز في كتب البلاغة كوجود كلمة الإيجاز في عناوين كثير من الكتب وتوجيه التأليف فيها وتكوين الآراء في وجه حسن الكلام وعظم أثرها فيما نرى من مذاهب في ذلك وفي ظهور مؤلفات في البلاغة مما لا يمكن فهمه الفهم الجيد كما يقول إلا بعد الرجوع إلى مذاهب المتكلمين في الإيجاز كما تشرحها كتب العقائد ثم يذكر رأي ابن خلدون في أن فائدة البلاغة معرفة الإيجاز وقد ذكرته له أثناء الحديث عنه .

ثم يذكر ضرر الفكرة القائلة بأن الإيجاز يعمل وأن البلاغة هي طريق هذا الاستدلال وهو ازهاق الروح الأدبية وجعل البلاغة موازين جافة لا روح فيها ولا فن ولا ذوق وعدم جدوى دراستها في تكوين روح أدبية جيدة ثم يبين

فساد هذا القول - وهو أن الإعجاز يعطل - ويورد رأي السكاكي وقد أشرت إليه أثناء الكلام عليه وهو أن الإعجاز يدرك بالدوق وطول الممارسة لعلوم الأدب وبخاصة البلاغة وأن هذا الإدراك وهذا الدوق يحتاجان إلى استعداد خاص في النفس ويستحسن الأستاذ الخولي رأي السكاكي هذا في أن يكون طريق معرفة الإعجاز تكوين الدوق الفني ودرس البلاغة على ما تقتضي به أصول التربية الفنية الصحيحة ولا يرى ضرراً حينئذ من قصر البلاغة على ييات الإعجاز قصر آفياً ويقول بأن قواعد البلاغة الجافة التي نجد ما في شرح السعدالتفتازاني لا تنفيذ في تربية هذا الدوق الأدبي وبأن الاختصار عليها خطأ فني بل تقصير ديني لأنها لا تنفيذ شيئاً في فهم الإعجاز بل ترين على البصيرة وتضعف قوة الإدراك .

أما كتاب « التفسير : معالم حياته ومنهجه اليوم » فيتملق ما يخص بحث الإعجاز فيه بنقد فكرة التفسير العلمي التي أصبحت وجهاً من وجوه الإعجاز عند المتكلمين وبذكر الأستاذ الخولي في البدء فكرة اتساع القول في احتواء القرآن جمل العلوم جميعاً واشتماله إلى جانب العلوم الدينية اعتقادية وعملية ظاهرة وخفية سائر علوم الدنيا ثم يذكر أن الفزالي كان لعده أكثر من استوفى بيان هذا القول في كتابه الإحياء وقد ذكرت رأي الفزالي سابقاً في الكلام عليه وقلت إنه مهد لفكرة الإعجاز العلمي ثم يذكر الأستاذ الخولي هذه النزعة عند الفخر الرازي ومحمد الاسكندراني وفكري باشا وعبد الرحمن الكواكبي والرافعي الذي مهد له السيوطي بالقول في الفكرة وطنطاوي جوهري ومحمد توفيق صدقي وقد أوردت ما له صلة بهم في هذا الشأن عند الكلام عليهم وعلى فكرة التفسير العلمي .

ثم يورد إنكار الشاطبي لهذا التفسير العلمي وردوده عليه في كتابه المواقفات وقد ذكرته حين الكلام على الشاطبي ثم يضيف إلى هذا النقد ما يؤيده من الأنظار الحديثة فيها :

١ - الناحية اللغوية في حياة الألفاظ وتدرج دلالتها فلا يجب أن نضيف للألفاظ معاني لم تكن فيها حين نزول القرآن وإنما اصطلح عليها لها فيما بعد .

٢ - الناحية الأدبية أو البيانية من حيث مطابقة الكلام لمقتضى الحال فهل هذا التفسير العلمي يوافق حال العرب حين نزل القرآن زمن النبي وهل يصح أن يخاطبوا به من حيث مدلولاته ومب هذه المعاني كانت موجودة في القرآن ولم تحمل الألفاظ معاني لا تطبقها فهل فهمها العرب يومئذ من القرآن وإذا كانوا يفهموها فلم لم تبدأ نهضتهم العلمية بظهور القرآن فيهم وإذا لم يفهموها فكيف تكون هي المقصودة .

٣ - الناحية الدينية من حيث مهمة كتاب الدين وأنه ليس كتاباً عالياً وكيف تؤخذ منه جوامع العلوم وكتبتها تتغير بتغير الأزمات والأجيال ؟ وذلك بتقديم العلوم .

ثم يعقب على هذا بأن ضرر هذه الفكرة في الإعجاز أكثر من نفعها وأنه يكفي في الدلالة على عدم منافضة الدين للعلم ألا يوجد نص صريح يخالف الحقائق العلمية على أن هذا تساهل منه - كما يقول - لأن تناول حقائق الكون ومشاهده يقصد به رياضة وجدانات الناس ويقوم على المشهود البادي من حيث روعته في النفس ووقعه على الحواس واتعمال الناس به لا من حيث دقائق قواعده ولا يجب الوفاء فيه بحجاجة الحقائق العلمية للاعتبار بعظمة القوة المدبرة للكون . ثم يقول إنه قد يبدو فيه ما هو متعارض مع الحقائق العلمية ولا خير عليه في ذلك لأنه ليس كتاب علم وليس من اللازم اللازم أن يتكلف ربط الكتاب بالعلم .

ثم نرى الأستاذ الخولي يقول بالإعجاز النفسي في القرآن وذلك « لأن ما استقر من تقدير صلة البلاغة بعلم النفس قد مهد السبيل إلى القول بالإعجاز النفسي في القرآن كما كشف عن وجه الحاجة إلى تفسير نفسي للقرآن يقوم



على الإحاطة المستطاعة بما عرف العلم من أسرار حركات النفس البشرية في الميادين التي تناولتها دعاوة القرآن الدينية ... الخ» .

وبنصل الأستاذ الخولي القول في هذا الإعجاز النفسي في مقاله : « البلاغة وعلم النفس » في مجلة كلية الآداب <sup>(١)</sup> فبعد أن يعدّد القول في الإعجاز يقرر أن إدراك العلاقة بين علم النفس والبلاغة يهدي الى قول محدث أو رأي جديد في فهم الإعجاز القرآني ولو لم يكن تعليلاً له بالمعنى العام ثم يعدّد المعاني التي يمكن أن تتحمل وتفهّم من إطلاق كلمة الإعجاز النفسي والتي لا يقصد اليها كوقع القرآن في النفس مثلاً وغيره مما لا ينبغي ولكنه لا يراه تعليلاً كافياً للإعجاز كذلك لا يريد أن يساير من يدعي إمكان استنباط علم النفس من القرآن وإنما يريد أن نستفيد من علم النفس الحديث في بيان الإعجاز وهو يرى أن القرآن معجزٌ إعجازاً نفسياً باستفادته من طبيعة النفس البشرية ومعرفة بشؤونها المختلفة والنواميس التي تخضع لها واستخدامه ذلك في تأييد دعوته وحجته .

ولما كانت هذه القواعد غير مقررة زمن النبي وهو لا يعرفها كان ذلك قولاً في علة الإعجاز منتبهاً الى علم ما لم يكن - ( مما هو أساس الفن الأدبي ودعائه ) - ويمكن الاستغناء بهذا عن بقية نظريات الإعجاز .

ويضرب المثل على الإعجاز النفسي بالتكرار وما قال القدماء فيه ثم يبان ما قرره علماء النفس حديثاً فيه من أنه أقوى طرق الإقناع وخير وسائل تقوية الرأي والعميدة في النفس البشرية على هيئة وفي تودة دون استشارة لخالفيها بالجدل والمشادة في نظم البرهان والتعرض البادي للاستدلال إلى آخر ما يسوق علماء النفس على ذلك من شواهد ومثل عملية تقني عن اختراع الوجوه في تعليل التكرار القرآني وجعله مثار الجدل والاختلاف .

وينتهي من هذا الى ضرورة تفسير القرآني تفسيراً نفسياً ولو لم تنته إلى

(١) المجلد الرابع ج ٢ ديسمبر سنة ١٩٣٦ .

اتخاذ الطريق النفسي في فهم الإعجاز ومحاولة دركه لأن هذا الفن القرآني وهذا الموضوع الاعتقادي جانبان من جوانب الحياة الوجدانية .

ويضرب بعد ذلك مثلاً لمكانة القواعد النفسية في فهم التفسير بالآيات (١٩٣ - ١٩٥) من سورة الشعراء (السورة ٢٦) : « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين » وبذكر أن الخلاف فيها أدى بعضهم إلى القول بأن القرآن نزل بلامنى لا باللفظ وأن اللفظ من عند الرسول وبذلك ينكر الإعجاز ثم يبين كيف أن الزمخشري هو من المعضلة بأن جعل المعنى مرتباً هكذا : « نزل به الروح الأمين على قلبك بلسان عربي مبين لتكون من المنذرين » وذلك بإدراكه أن الأعجمي يحتاج إلى أن يسمع الألفاظ وينظر فيها ليصل إلى معانيها على حين يدرك ابن الألفه المعاني بقلبه رأساً من غير أن يفتن إلى الألفاظ .

وبعيد هنا رأيه الذي ذكره في « البلاغة النفسية » وهو رأي السكاكي قبله من أن الإعجاز لا يطل وهو يدرك بالذوق الأدبي والاحساس الفني . ولا يجد تناقضاً بين رأيه في الإعجاز النفسي ورأيه في أن الإعجاز يدرك بالذوق فالوجه النفسي رجوع بالبلاغة إلى مصدر الحياة الفنية في الإنسان ووصل أصول الفن القولي بأصول الحس الفني ثم إن البلاغة في أبة صورة درست هي مادة تكوين الذوق وإرهاق الحس لتهيئة أفكار فنية صحيحة وإدراك جمال القول وإعجاز الكلام .

وأخيراً يقول إن هذا البيان في الجمال الفني لن يرتقي في بحث الإعجاز والشعور بروعة الأدب إلى حد أن يكون من نوع التعليل العلمي أو الفلسفي أو المنطقي وليس إلا خبرة بالنفس تهدي إلى ترجمة صحيحة صادقة عما تجده من حسن أدبي والمسقف على درك الإعجاز المهيئ للذوق هو طول الخبرة النفسية ومعاينة الأدب تردفها هبة إلهية .

وما يقوله الأستاذ الخولي في أثر فكرة الإعجاز في نشأة علم البلاغة وخطأ الفكرة القائلة بأن الإعجاز يعطى بموازين البلاغة الجافة التي لا روح فيها حتى تقرر معه كما تقرر معه خطأ فكرة التفسير العلمي التي يراد منها إثبات إعجاز القرآن . ويبدو لأول وهلة أن الأستاذ الخولي الذي أطال القول في تقديمها لم يستطع أن يتحور منها تحوراً تاماً لأنه عندما شرح نظرية الإعجاز النفسي التي جاء بها قال : « ولما كانت هذه القواعد - أي قواعد علم النفس - غير مقررّة زمن النبي وهو لا يعرفها كان ذلك قولاً في علة الإعجاز منتهياً إلى علم ما لم يكن - ( مما هو أساس الفن الأدبي ودعامته ) - ويمكن الاستغناء بهذا عن بقية نظريات الإعجاز » ووضح أن هذا القول يتصل بنظرية التفسير العلمي اتصالاً ظاهراً لأنه يقرر أن القرآن معجز لاستفادته في مخاطبة الناس من قوانين عليّة لم تكن معروفة زمن النبي - ؛ إلا أن الأستاذ الخولي لا يقصد من قوله هذا أن قواعد علم النفس يمكن أن تستنبط من القرآن وأن اعتماد القرآن على هذه القواعد التي لم تكن معروفة في زمنه هو علة الإعجاز وإنما يريد فيما اعتقد أن يبين السبب الذي من أجله كان القرآن مؤثراً في نفوس العرب وبلغنا بلاغة معجزة قطعهم عن أن باتوا بمثلها وهو عدم معرفتهم بالنفس الإنسانية معرفة خالقهم بها ولهذا لم يكونوا ليخنوا مخاطبتها مثله وبفهم قول الأستاذ الخولي على هذه الصورة نرى أن الإعجاز النفسي في نظره أقرب إلى أن يرتبط بالبلاغة المتصلة بعلم النفس والقائمة عليه كما يريد بها الأستاذ الخولي أن تكون من أن يكون مرتبطاً بنظرية التفسير العلمي التي رأينا بنكرها أشدّ الإنكار . وقد يقول قائل إن هذا الإعجاز النفسي إذا كان قاصراً على حسن استعمال القرآن للقواعد النفسية في خطاب الناس وإقناعهم والدعوة لآرائه فليس كافياً إذ يمكن وضع كتاب الآن يحسن مخاطبة الناس والكتابة

مع مراعاة القواعد النفسية فيزول بذلك إعجاز القرآن فيرد عليه بأن القرآن قد استخدم هذه القواعد في وقت لم تكن فيه قد اكتشفت وتدارسها العلماء . فإعجاز القرآن قائم في جزء منه على علم ما لم يكن ثم إنه قائم على شيء آخر وهو أن القرآن أحسن استخداما إلى درجة يعجز الناس عن أن يأتوا بقريب منها .

وهكذا نرى أن إعجاز القرآن النفسي يحتاج للبرهان عليه إلى مقارنة نصوص القرآن بغيرها من النصوص الأدبية لتعرف مدى التفاوت بينهما في هذا الميدان النفسي وهنا نصطدم بمقبة اصطدم بها الأقدمون الذين قالوا بإعجاز القرآن بلاشك ذلك أن الأستاذ الخولي يقول بما قال به السكاكي قبله وهو أن الإعجاز لا بطل وإنما يترك للذوق الأدبي والاحساس الفني ومقياس الذوق مقياس مرن ليس له قوة البرهان الرياضي ثم إن الأذواق تتباين وتفاوتت بتباين آراء أصحابها وتفاوت عقائدهم فيكون هذا المقياس غير فاصل في تقرير إعجاز القرآن لاسيما وأن كلام كل بلوغ لا يخرج من مراعاة هذه القواعد النفسية التي يستعملها بالليقة وبصورة عفوية وما من أثر أدبي يكتب في الحقيقة صفة الأدب الخالد إذا لم يكن يفهم النفس البشرية فهماً دقيقاً وعلى هذا تكون هذه النظرية كمنظريه عبد القاهر الجرجاني ، القائمة على النظم ، ولا يمكن بها إثبات إعجاز القرآن إلا إذا أبتأ تقصير غيره من النصوص الأدبية عنه في مراعاة هذه القواعد النفسية وليس ذلك بالأمر الهين . ومثال التكرار الذي جاء به الأستاذ الخولي على حسن استخدام القرآن لفائدة التكرار النفسية التي قررها العلماء حديثاً لا يكفي لإثبات إعجاز القرآن لأن الجاهلين قد استخدموا التكرار في أساليبهم قبل القرآن فنجد في قول سهل :

« يا بكر أنشروا لي بكلياً يا بكر أين أين الفرار »



وفي أقوال طائفة غيره وكثيراً ما نجد شعراء الجاهلية يكررون شطراً في القصيدة عدة مرات بل تزيد فنقول إن التكرار لم يتفرد به الأدب العربي فقط ونراه في أساليب الأدب العربي وربما كان شعور الأستاذ الخولي بقصور هذه النظرية عن أن تكون فيصلاً باتناً في قضية الإعجاز هو الذي هياً له القول : « إن هذا البيان للجمال الفني لن يرتقي في بحث الإعجاز والشعر بروعه إلى حد أن يكون من نوع التعليل العلمي أو الفلسفي أو المنطقي » .

ومعاً يؤخذ على نظرية أستاذنا الخولي من الأقوال فإن لها خطورتها وقيمتها وهي مظهر من مظاهر النشاط الفكري والتجديد في هذا العصر بعد الخمول الطويل الذي اعتري بحث هذه القضية منذ أواخر القرن الخامس الهجري .

وهنا يجب أن نقدر للرافعي أيضاً كلامه في الإعجاز الروحي والموسيقى في القرآن فذلك منه تجديد له قيمته . وهاتان الحركتان الفكريتان حركة الرافعي وحركة الخولي تيارات حركة العصر الذي نعيش فيه ورقبه الفكري إلى حد كبير .

نسيم الحمصي

(يتبع)



## التعريف والنقد

١ - عمر بن عبد العزيز : الخليفة الزاهر

٢ - أبو طالب : شيخ بني هاشم

٣ - جعفر بن محمد : الإمام الصادق

هذه ثلاثة كتب ألفها الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل الأديب العربي الكبير . وكتب سيد الأهل لها طابع خاص يتميز به : عروبة مغلصة صادقة ، و لغة بليغة ناصعة . ومن حسن التأليف وكأله . أن يجعل المؤلف صلة وثيقة بين موضوعه وأسلوبه . فالكتابة عن الجاهلية وصدر الإسلام ، تتطلب بياناً عربياً سهلاً جزلاً . وهذا ما هو عليه السيد عبد العزيز في ما يضعه من كتب ، أو يدبجه من مقالات . استمع اليه في مقدمة كتابه « أبو طالب » يقول : « وليس من محمود للناس في رجل رعى النبي وحماه أكثر من أربعين عاماً ، أن تقتضب أخباره كما اقتضت ، وأن تنثر وتبعثر كما نثرت وبعثرت ، وأن يقل روايتها ويضطربوا ، كما قلوا واضطربوا . ثم ينسى فضله كله ، ويقف التاريخ منه في ساعة موته موقفاً واحداً عجيباً ، يتحدث عن الرجل الذي حيا النبوة ونافع عنها بقوة وتضحية وإيمان ، كأنما يتحدث بلسان مخلق من الهوى ، عن رجل دخيل ، أو عن واند غريب » .

ومثل : لمن جعلت هذه القصة ؟

قال :

« جعلتها للأغنياء ، لتكون لهم قلوب تعطف على ذوي الميادي والمصلحين .

وجعلتها للفقراء والغنماء ، ليؤمنوا بحاجتهم الى عطف الأغنياء وشجاعة الأتقيا .  
 وجعلتها للنساء الصالح ، ليجمع أخبار أبطاله اذا تناثرت ، ويحفظها اذا نسيت .  
 وجعلتها لأهل الأخلاق ، ليثقوا أن نور اليقين يظهر يتناً لمن يريد ، معها  
 أثبت الوسيلة واضطربت الطريق » .

ويصف في كتابه هذا أم جميل فيقول :

« وكانت أم جميل بنت حرب ، امرأة جارية المطلق ، خيشة الطبع ،  
 لثيمة الطوية . تطلق 'هجر الحديث من غير أن يردعها رادع . ولو قدر لها  
 أن تسيطر على نفسها لما استطاعت نيل أمرها .  
 كانت تباري الخطوب العرج ، فتروح أعرج منها . وتسبق نواب الدهر ،  
 فتغدو أكدر من كدرتها ، وتخطي فتلج في الخطيئة ، وتحمق فلا ينطق لها غيظ ،  
 وتسب فلا يحبس في صدرها 'هجر . وتتقلب في مجالس النساء عند السر بالاثم  
 والمذمة . وكما رأت نارا للبغضاء أثبت عليها من لسانها حطباً جزلاً ، وتنفخت  
 فيها من أنفاس خيشة تشقد بالحمق والضعفة ، فتزيد لها لواراً واشتعالاً .  
 فلما التقى أبو ذب بأم جميل ، انتلنا واتحدنا ، وحس أحدهما صاحبه على الشر ،  
 فتسابقا اليد وجلتيا فيه . وزر قد بات أبو ذب على فكرة من الخير لبرمت به  
 أم جميل ، ولو قد بات شي عليها ، لبرم بها أبو ذب . « واتفق شن طينة »  
 والتفت الحية بالحية ، فأحكما حبلاً من السوء مبرماً » .

ويقابل بين الإيمان والكفر فيقول :

« وليس للإيمان عدو يخشاه إلا إيمان مثله ، وأين الكفر من الإيمان ؟ ذلك  
 خائر ضعيف ، وهذا قوي عنيف » .

وفي تقديم كتابه « جعفر بن محمد » يقول داعياً الى الوحدة :

« ولم لا نجتمع أو نرسل وراء الأمل ظنوناً هواتف ! والناس في آفاق  
 الأرض يلمون أنفسهم جماعات ، وينتظمون في ميادي ومذاهب ، ومع ان

معظمها من صناعة المادة ولحمة الدنيا ، فانهم يرون فيها القوة ، ويظنون فيها العزة . والاسلام أجدر أن يلم أهل ، ويجمع شمله . والشمل لا بد مجتمع والأهل لا بد ملحومون ...

وما بالمسلمين اذا اختلفوا في الفقه والرأي ! فان ذلك هبة الحرية ، التي منحها الاسلام العقول ، فجرت في مناهج ، وسلكت سبلاً ، واختلاف الرأي لا يفسد ود الناس متى كان في حياطة العدة من الفساد ، والبعد من الضلال .

وفي مقدمة : « عمر بن عبد العزيز » يقول :

« كانت مدة عمر بن عبد العزيز سكةً للناس وأماناً ، وهداةً للخواطر واطمئناناً ، ثم سرت المدة ولم تعد ، لأن الزمن وهو متشابه الأجزاء والدوران ، لم يجد لعمر بن عبد العزيز شبيهاً ، وصارت كلمة « المدة » علماً على عهده كما ذكرت المظالم المردودة ، والعدالات المفروضة » .

ويصف المؤلف خروج عمر بن عبد العزيز من المدينة معزولاً عن ولايتها ، وصفاً جميلاً هو قطعة من الشعر إذ يقول :

« .. » وخرج في غير موكبه ذي الثلاثين بعيراً الذي كان قد دخل به يوم ولي أمرها .. وخرج عمر والمدينة تتل في ذهنه ، وتراءى أمام خاطره ، وتتلف نفسه عليها . ولو كان خروجه نهراً لما غاب طرفه عنها ، حتى تغيب في لجة البادية من خلفه . ولكنه خرج ليلاً والظلام يغرقها ويمحق معالمها . وكانت وهي تغيب عنه في الظلام ، كأن لم تغب ، فهو يحفظها في صدره فيراها قوماً قوماً ، وحياً حياً ، وداراً داراً : الأشراف والموالي ، والتجار والعمال ، وباعة الخبث والخبث<sup>(١)</sup> .. » .

(١) وقصر الخبث بانه ورق ينفض بالخياط ويحذف ويطعن ويخلط بدقيق او غيره ، ويضرب بالماء حتى يتلج فتوجره الابل تداوى به . والخبث : الحامض او المر .



بالغ المؤلف في التبع والاستقصاء ، فجمع لكل من هؤلاء الثلاثة الذين ترجم لهم ، ما تفرق من أخبارهم ، حتى كاد لا يترك شاردة ولا واردة - صغرت أو كبرت - إلا قيدها ونشرها . من أقوال وآراء ومناقشات ومناظرات . والحديث عن عمر بن عبد العزيز ، واسع مداه ، بمجموع أكثره ، - وهو حديث عن خليفة ، كان بعضهم بعده خامس الخلفاء الراشدين - لذلك كانت الكلام عليه أغزر مادة ، وأبعد غوراً من الكلام على غيره ، فكان كتابه سيد الكتب الثلاثة .

ولعل الأستاذ سيد الأهل يأذن لنا في ملاحظات نرى أن تبديها خدمة لهذه الكتب المفيدة :

في كتابه « جعفر الصادق » كاد يزعم له تبييناً من روح النبوة ، أو ما هو فوقها من علم الغيب - وهو العلم الذي اختص الله به نفسه دون المرسلين ، ودون الناس أجمعين - بل هو قد زعم له صراحة : « انظر من ثقب الغيب » العبارة التي كررها في بعض المواضع ، وأوردها - في مواطن أخرى - رأياً لغيره بتسكي عليه ، ويتقوى به . وثمة روايات متناقضة كانت تحتاج الى معايرة وترجيح . من ذلك ما جاء في الصفحة الـ ٨٩ من ان « عمر بن عبد العزيز » خلع يمينه من أعناق الناس ، وهي رواية لا نستقيم وما جاء في الصفحة الـ ٨٣ من قوله لرجاء بن حيوة : « إني أخشى أن يكون - يريد سليمان بن عبد الملك - قد أسند إلي من هذا الأمر شيئاً ، فأشدك الله وحرمتي إلا أعلمني ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ذلك » . ويقول في الصفحة الـ ٢٤٢ يفتخر من بني أمية : « لقد ظلت الدولة الأموية تملك الخلافة مائة عام أو نحوها . وهذه المدة أقصى مدة تعيشها دولة يتردى أمراؤها في حماة الانحراف . » ثم يعيد هذه العبارة نفسها مرة ثانية في الصفحة نفسها . وهذا الرأي لا يوافقه التاريخ عليه كثيراً ، فأبي دولة عربية أو غير

عربية عاش ملوكها وأمرأؤها - إلا من عصم ربك وقليل ما هم - عبثة غير منخرقة عن طريق الصواب ؟ ومع هذا فقد عاشت مئات السنين إلى أن جاءها الطالب من غيرها .

ومما يحتاج في رأينا إلى نظر قوله : « ولم يزل محمد هو هو » كررها مرتين في الصفحة الواحدة ، ولعل الصواب « لم يزل هو إباد » . واستعماله « الرضوخ » بمعنى « الاذعان » و « الكفاءة » في موضع « الكفاية » وناؤه الفعل للمجهول مع الفاعل المعلوم ، وجر الفاعل بحرف الجر - « سبق بدراستها بخالد بن يزيد وغيره » و « سبقت بأحاديث » وهو تركيب أجنبي غريب عن الأسلوب العربي . وما كنت أحب له أن يصرف « عنوان » في قوله : « وأوصى فلاناً وفلاناً وعنواناً البصري » وعنوان اسم علم ممنوع من الصرف ، ولا حاجة هنا لصرفه ، وقوله « مات بها » عن المدينة والأولى « مات فيها » والموت بالشيء غير الموت في المكان و « حباً فيه » والصواب « حباً له » و « الثقة فيه » والأولى « به » ولا أحببت له أن يستعير اللون للتعبير عن البطولة ، في قوله « لون البطولة » والبطولة تكون في النفس وفي القلب ولا يستحب لها أن تكون لوناً مهما اجتهد الكاتب في تخريجها .

هذه وأمثالها هنات هينات ، في جانب ما للأستاذ في هذه المؤلفات وفي غيرها من حسنات .

## التبشير والاستعمار

في البلاد العربية

تأليف الدكتور مصطفى الحالدي والدكتور عمر فروخ

هذا الكتاب : « عرض جهود المبشرين التي ترمي الى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي » .

عاشت النصرانية في الشرق ، في ظل الاسلام أحقاباً طويلاً ، على غير ما عاش الاسلام في النصرانية في الغرب - إذا جاز مثل هذا التعبير - فلقد لقي المسلمون من تغشّت اندول النصرانية ومن ظلمهم واضطهادهم ثم من إجلالهم عن مواطنهم ، في شرقي أوروبا وغربيها بعد أن دالت دولة الاسلام منها ، ما لا يتفق وروح النصرانية السحرة ، وتعاليمها النبيلة . ولكنها السياسة تلبس لباس الدين ، فتطفئ عليه ، وتذوب مبادئه المستقيمة في أساليبها المتثوية . وعاشت النصرانية في عز الاسلام ومنعته ، قوية كريمة يشول أبنائها مناصب الدولة الكبرى : الكتابة والحساب والوزارة . في عراصم الخلافة : دمشق وبغداد ومصر . إلا لحاحات من الزمن ، كان يغلب فيه سلطان جائر ، يعم جوراً في كثير من الأحيان ، العالمين أجمعين ، من مسلمين ومسيحيين .

فلما أن كان صدر التاريخ الأخير وما بعده ، تحركت نزعة من التعصب الديني الدميم ، عند المسلمين والمسيحيين ، ما عرفتها القرون الأولى في الاسلام ، ولا هي تمت بسبب صحيح الى الدين القويم . فما عدا عما بداء وكيف تغيرت الحال غير الحال ؟

هذا ما تجد أسبابه وعوامله ، صريحة واضحة في كتاب « التبشير والاستعمار » .  
تجدها مجملة في الكلمة الأولى التي بسط فيها المؤلفان « منهج الكتاب » :

« ٠٠٠ ومن منا كان يصدق أن رجالاً جاؤا الى بلادنا ليرأسوا مؤسسات عليّة مشهورة بالعالم كانوا مبشرين في الدرجة الأولى ؟ » .

« لقد حرصنا نحن على أن نثبت هذه التهم بشواهد من كتب المبشرين أنفسهم .  
إننا لم نلجأ الى خيالنا ٠٠٠ بل رجعنا الى ما كتبه الأجانب نليحاً وتصريحاً ،  
ولقد فضلنا في الاستشهاد التصريح على التلميح . والكتب التي رجعنا اليها  
تتبعاً على الحصر . إنها تعد بالمئات . ولكننا نحن لم نثبت الشواهد إلا من  
نوعين من هذه الكتب الكثيرة : كتب المبشرين المعروفين ، والكتب التي  
تصرّح بقاياتها تصريحاً لا التواء فيه ولا غموض » .

« ٠٠٠ ونحن نعتقد أن القاري بعد أن يبدأ قراءة هذا الكتاب سيرى  
صواب ما نقوله : إن التبشير أشد ضرراً على بلادنا من الاستعمار ، لأن الاستعمار  
لم ينفذ الى بلادنا الا تحت ستار التبشير » .

وقد أشار المؤلفان بعد ذلك الى مصادر الكتاب ، فاذا هي قرابة مئة مصدر  
عدا ما « يجده القاري في ثنايا الحواشي » وهذه المصادر موضوعة باللغات الأجنبية :  
الانكليزية والفرنسية والألمانية .

ومن رجف الى توطئة الكتاب عرف ما بذله المبشرون من جهد في عملهم  
التبشيري . فقد ذكر المؤلفان أن « شترايت » و « ديتريش » ، أصدرتا بين عام ١٩١٦  
وعام ١٩٣١ سبعة مجلدات ذكر فيها أسماء المصادر والمراجع التي تدور حول  
المبشرين وجهودهم ونسبيل أعمالهم . ثم ان أكثر هذه الكتب مفصلة تفصيلاً  
كثيراً ، فان الرسائل التي كتبها المبشرون من سورية والشرق الأدنى فقط  
الى زملائهم بين عام ١٨٣٠ وعام ١٨٤٢ طبع في ثلاثة عشر مجلداً من أصل  
ثمانية وثلاثين مجلداً .

« ولما اجتمع مؤتمر التبشير العالمي في ادنبرة ( في اسكوتلندة ) عام ١٩١٠  
أصدر تقريراً عن النواحي المختلفة التي يجب أن يهتم لها المبشرون ، ثم طبعه في



عشرة مجلدات ، ومؤتمر التبشير الدولي الذي اجتمع في القدس عام ١٩٤٨ وضع تقريراً في ثمانية مجلدات . وهناك عشرات أمثال هذه الكتب والتقارير قد ظهرت كلها في مجلدات عديدة ضخمة » .

« وفي عام ١٨٦٩ كانت أعمال مدارس التبشير الافرنسية في الشرق تقتضي أربعة مجلدات تقع في نحو ألف وخمسمائة وخمسين صفحة . ومدارس التبشير الانكليزية في جبل لبنان أصدرت تقريراً عن أعمالها بين ١٨٥٦ و ١٨٦٨ يقع في مجلد كامل » .

« أما المجلات التبشيرية التي صدرت في بلدان مختلفة وبلغات مختلفة فهي أكثر من أن يحصوها العد . أضف الى ذلك ما في العالم من جرائد ومجلات سياسية أو أدبية أو علمية ، لا تظهر عليها صبغة التبشير ، ولكنها في الحقيقة وسائل قوية من وسائل المبشرين » .

« ومع هذا فليس في اللغة العربية الى اليوم كتاب يكشف النقاب عن غايات المبشرين الحقيقية ، وينبه على الأخطار التي يودّ المبشرون أن يعرضوا لها الشرق والعرب والإسلام » .

ويعضي المؤلفان بعد هذا المرض - في كشف الستار عن أعمال المبشرين ، وكيف انهم ينسترون بالعالم وبعمل الخير إخفاءً لنياتهم التبشيرية بل الاستعمارية . يؤبدان ذلك بأقوال المبشرين أنفسهم وتقاريراتهم ومؤلفاتهم .

فالكتاب من هذه الناحية ، وحيد في بابهِ ، خلّقت بكل عربي ، بل بكل شرقي ، أن يقرأه وأن يتدارسه ليعرف ما يريدُه هؤلاء المستعمرون وزبائنتهم ، به ويلاذه من ضرر وشر ، تحت ستار العلم والفضيلة .

جزى الله المؤلفين عن وطنها وقوميتها خير الجزاء .

عارف النكدي

## فلسطين بين نارين

ابراهيم خوري

لو أصيبت أمة من الأمم التي تدرك قيمة الوطن بمصيبة مثل مصيبة فلسطين لتفرغ كتبها وشعراؤها وخطبائها لتصوير الفاجعة حتى تشرب قلوب شيوخها وكهولها وشبابها وأطفالها ونسائها بغض الظالمين وحتى تفنى عزائهم في سبيل بقعة مقدسة فلا يملكهم غمض الليل دون العودة الى حياضهم ، فمن المؤلم أنه لم يظهر في العرب إلا قليل من الكتب التي تصور اليهود في حقائق صورهم وتنبض في الكلام على الصهيونية ومؤامراتها في الاعتداء على فلسطين وتكشف عن نيات الدول التي أعانت الظالمين على ظلمهم .

في مقدمة هذه الكتب كتاب : فلسطين بين نارين للأستاذ ابراهيم خوري ، لقد اهتم المؤلف الى عنوان حريف فصور على الكتاب « تشرشل » و « ترومان » وفلسطين بين ناريهما ولو كنت صاحب هذا الكتاب لسميته : فلسطين بين ثلاث نيران : نار « تشرشل » ونار « ترومان » ونار العرب أنفسهم الذين باعوا أرضهم في فاتحة الأمر وتخاذلوا في الدفاع عن فلسطين في خاتمة الأمر بسبب أهواء بعض ذكرها في مثل هذا المقام .

تقبل الأستاذ ابراهيم خوري في كتاب : فلسطين بين نارين طريقة « برناردشو » في رواياته ، إن هذا الكتاب يصور كثيراً من أخلاق اليهود ويشير الى أكثر اليهود الذين دخلوا في دين البروتستان وأصبحوا رعاة كنائس يستخدمون ديناً بني على المحبة والسلام في سبيل قضية بنيت على الظلم والعدوان إلا أن الأستاذ المؤلف لم يخض في روايته إلا بعد أن مهد لها على نحو ما يفعل « شو » في رواياته بفصل لم أقرأ أنصع منه حقيقةً وأظهر إخلاصاً لقد جمع لهذا الفصل مواد لا يستطيع جمعها إلا المؤرخ المتوثق في تاريخه ، جمع الأدلة والبراهين الناطقة بحيث إذا قرأ القاري هذا الفصل رأى الصهيونية ومؤامراتها والدول التي نصرتها ماثلة بعينه كأنها لحم ودم وروح .

بتعذر عليّ التوسع في الكلام على تفاصيل هذا التهيد وهذه الرواية ولكنني لا أجد مندوحةً عن إجمال هذا الكلام فقد فصل الأستاذ ابراهيم خوري حقائق الأسباب في كارثة فلسطين وحقائق العوامل في تمكين اليهود من دخول فلسطين وجعلها وطنًا قومياً لهم وبين كيف يهيئ اليهود أولادهم لفلسطين وكيف يبدلون المال في هذه السبيل وكيف استطاعوا أن يشتروا ضمائر أصحاب الأمر النافذ في انكلترا وأميركة وأن يضلوا رجال كنائس البروتستان وكيف سيطروا على كبار أهل السياسة من انكليز وأميركان .

هذه هي الأفكار التي نقضها الأستاذ ابراهيم خوري من مدافنها فأفرغها في أصدق قالب بحيث يستطيع القارئ أن يحيط بقضية فلسطين من أكثر وجوها . وإذا كان بين هذه الأفكار ما هو معروف في طبقات الخاصة فإن بينها فكراً ننحصر معرفته في قليل من هذه الطبقات ، ان رجال البروتستان في انكلترا وأميركة مقاماً رفيعاً في الناس وقد شعر اليهود بهذا المقام فدخل بعضهم في دين البروتستان وحوّلوا هذا الدين عن نشر الحبة والسلام في البشرية إلى جمع الناس بأموالهم وأرواحهم وأوطانهم واجتهدوا في صرف العقول والقلوب عن الانجيل إلى التوراة حتى يزداد الإيمان بصدق أباطيلهم فتمّ لهم ما أرادوا .

إذا استطعت ان أحيط بطائفة من أفكار المؤلف التي نشرها والإخلاص ملء شموزه فلا أريد أن أنهي الكلام دون التنبيه على رغبته التي أفصح عنها في آخر فصل من فصول كتابه . ان بلاد العرب بأجمعها معرضة لغزو الصهيونية فلا ينجيها من هذا النشر المستطير إلاّ وحدة هذه البلاد على أن تكون وحدة صادقة تصدر عن القلب لا عن اللسان وحده .

وأنا أظن أن هذه البلاد إذا ظلت تستخف بهذه الحقيقة الناصعة ويلهو بعضها بنفطه وذهبه ومعادنه إذا ظلت تتهاون بهذه الوحدة المقدسة راضية بهذا النعيم الذي تتقلب في أعطائه فيأتي يوم لا يتركون لها فيه قطناً ولا ذهباً ولا معدناً .

## مذكرات سائح في الشرق العربي

للاستاذ أبي الحسن علي الحسيني الندوي  
وكيل ندوة العلماء بالهند

اشتمل هذا السفر النفيس على محاضرات ومناظرات ومذكرات وأحاديث ألقاها وأجراها الأستاذ الشهير السيد أبو الحسن الندوي في مصر والشام والعراق والسودان وغيرها من بلدان الشرق العربي ، وجمع منها كتاباً ممنوعاً يقع فيه أكثر من ثلاثمائة صفحة ، ويجد فيه القاري من الفوائد ما لا أحصيه عدداً . ابتدأت هذه الرحلة المباركة من مكة وشملت مصر والسودان وسورية وفلسطين وشرقي الأردن ، وكانت مكة أيضاً خاتمة هذا المطاف ، ويمكن جمع هذه الفرائد المنثورة في هذه المذكرات في مطلبين عظيمين : التعليم ، وقضية فلسطين ، وإني أصف ما يدخل في هذين الموضوعين من هذا الكتاب وصفاً يبين رأي المؤلف في كل منهما .

الأول : إن التعليم الديني في الهند يختلف عنه في الأقطار العربية التي تتمتع فيها دور العلم بمساعدة الدولة بحمايتها ، أما في الهند فينتفي عليها الشعب المسلم ، ويعلم فيها علماء متطوعون ، وذلك يثير في العلماء روح الجهاد والتطوع والاحتساب ، ومدرسة المؤلف دار العلوم التابعة لندوة العلماء من كبريات المدارس الدينية في الهند ، ومركز ثقافي عظيم للمسلمين .

وحما ممتاز به الدعوة منهم خروجهم الى الفواحي والبوادي والمدن ، وإتقانهم على أنفسهم ، وتأثير هذه الدعوة العامة الشعبية المتطوعة في ثرائها ، وقد رأيت أناساً من هذا الصنف في دمشق ، ودخل بعضهم جامعتنا للدقّاق في حي الميدان ، فأثرتهم بقراءة الدرس بين العشاءين لما طلبوا ، ودعوتهم الى دارنا بعد صلاة العشاء ، ولكنهم بدا لهم فلم يفعلوا هذا ولا ذاك ، بل آثروا الجلوس والتحدث مع بعض الناس على قراءة الدرس وسماعه .



كان للأستاذ المؤلف جولات في شؤون التربية والتعليم مع من لقيهم في مصر من كبار أساتذة الجامع الأزهر والجامعة المصرية ، ومحاضرات علمية ، ومذاكرات مع طلاب هذه الكليات الدينية والمدنية وكان يوجه الأنظار الى الصراع الذي أصبح منحصراً بين الحضارة الغربية ، وفلسفة حياتها ، بمكربها الديموقراطي والشيوعي ، وبين الدين الاسلامي والأمة الإسلامية ، وعلى الثبان أن يجاهدوا في هذه السبيل كما فعله الشباب الشيوعيون واليابانيون في سبيل وطنهم ومبادئهم ، ويضرب أمثلة جميلة للتضحية والبطولة التي ظهرت في شباب الإسلام من أهل الهند ، ولا بد لذلك من الاستعداد والتربية الدينية والخلقية والروحية والعلمية ، وإن الإسلام لا تقوم له قائمة إلا بالجمع بين العاطفة القوية ، والعقل الصحيح .

ودخل الأزهر فهبت عليه نفحة من نفحات الماضي السعيد ، تحمل معها أريج العلم والإخلاص ، وتجددت له ذكرى علماء السلف المخلصين الذين كانوا يجلسون على الحصير ، ويحكمون على الملوك ، وكانوا مخلصين لدينهم وعلمهم وأمتهم مجاهدين في سبيل الحق ، ورأى في مصر مهرجان العيد المزعوم ، للشهيد المظلوم « وهو الحسين عليه السلام وعيد ميلاده » وعجب لعلماء مصر ومؤرخيها كيف لا يبينون للناس أنه لم يدفن في مصر .

دارت أحاديث في الأدب والدين بين المؤلف وبين المشتغلين بهما ، فقال له أحدهم : إنه كبير الأمل في باكستان والهند وأندونيسيا ، ولكن ينبغي لم أن يخطأوا ، ولا يقلدوا مصر ، ويحتجوا بها على أن فيها الجامع الأزهر ، فإنها قد اتجهت هذا الاتجاه « أي غير الديني » رغم الأزهر ، والمؤلف يعلق الأمل والرجاء على « الأخوان » بشروط يبينها . وما ذكرته هو قليل من كثير من فوائد محاضراته ومجمعاته ، وقد لقي في السودان زعيمها الديني السيد المبرغني ، والزعيم المدني الرئيس الأزهري ، فذكر الأول ما يلاقي الدعاء في أفريقيا من الصعوبات والعراقيل التي تنشأ الحكومات المستعمرة في سبيل الدعوة ،

وقد اجكر نظامًا للشباب السوداني كان الحافظ لم من الجائحات والتيارات المعارضة للدين والأخلاق ، وكان لهذا النظام تأثير كبير في تهذيب الأخلاق ، وتنظيم الشباب ، وانجذاب كثير من غير المسلمين الى هذه المنظمات ، ودخولهم في الاسلام بفضلها ، وأثنى الأستاذ الأزهري على السيد الميرغني ، وعلى إخلاصه في الدعوة ونشاطه ، وقال : هذا رجل موفق لا شك ، ورأى بعض علماء الشام أن أقرب طريق ، وأنجح وسيلة لإصلاح الأوضاع الفاسدة ، هو التأثير في رجال الحكومة الذين يديم أزمة الأمور ، والسلطة التنفيذية ، وإصلاح المعارف ، وتوجيهها الاسلامي ، وإصلاح الاذاعة ، والمبينا ورقابة الأفلام ، وترية أئمة المساجد ، وهو قوتي الأمن ، عظيم الثقة بتأثير هذه الوسائل العصرية في توجيه الشعب .

وأما قضية فلسطين فهي متسكة المشاكس ، والشغل الشاغل ويرى المؤلف أن السبب الأكبر في النشل هو الافلاس الروحي ، وفقدان الايمان ، وانطفاء الحماسة الدينية في الشعوب والدول التي كانت تقاوم في ميدان فلسطين ، وأن الحضارة الغربية والمادية هي التي جنت على هذه الشعوب وقضت على قوتها الروحية ومعنوياتها ، ولذلك كانت تواجه النشل التدريجي ، والمزمنة المتكررة في كل معركة وصراع ، وقد جنت الجامعة العربية على قضية فلسطين بتكفلها بها ، ثم تقاعدها عنها ، وعزل الشعب الفلسطيني المجاهد عن السلاح ، وتسليم اثنائى العربية الى اليهود ، فلا تركت الشعب الفلسطيني الفيور الباسل يواصل جهاده ولا أغنت عنهم شيئاً . قال الأستاذ الندوي : رأيت المسلمين - أهل فلسطين - كفرباء وأيتام ، لا يشعرون بكرامة ، ولا بثقون بمستقبل ، قلوبهم منكسرة ، ورؤوسهم منكسة ، ولم أجلس إلى أحد إلا ووجدته منكسر الخاطر ، جريح النفس ، ويحكى حكايات ، تدمع العين ، وتحزن القلب .

واستنبط من حديث شاهد عين لما جرى في فلسطين من مهازل ومآسٍ ،  
ولما مثلته الجامعة العربية من مضحكات مبكيات ، أن قضية فلسطين كانت  
مسرحة قد أخرجها الانكيز وأصدقائهم من قبل ، ولم يكن فيها جد ولا  
حرب ، إنما كانت خطة مدبرة ، وأمرأ ميتاً .

نصح الأستاذ للقوميين العرب بأن صداقة الملايين من المسلمين خير من  
إيثار القومية العربية عليهم ، وبأن على العرب المسلمين مهنتين : تجديد الدعوة  
في بلادهم ، ودعوة العالم الى الاسلام .

زار مؤرخ الشام الكبير الأستاذ كرد علي رحمه الله ، فقابله في بيته بجفوة  
« لم يقابلها إلا أفراد قلائل من الأدباء والكتاب » وما قاله له : هل تعلمون  
أن للهند فضلاً ونصيبة في أعمال السيد ابن عابدين العلمية ، وذلك لأن والده  
كان تاجراً ، وكانت له صلات قوية في الهند ، فكان يجلب كتباً فقهية من  
الهند لولده ، وكان السيد يطالعها ، إذن فللهند بد في تكوين ثقافته ودراسته  
الفقهية . وقال : أهدى إلينا الأستاذ محمد كرد علي كتابه كنوز الأجداد ،  
الذي هو من أحب مؤلفاته إليه ، وزرنا انجمع العلمي واجتمعنا بالأستاذ خليل  
مردم بك للمرة الثانية ، وأهدى إلينا ديوان علي بن الجهم الذي خدمه وعلّق عليه  
وقام بتصحيحه ، وقد تفضل فذكرني مراراً بمناسبة كثيرة ، وذكر ثلة من  
أهل الفضل والنبل في هذا الشرق العربي .

ومن أفضل الأخبار والطفها أن نساء أسرة المؤلف كن يجتمعن كل يوم ،  
خصوصاً في أيام حادثة أو اجتماع ، وكن يتلون كتاب فتوح الشام ، وكان  
أحد أقاربهن وهو السيد عبد الرازق قد نظم فتوح الشام للواقدي في شعر  
« أوردو » في خمسة وعشرين ألف بيت ، وصار هذا الكتاب ملحة إسلامية  
منظومة ، وهو في غاية التأثير والانسجام .

ومما هو جدير بالذكر ما يهتم به حديثه بعد زيارته لكل قطر من نصح وتذكير ، كما فعل في ص ٢١٦ - ٢١٧ ؛ ماذا أعجب من مصر ، وما أنكره منها ، وكما فعل في ص ٢٠٣ و ٢٠٨ من ذكره منكرات الطريقة الميرغنية ، وإنكاره لنشيد مبتدع وثني ، ولتعليق صورة السيد الميرغني في المساجد . ومن الفوائد وصفه للسودان ( طبيعياً وجغرافياً وسياسياً ودينيًا ) وكما فعل في ص ٢٠٢ من بيانه ما لوريا وما عليها ، وقد أحسن في وصفه الشامل لها ، وذكر مساحتها ، وعدد سكانها وأديانها ، ووضعها الإداري والاقتصادي ، والتعليم فيها بمراحله الثلاث ، وقد أتم نصحه لها - في ما أخذ عليها ص ٣٠٤ - بقول الصحابي الجليل عمرو بن العاص لمصر : « إنك في رباط دائم لكثرة الأعداء حولكم ، وتشرف قلوبهم اليكم ، وما أشد انطباقها علينا . ثم ختم كتابه بتوجيه كلمة لجزيرة العرب ، ووصفه للعالم العربي .

والله تعالى يشكر للمؤلف جميل صنعه ، ويثيبه على جهاده الشاق في سبيل ملتنا وأمتنا ، ويكثر في العلماء العاملين من أمثاله .

قام بطبع هذا الكتاب جماعة الأزهري للتأليف والترجمة والنشر ، ووقعت فيه أغلاط لا يخلو منها غيره ، ولكن كان ينبغي أن يوضع فيه جدول للخطأ والصواب ، وإني منه على ما رأيته منها : ص ١١ إلا أني لم أرى . كنت حريص . وصوابها : إلا أني لم أر ، كنت حريصاً . ص ١٥ العالم الغربي : العربي . ص ١٦ شفا : شعباً - وأن حركة : أنت ( بلا وار ) . ص ١٧ وقام الأستاذ : قام . ص ٢٤ مهمة المدعوة : الدعوة . ص ٢٥ الذين هاجروا : « فالذين » - أرباب : « أأرباب » - إلا الله : « إلا الله » . ص ٤٠ العلم المصري : المصري . ص ٩٩ غزو التيار : النار . ص ١٠٣ الأستاذ حين : حين . ص ١٠٤ وقد هدموا : هزموا . ص ١١٢ الدولة



الأورية : الدؤل . ص ١٣٩ بالذي هو خيراً : « خير » . ص ١٧٢ مرتسمة  
 في الشعب : الدهن - العالم الراحل : العام . ص ٢١٩ إن المساجد : « وأن  
 المساجد » . ص ٢٢١ وتوجنا : وتوجهننا . ص ٢٢٣ قرية بلده : يلدا ( بالياء ) .  
 ص ٢٦٣ في مجلس الدقاق . مسجد الدقاق . ص ٢٦٨ جامع جنكيز : دنكز .  
 ص ٢٧٤ مع وأبناء : مع أبناء . ص ٢٧٦ قبر ابن التيم في الميدان التيجاني :  
 في مدخل مقبرة الباب الصغير . ص ٢٩٣ : وتقوسها ( أي سورية ) ٣٠٠ و ٤٣٠ و ٣٠٠  
 والصواب ثلاثة ملايين لا ثلاثون .

محمد بهجة السطار

مكتبة

### لهجة العارفين

أسماء المؤلفين وآثار المصنفين

مؤلفه : اسماعيل باشا البغدادي

وناشره : المعلم رفعت الكسبي ومحمود كمال انال

وطبع بعناية وكالة للعارف في مطبعتها باستانبول سنة ١٩٥١

طبع المجلد الأول من هذا الكتاب ناشره على نسخة المؤلف وصححاه نفخدا  
 العلم والمكتبة العربية بذلك خدمة جليلة ، وهذا المجلد يقع في ٤٢١ صفحة كبيرة  
 في كل منها خط قائم يقسمها قسمين أو عمودين تتابعت فيها التراجم المرتبة  
 على حروف الأبيجدية ، فالأعمدة على ذلك ٨٤٢ تنتهي بباب اللام ، وباب الميم أول  
 المجلد الثاني . ويذكر الأستاذ الكسبي أحد الناشرين في مقدمته التركيبية أن هذا  
 المجلد الأول يشتمل على ٥٣٩٨ ترجمة تبلغ مؤلفات أصحابها نحو ٢٥٠٠  
 كتاب ، والقسم الكبير منها في العلم والفن وربعها دواوين شعر ، فهذا الكتاب  
 مجمع للعلماء والشعراء ، منهم ٩٩ / مسلمون تقريباً ، وفي آخر هذا المجلد فهرست  
 ( جدول الأسماء ) في ٤٠ صفحة .

م (٩)

وطريقة المصنف في التعريف بالترجم أن يبحث عن ثمانية أشياء : اسم المؤلف ، واسم أبيه ، ونسبته ، وشهرته ولقبه ، وبلاده ، ومذهبه ، وتاريخ وفاته ، وكونه تركياً ، ثم يسرد مصنفاته ، وقد وضع نجماً صغيراً أمام كل من ظن أنه تركي بنسبته إلى الروم غير أن كثيراً من علماء العرب توطنوا بلاد الروم أي الترك فنسبوا إليها . والنسبة إلى البلدان لا تثبت موطن الإنسان ، وقد بحث الناشر الكندي عن المؤلف وقومه فرجح أن يكون تركياً ، وإن لم يكن اسم والده معروفاً ، وكلمة باشا لا تدل على قومه ، ولو كانت النسبة إلى البلدان دالة لاستدلنا ( بالبغدادي ) ولعل محققاً من إخواننا في العراق يبحث عن ذلك .

وكان المؤلف على غلط صاحب فهرست . قد ترك كثيراً من البياض لئله بعد أن تتوفر المعلومات لديه ، ولو مدّ الله في أجله لكان الكتاب أكبر حجماً وأغزر عملاً ، وللمؤلف البغدادي أثران تبيان : هذا الكتاب الذي نعرف به الآن ، وذيل كشف الظنون الذي طبعته وكالة المعارف التركية .

أما تراجم هذا الكتاب فمنها ما ترجمت بسطرين أو ثلاثة ، ومنها ما ملأت عموداً أو عدة أعمدة فالشاعر الدمشقي الصالحى إبراهيم بن محمد الأكرمي مترجم في سطرين وكتين ، وابن حجر الهيتمي في عمود ، وابن حجر العسقلاني في عمودين ، والامام ابن تيمية في أقل من عمودين ، وعبد الغني النابلسي في أربعة أعمدة ونصف ، والجلال السيوطي في تسعة أعمدة ونصف وقد سرد جلّ مصنفاته ، وأغفل معظم مصنفات الامام ابن حزم التي بلغت كما في معجم الأدباء ٤٠٠ مصنف . ويظهر أن مؤلفنا البغدادي من المتأخرين فقد نص على أن بعض مصنفات المترجمين مطبوع في بيروت أو مصر أو غيرها ، والكتب التي طبعت بعد وفاته لم يشر بالطبع إلى طبعها كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي وغيره .

لقد قام الناشران بنشر هذا الكتاب المفيد نشرًا تغلب الصحة عليه ، ووقع فيه أغلاط منها ما لعله مطبوعي مثل ( الحاريري ) في العمود ١٠٨ ، وصوابه الحاريري وهو الفخر أحمد بن الحسن الشافعي ، شارح الشافية لابن الحاجب وصاحب المفتي في النحو وشارح الكشف وغيره ، ومنها ما هو علمي كما وقع في ترجمة أبي العلاء المعري ( العمود ٧٧ ) فقد ذكر أنه « توفي بالاسكندرية سنة ٤٤٩ » ، والصحيح أنه بعد رجوعه من بغداد الى المعرة لزم داره فيها فقليل له رهن المحبين ، على أن مثل هذه الهفوات لم يعصم منها مؤلف ، فللناشرين الفاضلين حنان : منا حسن الثناء ومن الله حسن الجزاء .

### أساليب تدريس اللغة العربية

في الصفوف الابتدائية

تصنيف اسحق موسى الحسيني . مطبع دار الكتاب بيروت

الأستاذ الحسيني من أفاضل رجال التربية والتعليم من العرب ، وقد وضع هذا الكتاب للمرة الأولى بفلسطين ، لإرشاد المعلمين وتوجيههم في تدريس العربية بجميع فروعها في المرحلة الابتدائية .

ومادة هذا الكتاب هي خلاصة التجارب التي وصل المصنف اليها أثناء إشرافه على التدريس النموذجي في صف المعلمين في الكلية العربية ببيت المقدس ، وأثناء زيارته المدارس ومحادثاته لإخوانه المعلمين يوم كان مفتشاً للغة العربية في إدارة المعارف الفلسطينية العامة .

ويتألف هذا الكتاب من ٤٨ صفحة ، وهو على صغر حجمه كبير بما اشتمل عليه من الفوائد والإرشادات التربوية ، فقد بحث عن أصول تدريس الأيجدية والقراءة والقواعد والإنشاء والمحفوظات والعروض والخط والاملاء ، والقاري

لهذه الأبحاث يشعر بأنها زبدة تجارب واختبارات طويلة موفقة ، فهو يقسم القواعد مثلاً الى قسمين : قواعد تُشرح ، وقواعد تُلَقَّن دون شرح ، فالقاعدة التي تتضمن مبادئ منطقية تدخل في القسم الأول ، مثل الموضوع والحمول وتبيين ترتيبهما ، وبيان الحركات الإعرابية الناتجة من هذا الترتيب وعن دخول العوامل عليها ، ومثل ما نسبته تكملة وهو المفاعيل والحال والتمييز الخ ... والقسم الثاني ما يلقن من القواعد تلقيناً دون طويل شرح مثل تعريف الأفعال مع الضمائر في جميع الأزمنة ، وأوزان الأفعال والمزبدات والتثنية والجمع والنسبة والتصغير وما إليها .

أما لغة هذا الكتاب المفيد فهي على سهولتها صحيحة ، وأنا كالمصنف أتمنى أن يستفيد المعلمون في مدارسنا الابتدائية من مطالعته وتطبيق أساليبه .

التوضي

•••••

### الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية

( طبعت سنة ١٩٥٢ في مطبعة الاتحاد في بيروت )

رسالة مخطوطة روى حوادثها حسين غضبان أبو شقرا وهو من وجوه دروز عماطور . اعتمد فيها روى على ما سمع وخبر واطلع عليه أو شهده بنفسه في بعض حوادث الحركة الكبرى سنة ١٨٦٠ . ودون هذه الأخبار وجمعها وأضاف إليها أشياء وأخرجها للناس كتاباً ابن أخيه أبو عارف يوسف خطار أبو شقرا وكان كثيراً ما يجالس عمه هذا وبلد له سماع حوادث الماضي من فيه . ثم تحرر نصها وعلق حواشيها وملاحقها ووضع مقدمتها وفهارسها ولله المؤلف عارف أبو شقرا ناشر هذه المخطوطة التي تبدأ حوادثها بانتهاء عهد الأمير يوسف الشهابي وابتداء عهد الأمير بشير الشهابي وتنتهي بعهد دادر باشا المتصرف الأول بلبنان .



وتتضمن الحوادث اللبنانية في تلك الحقبة من الزمن التي تدعى بحق عهد الفوضى والافطاع والطائفية في لبنان . وأسباب هذه الحوادث وتبعاتها والشخصيات والأمر التي ظهرت على مسارحها بأسمائها وأعمالها وما آل اليه أمرها لأسباب تلك المأساة الرهيبة المشؤومة التي كانت شرّاً اختتام والتي جرت على لبنان وسورية معاً أسوأ العواقب .

هذا وعلى الرغم مما تحويه هذه الرسالة من المعلومات التاريخية القيمة ومما يعزى الى الراوي من صدق الرواية والى المؤلف من حسن الأمانة والى الناشر من الاخلاص وتواخي الخير من نشر هذه المذكرات المخطوطة فانها لا تخرج عن كونها من جزئيات فروع التاريخ الخاص التي لا يصح نشرها في كل زمان ومكان ولا يصلح أن تتداولها سوى أيدٍ مخلصه مجردة عن الأهواء والأغراض ، لأنها سلاح لك وعليك ، لأسباب في الأمم التي في بدء تكوينها وفيها على قيد الحياة معاصرون لحوادثها لما يتطلبه هذا التكوين من التبيان وقبول الخطأ التاريخي اللذين هما كما قال أرنست رينان « عاملان أساسيان في تكوين الأمة لما في التبعات والاستقراءات وورقي الدروس التاريخية من الخطر على القومية » على ان ما يتجلى في العالم العربي من الوعي وما في لبنان خاصة من الرقي الثقافي العلمي والاجتماعي وتوقد روح القومية الوطنية في نفوس جميع أبنائه يبرر نشر هذه الرسالة في هذه الآونة من الزمن الذي يتطلع فيها العرب جميعهم الى الاتحاد ، لأن فيها ذكرى وعظة . فهي كالترياق المستخرج من السموم دواء يقي ويشفي ويفضي الى الخير والنفع والمادة .

الدكتور أحمد الحكيم

## مشاركة في دراسة استخراج دهن الكتان<sup>(١)</sup>

بالمذيبات العضوية ولا سيما بالكحول

Contribution à l'étude de l'extraction  
de l'huile de lin par les solvants  
organiques , notamment par l'alcool .

إذا قيل الكتاب يُقرأ من عنوانه فالعنوان الطويل لهذا الكتاب يدل دلالة واضحة على موضوعه . وهو أطروحة بالفرنسية في مائة وثلاث صفحات قدمها السيد خليل الخانجي الى جامعة باريس فحصل منها على لقب دكتور . والمؤلف مهندس في الصناعات الزراعية والغذائية ، عكف على مداورة كيمياء الأجسام الدهنية ، مدة ثلاث سنوات ، في مخابر لهذه البحوث في فرنسا ، فحرب فيها تجارب كثيرة ، بإرشاد خيرة من الأساتيد الاختصاصيين .

وقد ذكر المؤلف في كتابه شيئاً عن تحلية نبات الكتان ، وتحلية بزرته وتركيبها ، وعن تاريخ هذا النبات وزراعته ومقادير غلة بزره في بلاد مختلفة . ثم انتقل الى تحليل بزر الكتان ، والى السبل التي سلكها ، والأدوات التي

---

(١) الزيت في اللغة عصير الزيتون لاغير . أما عصير البزور الأخرى فهو الدهن لا الزيت . يقال دهن الكتان ، ودهن الفطن ، ودهن الخروع الخ . وكذلك ما يستخرج من أرهار بعض النباتات أو أوراقها أو ثمارها ، بالتقطير أو المرث أو الإذابة أو غير ذلك ، فهي كلها ادهان . يقال : دهن الورد ، ودهن البنفسج ، ودهن الياسمين ، ودهن الطرخون وهكذا . واستعمال كلمة الزيت لعصير غير الزيتون هو استعمال حديث . ولعله بنيد اقتراره . وقد توسع بعض الذين ينقلون عن الانكليزية حتى صاروا يسمون النفط زيتاً . ولا أرى لزوماً لهذا التوسع في مدلول الزيت ، فالآبار التي ينبجس منها النفط هي آبار تنفط يحرق ، لا آبار زيت يؤكل . ولا حاجة بنا الى التعديل عن كلمة نفط الى كلمة زيت .

استعملها في التحليل ، وتكلم بعد ذلك على استخراج دهن الكتان بوسائل مختلفة ، كالعصر بالمكابس الأولية والمكابس المائية ، وكاستعمال المذيبات العضوية المديدة . وانتهى الى بحث استخراج الدهن بالكحول ، وهو بيت القصيد في الكتاب .

وختمه يبحث في كسب الكتان ، وهو الثفل الذي يبقى بعد استخراج الدهن من البزور ، فقايس بين مقادير المواد الغذائية في كل كسب يحصل بعد استخراج الدهن بشتى الوسائل الملمع اليها . وكسب الكتان من الأعلاف المهمة في البلاد التي تكثر من زراعة هذا النبات .

والكتاب مفيد يدل على علم صاحبه ، وعلى واسع اختصاصه وجهده . وباليه يترجمه بالعربية . فكثيراً ما تمنينا مثل ذلك على طلابنا الذين يدرسون في جامعات الغرب ، ويكتبون أطروحاتهم بلغات أعجمية .

مصطفى الشهابي

### كتاب الكتاب وصنعة الرواة والقلم وتصريفها<sup>(١)</sup>

لأبي القاسم عبد الله بن عبد العزيز البغدادي الكاتب النحوي  
الضريير مؤدب أولاد المهدي بالله (حوالي ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) .  
نشره وقدّم له وعلّق عليه دومينيك سورديل في الجزء الرابع عشر  
من نشرة المعهد الفرنسي بدمشق المخصصة لدراسات شرقية<sup>(٢)</sup>  
(١٩٥٢ - ١٩٥٤)

منذ أواخر القرن الأول الهجري ، ابتدأت عناية العرب بثقافة من يُعرفون  
به « الكتاب » . فوضعت من أجّلتهم رسائل تنفعهم في معالجة الشؤون المتصلة  
بطبيعة عملهم . وتعدّ وصايا عبد الحميد الكاتب التي ضمّنها الجيشاري « كتاب  
الوزراء » في طليعة الشواهد على تلك العناية .

ولقد توالى جهد المؤلفين في هذا الميدان خلال القرون الإسلامية الأولى ،  
فكان من آثار هذا الجهد كتبٌ مثل « الخراج » لأبي يوسف بن يعقوب .  
(١٨٣ / ٧٩٨) و « الرسالة العذراء » التي وجّهها إبراهيم الشيباني لابن المدير<sup>(٣)</sup>  
ثم بعض الكتب المتعلقة بموضوعات جغرافية ظهرت في منتصف القرن الثالث ؛  
هذا فضلاً عن المؤلف الشير الذي وضعه ابن نتيبة وأسماء « أدب الكاتب » .  
وبما يدخل في هذا الباب رسالة مخطوطة فريدة محفوظة في مكتبة محمد الفاتح

(١) كذا بما يفهم منه عودة الضمير على كلمة « صنعة » . ولعل بين الهاء والألف  
مهماً ساقطة .

(٢) Bulletin d'Etudes Orientales de l'Institut Français de Damas . (٢)  
Tome XIV ( 1952 - 1954 ) .

(٣) راجع رسائل البلغاء التي نشرها للرحوم محمد كرد علي من ٢٢٧ حاشية ٢ ( الطبعة  
الثالثة في القاهرة ١٩٤٦ ) .



باستبول ضمن مجموع ( برقم ٥٠٣٦ ) . وكان W. Björkman قد أشار الى هذه الرسالة وحاليا بصورة مختصرة <sup>(١)</sup> ولكنه لم ينشرها ؛ فجاء صديقنا السيد دومينيك سورديل وأراد لها أن تعرف عند جبهة الأدباء .

تتضمن هذه الرسالة تاريخاً للخط وبحوثاً لغوية وصرفية في الألفاظ والتعابير المتصلة بمينة الكتاب ، وجريدة بأسماء أشهر الكتاب والكواكب من النساء ، وظرائف من أخبار بعض أولئك ، ثم مقاطع من رسالة الجاحظ في ذم الكتاب <sup>(٢)</sup> . ولقد بين السيد سورديل ، في الفاتحة التحليلية التي قدم بها لمنشوره ، أهمية رسالة عبد العزيز البغدادي بالقياس الى أمثاله من المتأخرين كالصولي وابن درستويه ، لاسيما في موضوعات لم يتناولها هؤلاء : كذكر الكواكب من بليغات النساء ، والكلام على صنعة الترسل عند عبد الحميد ، و « ما يجب أن يكون في الكاتب من آلة » ، كما أن الناشر نقل الى الفرنسية بعض النصوص نقلاً أناربه مواضع كانت غامضة بسبب اضطراب الأصل <sup>(٣)</sup> . فاستحق من كل المعنيين بتراث العرب جزيل الشكر على عمله العلمي الذي يتجلى فيه أثر الجهد والعناية تجلياً يخلق بالناشرين احتذاؤه .

## الدكتور حكمة هاشم

Beiträge zur Geschichte der Staatskanzlei

(١) بطريق سورديل عن Beiträge zur Geschichte der Staatskanzlei

in islamischen ägypten ( Hambourg , 1928 ) S - 9

(٢) ترجم السيد سورديل بعض هذه المقاطع ، ولكنه حذف بعضها مما ورد بنصه عند ابن قتيبة والجاحظ .

(٣) لا حيلة في تبديد هذا الاضطراب ما لم يكشف مخطوط غير مخطوط استبول الذي نشره السيد سورديل ، على انه يمكن أن ترد بعض الملاحظات على مواضع في الترجمة ، فمثلاً حين ينقل ص ١٢٥ « الجزء » [ = الجوهر الفرد ] الذي خاض فيه ابوالهذيل العلاف ، يقول : « la théorie de la partie [ indéfiniment divisible ] » وراجع الظن ان الوجه في اداء هذا المعنى :

« la théorie de l'atome [ ou de la partie « insécable » ] »

### العلم برعزلبريمان

تأليف أ. كريسي موريسون ، رئيس محني العلوم سابقاً بنيويورك

ترجمة الأستاذ محمود صالح الفلكي ، سفير مصر في باريس

طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية ( ١٩٥٤ ) بالاشتراك مع مؤسسة فرانكفون  
للطباعة والنشر بنيويورك - القاهرة . يطلب من ناشره والمكتبات المبرورة  
نقته ( ٢٠٠ ) قرشاً مصرياً

صورة الغلاف الجميلة ، من رسم الآفة اعتدال حسي منيب



كتاب من القطع الوسط ، على ورق صقيل ، عدد صفحاته ٢٠٤ .  
صدره فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف . وقدم له  
الدكتور أحمد زكي مدير جامعة القاهرة .  
في الكتاب ١٢ فصلاً بمنعاً عدا كلمة الإهداء ، وكلمة المترجم ، وكلمة التصدير ،  
والتقدمة ، وكلمة المؤلف الذي يبين الغاية من تأليفه هذا الكتاب .  
إن موجة الإلحاد التي طغت على أكثر النفوس البشرية في هذا العصر المادي  
دفعت العالم أ. موريسون رئيس محني العلوم بنيويورك سابقاً ، الى تأليف كتابه  
هذا مدعماً بالحقائق العلمية الحديثة لإرشاد الضالين ، الى الصراط السوي  
بإقامة البراهين العلمية والحسية أمامهم لعليهم بعد ذلك يرجعون الى الصواب .  
وما غرضه من نشر الكتاب إلا أن يسترعي انتباه المفكرين الى الحقائق التي  
أصبح في الإمكان إثباتها على ضوء المكتشفات الحديثة والمعلومات الجديدة  
التي أزاح عنها العلم الحديث ستار الغموض والتي تقود الى الاعتراف بوجود  
الخالق جلّ وعلا مبدع هذا الكون على أدق نظام وأتمّه .  
ففي الفصل الأول ، تناول المؤلف الكلام على عالمنا الفذ ، كرتنا الأرضية  
التي نعيش على تشرتها ، في الجملة الشمسية ، وتابعها القمر وما يحدث بسببه

من المدّ والجذر ، ونخص ما نعرفه عنها من المعلومات من حيث الحجم والسرعة في مدارهما ( حول الشمس أو حول الأرض ) ودورانها حول محورها وبعدهما عن الشمس وفق نظام دقيق بديع لم يشاهد فيه اختلافٌ ثانٍ واحدة منذ بلايين السنين مما جعل نوع حياتنا ممكنة فوق الأرض دون جميع السبارت الأخرى ، القريب منها من الشمس والبعيد عنها - لا عطارد ولا الزهرة ولا المريخ بله زحل والمشتري وأورانوس ونبتون الخ ، لأسبابٍ علمية وقوانين فلكية وشروط حيوية - سرّدها - لا نسمح بوجود الحياة فوقها في أي شكل من أشكال الحياة ، بالإضافة الى صواب آخر يتعذر تدليلها ثم قال : ( بلغ التوازن من الكمال الى حد أنه لم يتورده أي تغيير في مدى مليون سنة وبدل على الدوام الى الأبد - كل ذلك بحكم قانون - وبهذا القانون يتكرر هذا النظام الذي نراه في النظام الشمسي في نواح أخرى ) .

وفي الفصل الثاني ، بحث في الهواء والغيط ، وكيف تكون الهواء الجوي وثبتت نسبة الأكسجين والآزوت فيه الى حد يثير الدهشة لمطابقته لاحتياجاتنا ، وكون طبقة الهواء الحالية هي بحيث تسمح ، بالقدر اللازم بالضبط ، بمرور الأشعة الماقوسجية ( ذات التأثير الكيماوي ) التي يحتاج اليها الزرع والتي تقتل الجراثيم وتنتج الـهيمات ( فيتامينات ) دون أن تضر بالإنسان ( إلا إذا عرّض نفسه لها مدة أطول من اللازم ) مما يحتم الإقرار بوجود الموازنة والنظام في هذه المشاهد الرائعة ، لا الفوضى ولا المصادفة .

ثم انتقل في الفصل الثالث ، الى الغازات التي نستنشقها ، والعلاقة العجيبة التي بين الأكسجين وثنائي أكسيد الفحم فيما يتعلق بالحياتين النباتية والحيوانية : الأكسجين للحياة الحيوانية ، وثنائي أكسيد الفحم للحياة النباتية . الحيوان ، بلفظ ثنائي أكسيد الفحم الى الجو ، والنبات ، الأكسجين . وهذه المقايضة يتعاون كل منهما لدوام حياة الآخر . ولولا هذه المقايضة لم تقم حياة نباتية

ولا حيوانية . وان وجود عناصر الحياة من اكسجين وهيدروجين وثنائي اكسيد النجم ونجم على هذه النسبة الصحيحة اللازمة للحياة والمتوازنة على الدوام في هذا الكوكب السيار ( أي الكرة الأرضية ) ليس من قبيل المصادفة ولا بين عدة ملايين .

وفي الفصل الرابع دخل الى البحث في التروجين ، وأفاض في بيان وظيفته التنظيمية المزدوجة : كونه عاطلاً عديم النفع في الظاهر ، وكونه جزءاً من الهواء الواقي لولاه لحدثت أمور لبست في صالح الحياة ، وفي لزومه المبرم لبناء الخلية النباتية - وبدخلها مركباً ، بالامتصاص من التربة الزراعية عن طريق الجراثيم المنتشرة ( التي تأخذ تروجين الهواء وتحيله الى تروجين مركب ) - وللغلبة الحيوانية وبدخلها بما يتناوله الحيوان من الأغذية ، ولولا التروجين لكان مآل الانسان ومعظم الحيوانات الموت . لذلك إنصرف الانسان - بعد أن عرف شأن التروجين هذا ، الى تقليد الطبيعة - باستخدامه القوة الكهربائية - وتوصل في اليوم الحاضر الى اصطناع التروجين مركباً ( نشادراً ، أسمدة صناعية ) وحوّل بذلك غازاً عاطلاً الى عامل مخصب ( سماد ) هو قوام حياة النبات وبالتالي قوام حياة الحيوان .

جعل من كل ذلك مقدمة للكلام على الحياة وماهيتها ، في الفصل الخامس ، وأتى بأمثلة على ما يعطي فكرة عن الحياة ، من نحو التولد والنمو والتطور . أما ماهي الحياة ؟ فقد أقر المؤلف - بجميع العلماء الأحيائيين - بالعجز عن تعريف الحياة بقوله : ( أما ماهي الحياة فذلك ما لم يدركه إنسان بعد ) . والحق إن الحياة لغز ، لم يمكن حتى الآن الوصول الى معرفة كنهها وماهيتها ليستطاع تعريفها تعريفاً جامعاً مانعاً وبكثفي الى الآن بمشاهدة ما ينبجم عنها من تطورات وتحولات وآثار ليس غير . فمن الأحيائيين من يعرف الحياة بأنها دوام التوازن بين التمثيل واللا تمثيل ، ومنهم بأنها دوام الانتظام بين الوارد والصادر



(أي الأغذية والمفرغات) ، ومنهم بأنها قدرة الأعضاء وعمرانها ، ومنهم بأنها دوام توازن مهدد بالأخطار . وكان زعيم الأحيائيين كلود برنار يقول إنها مظهر لحادثة غريزية تتجلى على صور حتى [قل- الرُّدجُ من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً - سورة الإسراء] .

وفي كلامه على أصل الحياة ومبدئها ، في الفصل السادس ، يعترف بأن العلماء يقفون عاجزين وقد تملكهم الدهشة والعجب ، أمام لفز (بداية الحياة) لنقص الحجج ويشرح - بما وصلت اليه بحوث العلماء في هذا الباب - النقطة من الهيولى (بروتوبلازما) التي تكاد لا ترى ، ونيتها في نظر العالم - ولا يستطيع أن يؤمن بالمعجزات - هي الشيء الهام الوحيد وهي أهم من الأرض نفسها ومن الكون كله ومن كل شيء آخر (ماعد الخالق المدبر الذي كان السبب في وجود ذلك الشيء) . وأهميتها في نظر العالم هذه ، لاحتوائها في حد ذاتها على جرثومة الحياة بل لكونها هي مصدر الحياة (وبدونها كان لا يمكن وجود شيء حي) . فهي قد وهبت القدرة على التكاثر ، ومواءمة نفسها على أشكال عديدة من الحياة ، وأعدت لتعيش في كل ركن على ظهر الأرض . والعالم مع موافقته على ذلك يتردد في اتخاذ الخطوة الأخيرة ليقول : (إن الإنسان قد خطر على هذه الأرض بوصفه طفلاً ينبع الحياة الكوني ، مبدأ بين الحيوانات وذا تكوين مادي معقد التركيب للغاية ، وصاحب عقل أعد عن قصد ليشلق لحة من القدرة الإلهية التي نسميها بالروح) . وبعد أن يسرد ماحدثنا عنه علماء الأرض (جيولوجيون) حول تكوين قشرة الأرض وحدوث المحيطات والصخور والطحى والطحل وتكوين المواد اللاعضوية ويضرب مثلاً للإيضاح في صدد ذلك ، حياة (المتحولة = آميبا) وتطورها واتقسامها ، يقول : (بصرف النظر عن مسألة أصل الحياة التي هي بالطبع من الألفاظ العلمية ، قد اقترض أن هنة ضئيلة من الحياة ، بلغت من الضالة أنها لا ترى أو تلمح بالمجهر

(مكرو سكوب) قد أضافت إليها ذرات ، وقلبت توازنها الوثيق ، فانقسمت ، وكررت الأجزاء المنفصلة هذه الدورة ، وبذا اتخذت أشكال الحياة . ولكن لم يزعم أحد أنها اتخذت الحياة نفسها ) .

بعد هذا ينتقل في الفصل السابع ، ولم يزد عن أربع صفحات ، الى الكلام على أصل الانسان فيقول : ( ويمكن القول بأنه مع الايمان بوجود الخالق ، فإنه قد شاءت إرادته أن يخلق من العناصر الأصلية للأرض شيئاً تكون له حياة ، ويبلغ في النهاية الى تطور في المخ يسمح بإبداعه الذكاء . ويمكن القول بأن الله تعالى شاء أن يمنح هذا الذكاء سيادةً وصنطرةً على جميع الكائنات الحية الأخرى وعلى كائنات أخرى كثيرة عاطلة من الحياة<sup>(١)</sup> ) . ثم يقول : ( من الواضح أن الانسان لم يوجد كائنات ، منذ بدأت الحياة ولكنه تطور فيما بعد الى ما هو عليه الآن . وعلى أي حال لم يظهر كائنات إلا بعد أن عجزت أشكال الحياة للكائنات الأخرى عن إيجاد جهاز بالغ التعقيد كالعقل البشري ) . وهل يحتاج المؤمن ، الى هذا التعليل المتكلف في بيان أصل الانسان ، وبكفيه ما جاء في قوله تعالى : [ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة «أي آدم وذريته» ، الآية - سورة البقرة ] ، وقوله تعالى : [ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين ، فاذا سوّيته نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين - سورة ص ] ، و [ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون ، فاذا سوّيته نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين - سورة الحجر ] . من هذه الآيات البينات وكثير غيرها يستدل المؤمن أن الخالق المبدع - وهو على كل شيء قدير - لا يعجزه سبحانه وتعالى أن يخلق الانسان كإنسان منذ بدأت الحياة

(١) قال الله تعالى : ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً - سورة الاسراء .

دون أن يحتاج الى تطور فيما بعد الى ما هو عليه الآن كما يتصوره الطبيعيون ويحاول المؤلف موريون أن يبدله مخرجاً يتلاءم ونظرية داروين ، انظر ص ١٠٥ - ١٠٦ من كتابه . [ تَخْلُقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ - سورة المؤمن ] و [ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ - سورة يس ] ومن العجيب ألا يبيدي المترجم الفاضل رأياً في الفصل السابع هذا ، ولا يأتي بآية بيّنة من قول الله عز وجل في خلق آدم عليه السلام ، كما فعل في أكثر الفصول [ والرّاسخون في العلم يقولون آمنا به ، كلٌّ من عند ربنا ، وما بذكّراً إلاّ أولو الألباب - سورة آل عمران ] .

وتكلم في الفصل الثامن ، على غرائز الحيوانات فشرح ما خصّ الله سبحانه كل حيوان من عجيب الإحساس والقدرة على تبادل الشعور مع جنسه ، وما يأتيه من أعمال خارقة مما يحتم أن يكون كل ذلك نتيجة إعداد حكيم لا نتيجة المصادفة وأن الحقيقة المدعّية هي أن ( كل خلية في البداية يمكن أن تكون فرداً كاملاً بالتفصيل - فليس هناك شك اذن في أنك أنت ، في كل خلية ونسيج )<sup>(١)</sup> . وان مفهوم الغريزة لا يزال مرأً ولا يمكن للانسان أن يضع قواعد عامة يركن اليها باطمئنان تام ، على أساس معرفة ناقصة وعلم لا يزال في مبدئه كنواة ومسبق كذلك عاجزاً عن إدراك الارتباط الحقيقي بين قوانين الطبيعة الى أن ( يملك كل حاسة كسبتها الكائنات الحية ، أو الى أن يضاهي الحيوانات بالأجهزة التي يخترعها حتى يكتسب مثل كفاياتها ) . وككلّ عالم متواضع ينهي هذا الفصل بالاعتراف بعجز الانسان وضعفه وقلة معرفته . ولا غرابة فالانسان إذا نظر نظرة تدبّر وتأمل فيما يقع تحت سمعه

(١) قال الله تعالى : وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ، شَهِدْنَا . الآية - سورة الأعراف .

وبصره ما خلق الله تعالى بدا له عجزه واضحاً واعترف في قرارة نفسه بأنه لا يعرف إلا القليل ، وأقرّ بضعفه وعجزه عن إدراك ما يسمو فوق العقل . وفي النمل التاسع ، تكلم على تطور العقل فيشأن أن الإنسان هو وحده الذي أوتي عقلاً بلغ من التطور أنه يستطيع أن يفكر تفكيراً عالياً . أما الكائنات الأخرى فهي جميعها تعمل بالفريزة فقط ، ويضرب على ذلك مثلاً الديور والنحل وخصوصاً النمل الذي أصبح « حشرة اجتماعية » بمالكه ومملوكه وخادمه ومخدومه وأنه لولا وجود خالق يرشد هذه الحيوانات لما استطاعت أن تأتي بهذه الأعمال العجيبة [ صنع الله الذي أتقن كل شيء ، الآية - سورة النمل ] .

وفي الفصل العاشر ، تكلم على وحدات الوراثة وفيه شرح علمي وافد لا سمرار الخلقة والتولد ( جينات ، وكروموزوم ، وسيتوبلازم ) تلك الوحدات التي تبلغ من الدقة أنها ( وهي المسؤولة عن المخلوقات البشرية جميعاً التي على سطح الأرض من حيث خصائصها الفردية وأحوالها النفسية وألوانها وأجناسها ) لو جمعت كلها ووضعت في مكان واحد ، لكان حجمها أقل من حجم الكشتبان . والموضوع في جملة سلسلة ذهبية بديعة متناسكة الحلقات ، الاقطاع منها يذهب بحال المجموع فليرجع القاري الشقيف ، الى الصفحات ١٣٧ - ١٤٨ ويتلوها بإمعان وتبدير ليزداد ، بالوقوف على عجائب صنع الله ، إيماناً بعظم قدرته تعالى .

وفي الفصل الحادي عشر ، يتحدث عن أعظم عمل في العالم ويقصده المعدة وما تقوم به من عمل الهضم إلا هضم نفسها<sup>(١)</sup> . ويتساءل ( أليس في هذه

(١) خصّ للزئف للمعدة ولعله يريد بها جهاز الهضم كله لأن جهاز الهضم هو الأنبوب الهضمي من التيم الى الأمعاء الفلاظ . فالمعمل الكيمياوي الحقيقي هو الكبد . والخلية تأخذ من محصول الانهضام ما يلائمها وتقدر ما هي بحاجة اليه من للكروتات الاساسية ( السكريات ، البيولييات ، النعيمات ، الحامضات : الجينات ، الحماض ... الخ ) .



المجموعة من المعجزات وفي كل ما يتم في نظام كمال ما يدل على صنع الخالق ، وأن النظام يضاد المصادفة ؟ ) .

وفي الفصل الثاني عشر ، يذكر الضوابط والموازن أي الروادع التي أودعها الله سبحانه في كل حيوان أو نبات لئلا يسطو على العالم وكيف أن محاولة الإنسان تغيير هذه الضوابط قد أضرت به فاضطر إلى البحث عما يدفع أذاها عنه ، ويذكر أمثلة على ذلك .

وأما في الفصل الثالث عشر ، فيشرح ما لازم من الآثار في قلب وجوه الحياة وتطوراتها وأن الإنسان وحده هو الذي يملك قياسه ويقترّب من الإدراك الكامل له وفي الوقت نفسه من إدراك بعض قوانين الكون الأبدية ومن معرفة الخالق سبحانه وتعالى .

وفي الفصل الرابع عشر ، يقول عن ( قوة الصور ) إنها أعجب كفايات الإنسان وبالتصور فقط يستطيع أن ينتقل إلى حيث يشاء ويضرب على ذلك أمثالا عديدة وينتهي منها إلى أن قوة الصور هي جد قريبة من القوة الروحانية وأن الإنسان بكفايته الروحانية يمكن أن يتصور القدرة الإلهية .

وفي الفصل الخامس عشر ، يستعرض كل ما تقدم في النصول السابقة ليأخذ القاري فكرة نهائية على وجود موجهٍ للإنسان في حياته على وجه البسيطة في شروط ملائمة كل الملائمة لهذه الحياة ويقول : ( إن عقل الإنسان محدود ولا يقدر أن يدرك ما هو غير محدود وعلى ذلك لا تقدر إلا أن تؤمن بوجود الخالق المدير ، الذي خلق كل الأشياء بما فيها تكوين الذرات ، والكواكب ، والشمس والدم ) . ثم يقول : ( إن محاولة معرفة الخالق لتحجّر أذكي الأذكاء<sup>(١)</sup> ، كذلك لا يمكننا أن نحسب أن الإنسان هو الغرض الوحيد أو النهائي ، ولكننا

(١) الله نور السموات والأرض مثل نور كشاف فيها مصباح ، للمصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار . نور على نور - الآية ، سورة النور .

يمكننا أن ننظر الى الانسان على أنه أعجب مظهر لذلك الغرض<sup>(١)</sup> . [ ويخلق ما لا تعلمون ، الآية - سورة النحل ] .

وفي كلامه على المصادفة ، في الفصل السادس عشر ، يشير الى أن جميع مقومات الحياة الحقيقية من حرارة وماء وحمض الفحم والنتروجين وسمك قشرة الأرض الخ ، ( ما كان يمكن أن توجد على كوكب واحد ، بمجرد الصدفة ، مرة في بليون مرة « كان يمكن أن يحدث هكذا » ولكن لم يحدث هكذا بالتأكيد ) .

وفي خاتمة ، في الفصل السابع عشر ، الأخير ، يشرح ما ورد في ( سفر التكوين ) حول قصة خلق الكون ويدعم كل فقرة منه بما وصل اليه العلم الحديث في شأن الخليقة ، فيقول فيها ورد في الفصل الأول من الانجيل :

« في البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية » .

هذه هي الفوضى الأصلية التي كانت للأرض قبل تكويتها .

« وعلى وجه القمر ظلام وروح الله يورفه على وجه المياه » .

كان معظم المحيطات في السماء كسحب لا يمكن اختراقها وكانت الضوء لا يصل الى الأرض<sup>(٢)</sup> .

« وقال الله ليكن نور فكان نور » .

لقد انقشعت السحب ، وكانت الأرض قد بردت ، وأدى دوران الأرض الى الليل والنهار<sup>(٣)</sup> .

« وقال الله لتغض المياه زحافات ذات أنف حية وطيوراً تطير فوق الأرض

على وجه جلد السماء » .

(١) سبحانك اللهم إنك أكبر من أن يحيط بكنهك للتفكير

حار اليب وراغ عنك للبصر ورمي مأخوفاً سهبه للتدبر

اقصى مدى لقفل فبك تعبير

مطلع نصيدة للأستاذ الرئيس خليل مردم بك يناحي بها الخالق سبحانه وتعالى من ضفاف التاييس يوم نزل بلاد الانكليز .

(٢) قال الله تعالى : ثم استوى الى السماء وهي دخان ، الآية - سورة فصلت .

(٣) قال الله تعالى : يذهب الليل والنهار إن في ذلك لآية لأولى ابصار ، سورة النور .

ان كل حياة متحركة بدأت في الماء ، ووجد السماء هو الهواء <sup>(١)</sup> .  
 « فصنع الله الثيرين العظيمين . ومنهم النجوم أيضاً » .  
 وأصبحت الشمس والقمر تريان من خلال السحب ، ولما انقشمت السحب  
 نهائياً ، ظهرت النجوم « أيضاً » <sup>(٢)</sup> .  
 « وقال الله لنبت الأرض نباتاً عشباً يبدّر بذراً » .  
 ولا يموتنك هنا أن النبات قد ذكر قبل الحياة الحيوانية <sup>(٣)</sup> . ثم يقول :  
 ( إن العلماء لا يقدرّون أن يؤكّدوا ولا أن ينقروا وجود الله <sup>(٤)</sup> ، ولكن كل  
 واحد منهم في قرارة نفسه يشعر بقوة الإحساس والفكر والذاكرة والآراء  
 التي تصدر كلها عن ذلك الكيان الذي نسميه بالروح وهم جميعاً يعلمون أن  
 الإلهام لا يأتي من المادة . وليس للعالم حق في أن تكون له الكلمة الأخيرة  
 بشأن وجود الخالق ، حتى يقول تلك الكلمة بصفة نهائية وإلى الأبد ) .  
 ويختم أخيراً كتابه بالابتهاال إليه تعالى بالدعاء التالي : ( ربّنا قدّمنا في  
 طريق مقصدك الأعظم . وارفعنا إلى مستوى الانسجام الروحاني بعضنا مع بعض .  
 وهبنا القدرة على أن نصبح جزءاً من التقدم نحو الكمال الروحي . وقدّمنا  
 إلى حيث نكون في خدمتك ، وبهذا نجعلنا أدوات لتنفيذ مشيقتك ....  
 إن الإنسان الذي لا يقوم وحده ! ) .

\* \* \*

- (١) قال الله تعالى : والله خلق كل دابة من ماء . فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم  
 من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع . يخلق الله ما يشاء ، إن الله  
 على كل شيء قدير - سورة النور .  
 (٢) قال الله تعالى : إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - سورة الصافات .  
 ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح « أي بالكواكب » ، الآية - سورة الملك .  
 (٣) قال الله تعالى : وأنزلنا من المصرات « أي السحاب فيها المطر » ماءً شجاجاً  
 « أي شديداً لانسباب » لنخرج به حياءً ونباتاً ، وجنات أنفاً - سورة النبأ .  
 ونزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جنات وحبّ الحصيد - سورة ق .  
 (٤) قال الله تعالى : قالت رسلهم آفئ الله شكك فاطر السموات والأرض ، الآية -  
 سورة إبراهيم .

هذه هي لباب ما في الكتاب - وجبذا لو كان عنوانه ( العلم يدعم الإيمان )  
لانه اذا كان في القلب إيمان راسخ فان العلم يدعمه ويقويه . وما أحسب  
العلم وحده يخلق إيماناً في قلب أعمى لم يفتح للهدى والنور [ فانها لا تعنى  
الأبصار ولكن تعنى القلوب التي في الصدور - سورة الحج ] . ولو كان العلم  
وحده هو الداعي للإيمان لكان أشد الناس إيماناً ( العالمون ) - بالمعنى العصري  
الحديث - وأعني العالمين بالعلوم والفنون الكونية العصرية مع أننا بالعكس  
نراهم أشد الناس إلحاداً وأكثرهم بُعداً عن الهداية والإيمان [ إلا من رحم  
ربك ] ، الآية - سورة هود [ لأن للعلم قوانين وأصولاً لا تُقر بالطفرة  
ولا بالمعجزات . والمؤلف موريسون نفسه كتب ما كتب رداً على الذين يزعمون  
أن العلم ينكر وجود الله ومنهم العالم جوليان هكلي صاحب كتاب ( الانسان  
يقوم وحده Man Stands Alone ) وأطلق على كتابه اسم ( الانسان لا يقوم  
وحده Man Does Not Stand Alone ) . فمحاولة تطبيق الحقائق العلمية  
والبراهين القوية على تعاليم الدين ، محاولة كثيرة آما لا تأتي بالثمرة المطلوبة لأن  
ما يعلمه الإنسان ما هو إلا قطرة من اقيانوس لا يحده البصر ولا يدرك مداه  
العقل المحدود . فكما أن لكل ميزان من الموازين المادية التي بين أيدينا ،  
درجة من الحساسية والطاقة لا يمكن وزن شيء دونها أو أكبر منها وإلا اختل  
توازنه وتصدعت أركانه وأصبح عديم النفع ، كذلك العقل - فهو ميزان محدود  
الحس يحس بقدر الحد الذي يمنع له ولا يتعداه بقليل أو كثير [ وما أوتيتُم  
من العلم إلا قليلاً - سورة الإسراء ] . وبجاهل العلم من الوصفة بحيث لم  
يكشف منها إلا النزر اليسير ، فلا يعقل أن يعمل بالقليل من البراهين العلمية ،  
الكثير من الأصرار الخافية . فالإيمان الصحيح هو ( التسليم ) حتى إذا كشف  
العالم من الحقائق ما يتوافق معها جاء به الدين أضافه ( المستلزم ) الى ما سلم به  
من قبل وازداد إيمانه رسوخاً في قلبه ، منتظراً من تطورات العلم واكتشافاته



براهين جددًا أخرى يضمها الى السابقات [ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ] الآية - سورة طه .

'يشكر المؤلف العالم - وقد قل' بين العالمين من 'يعنى بثل هذا الإرشاد في هذه الآونة التي شاع فيها الإلحاد - على جهده المبذول في تبيان الحقائق التي أصبح بالإمكان إثباتها ، قاصداً من وراء ذلك تأييد الاعتقاد بوجود تنظيم يحبر العقول ، يقوم به مدير جبار قادر على كل شيء ، وبأن ما وصل اليه الانسان فيما يقع تحت مشاهدته وعلمه ما هو إلا ( جزء من یرئج ينقذه باري الكون ) جل وعلا .

ويشكر المترجم الفاضل الأستاذ محمود صالح الفلبي وهو حفيد عالم مصري فلكي جليل ، لعمله المحمود الصالح بترجمته هذه ، وغايته النبيلة منها ألا وهي أن يكون لها ورد في كتاب موريسون ، بين قراء العربية ما كان بين قرائه في أمربةكة من الأثر في صدر موجهة الإلحاد وتثبيت قوة اليقين [ أدعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، الآية - سورة النحل ] ، أكثر الله من أمثاله المؤمنين الصالحين المصلحين العالمين . وبعد ، فما أحوج النشء الحديث في هذا العصر الذي استحوذت فيه المادة على القلوب ، فعدّل عن الدين الى الدينار ، أقول ما أحوجه الى مطالعة هذا الكتاب الذي جمع مؤلفه فيه ما تناثر في الطبيعة من البدائع العلمية <sup>(١)</sup> فجعل منها بلباقة ، هذه الباقية الأشخانة بتناسق ألوانها وتمازج عطورها ، بل هذه المجموعة ( كولكسيون ) الخريفة ، الجميلة بتقارب موضوعاتها وتوافق غاياتها ، لعل هذا النشء يعلم : أن الخير كل الخير في الإيمان وبدونه لا تقوم مدنية ولا يثبت نظام وينتقد كل خابط وراذع ويمم الشر والبلاء ، وأن بالإيمان على

(١) علوم : الرياضيات ، الفلك ، الفيزياء ، الكيمياء ، الحشرات ، النبات ، الحيوان ، طبقات الأرض ، التاريخ الطبيعي ، النفس ، الفلسفة .

وجبه الصحيح يتحقق النظام الاجتماعي بصلاح الأفراد<sup>(١)</sup> وتسود العالم الرفاهية والسعادة الدنيوية ؛ وأن بالإلحاد الفوضى والاضمحلال للفرد والمجتمع . هذان الله سبل النجاة ووقانا مواطن الزلل .

[ربنا لا تزعج قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب - سورة آل عمران] .

الكرواكي

•••••

تاريخ مصر ١٣٨٢ - ١٤٦٩

القسم الأول ١٣٨٢ - ١٣٩٩

ترجمه الى الانكليزية من حوليات أبي المحاسن بن تغري بردي

الأستاذ وليم بوپر William Popper

مطبعة جامعة كاليفورنيا ١٩٥٤

يعتبر أبو المحاسن بن تغري بردي من أشهر مؤرخي عصر المماليك ومن أهم الذين كتبوا في تاريخ مصر . ومن الكتب التاريخية التي وضعها كتاب « حوادث الدهور في ماضي الأيام والسنين » وكتاب التراجم الذي عنوانه « المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي » وكتاب الحوليات المعروف باسم « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » ويشمل تاريخ مصر منذ الفتح الاسلامي حتى ١٤٦٩ أي قبيل موت المؤلف . وقد عاش أبو المحاسن في عهد المماليك الشراكسة فولد حوالي عام ٨١٢ هـ ( ١٤١٠ م ) وتوفي في عام ٨٧٤ هـ ( ١٤٧٠ م ) وكان والده الأمير تغري بردي القائد العام للجيش وأكبر موظفي دولة المماليك بعد السلطان

(١) إنما للؤمنون إخوة ، الآية - سورة الحجرات . فتعار للؤمن المحبة والوثام والرحمة والعطف وتقريب القلوب والأرواح بعضها من بعض . وتلك أسس السلام العام وبقاء المجتمعات .

نفسه . وبلغ أبو الحسن أرفع المناصب في عهد السلطان جقمق بعد عام ١٤٥٢ وكان أكبر الموظفين نفوذاً في الدولة . ويمتد تاريخه « النجوم الزاهرة » من أدنى المصادر لتاريخ مصر في عصر المماليك وقد بدأ بنشره في القرن الماضي المستشرق الهولندي جوبنيل Jylnbol في ليدن عام ١٨٥٥ فنشر حوادث ٦٤١ حتى ١٠٠٥ م ثم تابعت جامعة كاليفورنيا نشره في ١٩٠٩ باستثناء حوادث السنين ١١٧٢ - ١٣٤٥ . وبدأت دار الكتب المصرية نشره في ١٩٢٩ . وأنجزت نشر تسع مجلدات في ١٩٤٦ ووصلت حتى حوادث عام ١٣٤٠ .

وقد رأى المستشرق ولير بوير أن يترجم الى الانكليزية جانباً من هذا الكتاب يشمل حوادث ١٣٨٢ - ١٤٦٩ أي حتى نهاية الكتاب فأصدر هذا القسم الأول وفيه مادة الأعوام ١٣٨٢ - ١٣٩٩ . ويبدأ هذا القسم بحكم السلطان يرقوق أول السلاطين البرجية أو الشراكسة وجمع فيه أبو الحسن المعلومات التي استقاها من أصدقاء والده الأمير تقري بردي ومعايكة وكان والده من الذين شاركوا في حوادث هذه الفترة . أما بعد وفاة يرقوق فإن المؤلف قد تمكن من رواية الحوادث كشاهد عيان . وقد رغب المترجم الأستاذ بوير أن يقدم الى قراء اللغة الانكليزية نموذجاً من كتابة التاريخ عند العرب من قبل مؤلف مطلع على العصر الذي يكتب عنه . وطبعت الكتاب مطبعة جامعة كاليفورنيا وهو الجزء الثالث عشر من منشورات جامعة كاليفورنيا في الفيلولوجيا السامية .

وقد طبع الكتاب طباعة متقنة ومهد له المترجم بتصدير ومقدمة شرح فيها طريقته في نشر الترجمة وأتى على ذكر ترجمة أبي الحسن ومؤلفاته . ووضع أرقام صفحات الأصل العربي في الحواشي وكذلك تاريخ الحوادث بالشهور والسنين الميلادية كما وضع في رأس كل صفحة تاريخ السنة الهجرية التي تحصل فيها

الحوادث واسم السلطان الحاكم . وقد نقل هذا القسم المترجم عن الجزء الخامس والصفحة ٣٦٢ - ٦٤٣ من الأصل العربي على أن المترجم لا يذكر النسخة التي اعتمد عليها ولا يعلم القاري إذا كان الجزء الخامس الذي ترجم عنه هو من نسخة جامعة كاليفورنيا أو نسخة دار الكتب المصرية أو غيرهما لأنه لا يذكر ذلك في التمهيد ولا في المقدمة . ويقول المترجم أنه لم يثنأ وضع ملاحظات وتفسير وإيضاحات في الهامش وأنه ترك معالجة القضايا المتعلقة بنظم حكومة الممالك ووثائقها وجغرافيتها دولتها وغير ذلك ليضمها في مجلد خاص . على أننا نرى أنه كان من المناسب أن يشرح بعض الأسماء والتعابير في هامش الترجمة . وأن يعطي القاري بعض المعلومات الضرورية التي يستوجبها فهم المادة التاريخية المترجمة .

جورج صراد

( مجموعة علمية تشمل على أربع رسائل )

- ١ - رأس الحسين رضي الله عنه ( ٣ - ٣٤ )
  - ٢ - محنة شيخ الاسلام ابن تيمية بقلمه ( ٣٥ - ٦٥ )
  - ٣ - أحكام الطلاق لابن عبد الهادي ( ٦٢ - ١١٢ ) .
  - ٤ - في اختيارات ابن تيمية بقلم محمد بهجة اليطار ( ١١٣ - ١٢٣ )
- أخذت من مجلة المجمع العلمي بدمشق .

جاء في مقدمة الرسالة الثانية بقلم الأستاذ محمد عبد الرزاق حمزة أنه عثر على الرسائل الثلاث في المكتبة الظاهرية بدمشق ، وأن الأولى لابن تيمية بخط يده ، والثانية له بخط أخيه شرف الدين ، والثالثة بخط المؤلف ابن عبد الهادي ،



فأخذ صور الرسائل الثلاث ، وأضيف إليها مقال في اختيارات ابن تيمية بقلم هذا الضعيف ، فطبعها بمصر على نفقة الأستاذ الشهير محمد نصيف .

أما الرسالة الأولى من جواب شيخ الإسلام ابن تيمية فقد بينت أن مشهد الحسين باتفاق الناس بُني عام بضع وأربعين وخمسمائة - وأنه قتل من مشهد بعسقلان ، كان قد أحدث بعد التسعين وأربعمائة - ( قال ) ولم ينقل عن أحد من أهل الحديث ولا التاريخ ولا الأخبار أن مشهد الحسين كان بعسقلان - وأن من ألقوا في مقتل الحسين لم تذكر كتبهم إلا أن الرأس حمل إلى المدينة ، ودفن إلى جانب أخيه الحسن رضي الله عنه ، والاحتمالات التي ذكروها للدفن لم يذكرها معها عسقلان أبداً ، وأن التعدي على الحسين بعد مقتله وقع في العراق لا في الشام ، - وأن رأس الحسين لم يحمل إلى يزيد بل إلى ابن زياد ، - وأن الحسين دفن في المدينة عند أخيه وأمه . وفي هذه الرسالة فوائد كثيرة - كالدلالة على ثقات المؤرخين وغيرهم - لا يستغني عنها مؤرخ .

وأما الرسالة الثانية فنيها وصف ثبات الإمام ابن تيمية على الحق ، وهو سجين بمصر ، وجوابه للفتاح ( السجّان ) الذي كلفه بلسان نائب السلطنة ( كرئيس الوزارة اليوم ) ، وما ظهر من شجاعته ، وصبره في محنته ، ونصحه لولاة الأمور ، وقوة استحضاره للنصوص ، وشدة اصطباره على الخصوم ، وقوله : أنا قد أحضرت أكثر من خمسين كتاباً من كتب الحديث والتصوف والمتكلمين والفقهاء الأربعة ، - الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية - يوافق ماقلته ، أي ان الله تعالى مستو على عرشه ، بائن من خلقه ( أي غير حال فيهم ) قاهر فوق عباده ، وحاولوا أن يزيد شيئاً فلم يزد على ما كان كتب بدمشق من أمر عقيدته التي كانت بحسب هناك ، وقال إني لم أقل شيئاً من تقسي ، وإنما قلت ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها . ( قال ) : وهذا الاعتقاد هو الذي قرئ بالشام في المجالس

الثلاثة ، ووافق عليه القضاة والعلماء ، وقد أرسله إليكم قائبكم مع البريد ،  
والجميع عندهم . وأهل من خالفه ثلاث سنين أن يجي . بحرف واحد يخالف  
ما قاله . ولقد عفا شيخ الإسلام عن كل من قلله أو أساء إليه ، كالأذري  
الخصم في الشام ، وكالقاضي ابن مخلوف المالكي ، والشيخ نصر المنبجي الصوفي  
وغيرهم ، ومنع الناس من إبدائهم ، وهو يخشى الضرر على ابن مخلوف والشيخ  
نصر لو كتب شيئاً فرحمه الله ورضي عنه ما أسلم نيته وطوبته .

وأما الثالثة فعنوانها بدل عليها (علم الطلاق الثلاث) ومن قال بوقوعه ثلاثاً  
إذا كان دفعةً واحدة ، ومن قال بوقوعه واحداً ، ومن فصل ولم يحمل ،  
وكلام الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الأمصار في ذلك ، وبيان ما أخذهم  
ومداركهم ، ونقله عن ابن القيم تقرير الدلائل على وقوعه واحدة إذا كانت  
بلفظ واحد ، وقد نقل المؤلف عن جده الشيخ جمال الدين جعله جملة شرعية  
ألف درهم لمن يجد دليلاً شرعياً على وقوع الثلاث جملة - ثلاثاً ، ثم بين المؤلف  
أنها إذا وقعت منفردة كانت ثلاثاً ، ولا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ،  
والزوج الشرعي غير المحلل ، وهو الزوج غير الشرعي الذي لعنه الرسول  
وسماه التيس المتعار . ونقل المؤلف ما قاله ابن القيم في هذا الفاح ، ومخالفته  
للنكاح الشرعي من وجوه كثيرة ، وما يترتب عليه من المفاسد (ص ١٠٣ - ١١٢)  
وجاء في الصفحة الأخيرة قول المؤلف : « وإنما عملت هذا الكتاب لأنصف  
بين الفريقين فإن الجد جمال الدين الإمام والشيخ تقي الدين (أي ابن تيمية)  
في جهة - وقد صنف جمال الدين فيه كتاباً ، في أنه واحدة - وابن رجب  
في جهة ، فانه صنف في الوقوع كتاباً ، وابن القيم ذكر القولين ، لكن ميله  
إلى عدم الوقوع (أي ثلاثاً) ثم قال : فليختر العاقل ما يوجب الإنصاف .  
وقد نبين منه عدم ترجيحه قولاً على قول ، إذ ختم حديثه بالوعظ بدل الحكم ،  
وحذر من القول على الله بلا علم .

وأما الرسالة الأخيرة ، فقد تكلمت فيها بقضية الطلاق في الإسلام ، وشروطه ، وأسبابه وآدابه ، والطلاق عند الأجانب وما آل إليه أمرهم فيه ، وشكوى قضائهم من فوضى الآداب والاجتماع ، وانحلال الروابط الخلقية والمنزلية . ولما كنت أتكلم عن الطلاق في الإسلام قلت تحت هذا العنوان : وبعد فليشرح الإسلام في الطلاق الشرعي والبدعي كلام يطول ، ولشرحه في كتب ابن القيم حواش وذبول ، وحسبنا أن نشير إلى مراجعه فهي مطبوعة متداولة ، وفيها من حقائق التنزيل والتأويل ، ما يضمن سلامة الأسر ، بل سعادة البشر . ( ثم قلت ) وإنك تجد هذه المباحث السابقة ، والحجج البالغة ، في الجزأين الثالث والرابع من الفتاوى ، والإثنتين الكبرى والصغرى لتلميذه ابن القيم ، وفي أعلام الموقعين ، وله أيضاً سبع طویل في كتابه ( زاد المعاد ) وفي تهذيبه لسنن أبي داود ، وأوردت ثبثاً قصيرة منها كلها ( وتجددها في م ٢٨ من مجلة المجمع العلمي ) .

هذا وقد وقعت أغلاط يسيرة في رسالة ابن عبد الهادي منها في سورة الطلاق : « فطليقوهن لعدتهن » وقد كتبت : في قبل عدتهن . وقد نقص من الآية ٣٣ من سورة الأعراف : « وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا » وجاءت هنات نحوية من سهو الناسخ أو الطابع ، ومن السهل تصحيحها في طبعة ثانية إن شاء الله .

## طليعة التكيل . بما في تأنيب الكوثري مع أبو باطيل

تأليف الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلى البجلي

علق عليه الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة

جاءت هذه ( الطليعة ) ردًا لما جاء في كتاب ( تأنيب الخطيب على ما صاغه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب ) للأستاذ زاهد الكوثري . قال المؤلف : طالعت ، قرأت الكوثري تجاوز الحدود العلمية والأدبية ، فبدأ بالظعن في جماعة المحدثين جملة ، ورمىهم بالغفلة والبلادة ، وإن الخليفة الملقب بالمأمون إنما أراد بامتحانهم في القول بخلق القرآن أن يكفهم عن الخوض فيما ليس لهم به علم ، ثم بالظعن على الخطيب ( وقال ) ثم شرع في تتبع ما في تاريخ الخطيب فوقع له في ذلك عجائب ، منها الظعن في الأئمة الثلاثة - مالك والشافعي وأحمد ، وتعدى إلى الظعن في أنس بن مالك رضي الله عنه وفي هشام بن عروة بن الزبير بن العوام ( إلى أن قال ) : وتكلم في نحو مائة من حفاظ الحديث ، ونحو مائتين من ثقات المحدثين . وذكر في هذه الطليعة أنواع مغالطاته ، وتحريفه للكلم عن مواضعه .

وقد بلغت صفحات الكتاب مائة وعشرًا ، ولا يستغني عن مطالعتها محدث ولا مؤرخ ، لا سيما من اطلع على كتب الكوثري وتعليقاته ، ومطاعته في الأئمة هداة الأمة ، وقلبه للعقائد رأسًا على عقب . وهذا التأليف ، و ( الكوثري وتعليقاته ) بقلم الأستاذ محمد نصيف ، كفيلا أن يبين ذلك كله . وقد مات الكوثري رحمه الله فتمك القلم عن الكلام ، ونسأله سبحانه حسن الختام .

محمد بهجة البيطار



# آراء وأنباء

أعضاء التجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

أعضاء العامون

١ - الرئيس : الأستاذ خليل مردم بك

|   |                       |
|---|-----------------------|
| ١١ الشيخ عبدالقادر المنري (نائب الرئيس) | ٢ الدكتور اسعد الحكيم |
| ١٢ الأستاذ عمر الدين التنوخي            | ٣ الأمير جعفر الحسني  |
| ١٣ = فارس الخوري                        | ٤ الدكتور جميل صليبا  |
| ١٤ = محمد البزم                         | ٥ = حسني سبح          |
| ١٥ الشيخ محمد بهجة البيطار              | ٦ = حكمة هاشم         |
| ١٦ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي     | ٧ = سامي الدهان       |
| ١٧ الدكتور مرشد خاطر                    | ٨ الأستاذ سليم الجندي |
| ١٨ الأمير مصطفى الشهابي                 | ٩ = شقيق جبوري        |
| ١٩ الدكتور منير العجلاني                | ١٠ = عارف النكدي      |

أعضاء المراسلون

|   |   |
|---|---|
| ١١ الدكتور صبحي الحمصاني لبنان              | ١ الشيخ عبد الحميد الكيالي سورية            |
| ١٢ = عمر فروخ =                             | ٢ الدكتور عبد الرحمن الكيالي =              |
| ١٣ الأستاذ غيبي اسكندر الطوف «              | ٣ الأستاذ عمر ابوريثة =                     |
| ١٤ الشيخ فؤاد الخطيب =                      | ٤ الشيخ محمد زين العابدين =                 |
| ١٥ الفيكونت فيليب دي طرازي =                | ٥ بطريرك مار اغناطيوس افرايم «              |
| ١٦ الدكتور قسطنطين زريق =                   | ٦ الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) « |
| ١٧ الدكتور نقولا فياض =                     | ٧ الشيخ سعيد العوفي =                       |
| ١٨ الأب اس. مرمرجي الدومنيكي فلسطين         | ٨ الأستاذ أنيس المقدسي لبنان                |
| ١٩ الأستاذ قدري حافظ طوقان «                | ٩ = بشارة الخوري =                          |
| ٢٠ « محمد الشريفي المملكة الأردنية الهاشمية | ١٠ الشيخ سليمان ظاهر =                      |

|    |  |    |                                  |
|----|--|----|----------------------------------|
| ٢١ | الاستاذ احمد حامد الصراف العراق            | ٤٧ | الاستاذ عباس إقبال ايران         |
| ٢٢ | الدكتور داود الجلي                         | ٤٨ | عبد العزيز المني الراجكوتي الهند |
| ٢٣ | الاستاذ طاه الهاشمي                        | ٤٩ | الدكتور بلاشير (رجيس) فرنسا      |
| ٢٤ | الاستاذ عباس المزاري                       | ٥٠ | الاستاذ دوسو (رينه)              |
| ٢٥ | الشيخ كاظم الدجيلي                         | ٥١ | كولان                            |
| ٢٦ | الاستاذ كوركيس عواد                        | ٥٢ | كي (أ. أ.)                       |
| ٢٧ | الشيخ محمد بهجة الاثري                     | ٥٣ | هنري لاوست                       |
| ٢٨ | محمد رضا الشبيبي                           | ٥٤ | ماسه                             |
| ٢٩ | الدكتور مصطفى جواد                         | ٥٥ | ماسينيون                         |
| ٣٠ | الاستاذ احمد حسن الزيات مصر                | ٥٦ | اريري (أ. ج. أ.) انكتر           |
| ٣١ | الدكتور احمد زكي                           | ٥٧ | جيب (أ. ر. أ.)                   |
| ٣٢ | الاستاذ احمد لطفي السيد                    | ٥٨ | غليوم (الفرد)                    |
| ٣٣ | خليل ثابت                                  | ٥٩ | بروكن المانيا                    |
| ٣٤ | خير الدين الزركي                           | ٦٠ | ريتر ٥٥٠                         |
| ٣٥ | الدكتور طاه حسين                           | ٦١ | هارتمان (ريشارد)                 |
| ٣٦ | الاستاذ عباس محمود العقاد                  | ٦٢ | فيليب حتي الولايات المتحدة       |
| ٣٧ | الاستاذ عبد الحميد العبادي                 | ٦٣ | غومر (اميليو غارسيا) اسبانيا     |
| ٣٨ | الدكتور عبد الوهاب عزام                    | ٦٤ | الدكتور اشتولز (كارل) النمسا     |
| ٣٩ | الشيخ محمد الخضر حسين                      | ٦٥ | الاستاذ مروجيك                   |
| ٤٠ | الأمير يوسف كمال                           | ٦٦ | ماهلر المجر                      |
| ٤١ | الاستاذ حمد الجاسر الملكة العربية السعودية | ٦٧ | جبرائيل (فرنيسكو) ايطاليا        |
| ٤٢ | حسن حتي عبد الوهاب تونس                    | ٦٨ | هينس سويسرة                      |
| ٤٣ | مارس                                       | ٦٩ | الدكتور شخت (يوسف) هولاندة       |
| ٤٤ | محمد البشير اليراهيمي الجزائر              | ٧٠ | الاستاذ استروب الدانيمرك         |
| ٤٥ | عبد الحى الكثاني مراکش                     | ٧١ | بدرسن                            |
| ٤٦ | محمد الحجوي                                | ٧٢ | كرسيكو فنلاندة                   |

## أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

|    |                             |       |    |                              |        |
|----|-----------------------------|-------|----|------------------------------|--------|
| ١  | الشيخ طاهر الجزائري         | سورية | ٢٨ | الشيخ عبد الله البستاني      | لبنان  |
| ٢  | = سليم البخاري              | =     | ٢٩ | الاستاذ جبر صومط             | =      |
| ٣  | الاستاذ مسعود الكواكبي      | =     | ٣٠ | = عبد الباسط فتح الله        | =      |
| ٤  | = الياس قنسي                | =     | ٣١ | الشيخ عبد الرحمن سلام        | =      |
| ٥  | = أنيس سلام                 | =     | ٣٢ | = مصطفى الغلاييني            | =      |
| ٦  | = جميل العظم                | =     | ٣٣ | الاستاذ عمر الفاخوري         | =      |
| ٧  | = سليم عنخوري               | =     | ٣٤ | = بولص الخولي                | =      |
| ٨  | = عبد الله رعد              | =     | ٣٥ | = امين الريحاني              | =      |
| ٩  | = رشيد بقدونس               | =     | ٣٦ | الامير شكيب ارسلان           | =      |
| ١٠ | = ادب التتي                 | =     | ٣٧ | الشيخ ابراهيم منذر           | =      |
| ١١ | الشيخ عبد القادر المبارك    | =     | ٣٨ | الاستاذ جرجي بني             | =      |
| ١٢ | الاستاذ معروف الأرنؤوط      | =     | ٣٩ | الشيخ احمد رضا               | =      |
| ١٣ | السيد محسن الأمين           | =     | ٤٠ | الشيخ سعيد الكرمي            | فلسطين |
| ١٤ | الاستاذ الرئيس محمد كرد علي | =     | ٤١ | الاستاذ فحلة زريق            | =      |
| ١٥ | الأب جرجس شلحت              | =     | ٤٢ | الشيخ خليل الخالدي           | =      |
| ١٦ | = جرجس منش                  | =     | ٤٣ | الاستاذ عبد الله مخلص        | =      |
| ١٧ | الاستاذ قسطنطين الحمصي      | =     | ٤٤ | = محمد اسعاف النشاشيبي       | =      |
| ١٨ | الشيخ كامل الغزي            | =     | ٤٥ | = محمود شكري الآلومي         | العراق |
| ١٩ | الاستاذ ميخائيل الصقال      | =     | ٤٦ | = جميل صدقي الزهاوي          | =      |
| ٢٠ | الشيخ بدر الدين النعساني    | =     | ٤٧ | = معروف الرصافي              | =      |
| ٢١ | = راغب الطباخ               | =     | ٤٨ | = طاهر الراوي                | =      |
| ٢٢ | = عبد الحميد الجابري        | =     | ٤٩ | الاب انتاس ماري الكرملي      | =      |
| ٢٣ | الدكتور صالح قنبار          | =     | ٥٠ | الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي | مصر    |
| ٢٤ | الشيخ سليمان الأحمد         | =     | ٥١ | = رفيق العظم                 | =      |
| ٢٥ | الاستاذ ادوار مرقص          | =     | ٥٢ | = احمد كمال                  | =      |
| ٢٦ | = حسن بيهم                  | لبنان | ٥٣ | = احمد تيمور                 | =      |
| ٢٧ | الأب لويس شيخو              | =     |    |                              |        |

|    |                             |         |     |                  |                   |
|----|-----------------------------|---------|-----|------------------|-------------------|
| ٥٤ | الاستاذ احمد زكي            | مصر     | ٨٢  | الاستاذ مالتجو   | فرنسة             |
| ٥٥ | الدكتور يعقوب صروف          | =       | ٨٣  | مرجليوث          | انكترة            |
| ٥٦ | السيد محمد رشيد رضا         | =       | ٨٤  | بفت              | =                 |
| ٥٧ | الاستاذ حافظ ابراهيم        | =       | ٨٥  | يراون            | =                 |
| ٥٨ | احمد شوقي                   | =       | ٨٦  | كرينكو           | =                 |
| ٥٩ | الشيخ احمد الاسكندري        | =       | ٨٧  | هومل             | المانيا           |
| ٦٠ | الاستاذ اسعد خليل داغر      | =       | ٨٨  | ساخاو            | =                 |
| ٦١ | داود يركات                  | =       | ٨٩  | هوروفيتز         | =                 |
| ٦٢ | الدكتور امين المعلوم        | =       | ٩٠  | مارتين هارتمان   | =                 |
| ٦٣ | الاستاذ مصطفى صادق الرافعي  | =       | ٩١  | ميتفوخ           | =                 |
| ٦٤ | الشيخ عبد العزيز البشري     | =       | ٩٢  | اغناطيس غولدسبير | المجر             |
| ٦٥ | الدكتور احمد عيسى           | =       | ٩٣  | ماكديونالد       | الولايات المتحدة  |
| ٦٦ | الأمر عمر طوسون             | =       | ٩٤  | هرزفلد           | =                 |
| ٦٧ | الشيخ مصطفى عبد الرازق      | =       | ٩٥  | كراتشكوفسكي      | الاتحاد السوفياتي |
| ٦٨ | الاستاذ انطون الجميل        | =       | ٩٦  | آسين بلاسيوس     | (مبكل) اسبانيا    |
| ٦٩ | خليل مطران                  | =       | ٩٧  | لويس (دافيد)     | البرتغال          |
| ٧٠ | ابراهيم عبد القادر المازني  | =       | ٩٨  | جويدي            | ايطاليا           |
| ٧١ | محمد لطفي جمعة              | =       | ٩٩  | نلليو            | =                 |
| ٧٢ | الدكتور احمد امين           | =       | ١٠٠ | اوجينيو غريفييني | =                 |
| ٧٣ | الشيخ محمد بن ابي شنب       | الجزائر | ١٠١ | مونه             | سويسرة            |
| ٧٤ | الاستاذ رينه باسه           | =       | ١٠٢ | كوفالكي          | بولونيا           |
| ٧٥ | ميشو بلير                   | طنجة    | ١٠٣ | موزل             | تشكوسلوفاكية      |
| ٧٦ | زكي مغاض                    | تركيا   | ١٠٤ | سنوك هوغرينه     | هولاندة           |
| ٧٧ | الشيخ ابو عبد الله الزنجاني | ايران   | ١٠٥ | اراندونك         | =                 |
| ٧٨ | الحكيم محمد اجل خان         | المند   | ١٠٦ | هوتسما           | =                 |
| ٧٩ | الاستاذ فران                | فرنسا   | ١٠٧ | بوهل             | الدانيمارك        |
| ٨٠ | كلمان هوار                  | =       | ١٠٨ | سترميتين         | السويد            |
| ٨١ | بوقا                        | =       | ١٠٩ | صعيد ابوجرة      | البرازيل          |



ملاحظات على ديوان علي بن الجهم المطبوع

- ٢ -

٢٣ - وفي ص ١١٧ :

أنت كالدلو لا عدتناك دلواً من كبار الدلا كثير الذنوب  
والظاهر أن الأصل « كبير الذنوب » لأن الذنوب الدلو الملاءى خاصة .

٢٤ - وجاء في - ص ١٤٦ - قوله :

وما أنا ممن سار بالشعر ذكره ولكن أشعاري يسيرها ذكرى  
وفي الكتاب المزعوم أنه « تقد الشعر » - ص ٨٤ - « يسير بها ذكرى » .

٢٥ - وجاء في - ص ١٦٤ - :

عنايت بالدين نشهد أنه بقوس رسول الله يرمي وينصل  
وقلم في الحاشية « نصل السهم : أثبتته في النصل » . ولا محل لهذا المعنى ،  
والصواب « ينصل » بالضاد المعجمة ، قال ابن فارس « النون والضاد واللام :  
أصبّل يدل على رمي وصرامة ، ونصل فلاناً ، راماد بالنضال فغلبه » .

٢٦ - وجاء في ص ١٦٦ :

أصدق أم أكني عن الصدق أيثما تخيرت أدته اليك المحافل

يرفع « أيثما » والصواب النصب لأنه منقول بدل « تخيرت » .

٢٧ - وورد في - ص ١٧١ - بيتان في الورد ، وهما مذكوران في « اللطائف

والطرائف » وفيها « ما أخطأ الورد منك شيئاً » بدل « ما أخطأ الورد منك لونا »

في الديوان . و « حسناً وطيباً ولا مللاً » بدل « وطيب ريح ولا مللاً »

في الديوان .

م (١١)

قال : وما يدخل على الأذن بلا إذن قول علي بن الجهم :  
 زائرٌ يهدي النساء نفسه في كل عام<sup>(١)</sup>  
 حسن الوجه ذكي الرّيح ألفٌ للقدام  
 عمره خمسون يوماً ثم يمضي بسلام

وقوله : ما أخطأ الورد . . . . .

٢٨ - وجاء في - ص ١٧١ - « مغموراً ولا مجهولاً » وفي بدائع البدائ  
 - ص ١٩٠ - « معلولاً » .

وفي - ص ١٧٢ - « إن يُزَّ عنه لباسه » وفي البدائع « ثيابه » .

٢٩ - وجاء في - ص ١٧٣ - « أو يسلبوه المال 'يُحْزَنُ' فقدّه » واللغة  
 الفصيحة « يُحْزَنُ » لأنَّ الثلاثي مفضل على الرباعي إذا استويا في المعنى  
 ما لم يبنه على ذلك اللغويون مثل « غفا وأغفى ووحى وأوحى » .

٣٠ - وجاء في - ص ١٧٣ - « إن المصائب ما تعدّت دينه » ولعله من غلط  
 الطبع « المصائب » .

٣١ - ويُلاحق بالصفحة ١٧٤ وجه للخبر وردّ في بدائع البدائ - ص ١٩١ -  
 « حكى أن علي بن الجهم قال : كنت بين يدي المتوكل وقد أتاه رسول  
 برأس اسحاق بن اسماعيل فقال علي بن الجهم يخاطر بين يدي الرسول وهو يرتجز :

أهلاً وسهلاً بك من رسول جئت بما يشني من الغليل

برأس اسحق بن اسماعيل

فقال المتوكل : التقطوا هذا الجوهر لا يضر .

٣٢ - جاء في - ص ١٧٥ - « ظفر به بنا وأحرق » وفي بدائع البدائ

- ص ١٩١ - « بنا الكبير » وأن الحادثة وقعت سنة « ٢٣٧ » .

(١) وردت هذه الأيات في « ص ١٨١ » من الديوان .

٣٣ - وجاء في - ص ١٧٨ - :

وأنت بفضلك أجاتهم إلى أن تعالوا بأن بكرموا  
والصواب عندي «تغالوا» أي تنافسوا ، قال عمرو بن كثوم :  
فما برحت بحال الشرب حتى تغالوها وقالوا قد روينا  
قال أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي في جمهرة أشعار العرب «تغالوها»  
أي تنافسوا فيها .

٣٤ - وجاء في ص ١٨٠ « قالت لمن كُفِيَ فطرك شاهد » وقلتم في الحاشية  
عني بعني : خضع مستأسراً ، وفي الذكر الحكيم : « وعنت الوجوه للحي القيوم » .  
قلت الذي في القرآن من باب آخر هو باب «نصر ينصر» والمضبوط في  
الديوان من باب «فرح يفرح» فيجب أن يؤخذ بأحدهما ، قال الجوهري :  
«عنا : خضع وذل وبابه سما ومنه قوله تعالى : « وعنت الوجوه للحي القيوم »  
ولو كان من باب «فرح» لقال «وعنت الوجوه» .

قال الفيومي في المصباح « وعني بعني من باب تعب إذا أصابه مشقة » وكان  
قال « وعني من باب تعب إذا تشب في الأصار فهو عان ... » وعني الأسير من  
باب تعب لغة أيضاً » فهذه المعاني كلها صالحة لما في الديوان .

٣٥ - البيتان الأخيران في - ص ١٨٢ - من الديوان وردا في «الجزء  
الخامس من تلخيص مجمع الألقاب» لابن الفوطي في الترجمة « ٢٧٠ » من باب  
الكاف . قال مؤلفه : « رأيت بخط كمال الدين أبي علي أحمد بن محمود البرموجدي  
الكاظم لعل بن الجهم : يابني مصعب ... » وهو مطبوع بالهند<sup>(١)</sup> :

٣٦ - حصل اختلال في كتابة الأبيات النونية ، في البيت الثاني والرابع  
والسابع والثامن .

(١) ورد البيتان الأولان اللذان في «ص ٢٢٢» من الديوان في نقد النثر «ص ٨٤» .

فيجب أن يكتب الثاني :

أنشدت فضل ألا حَيَّيتَ عَنَّا يا مديننا

والرابع :

أحنت إذ لم تجارِبهم ديار الظاعنيننا

والسابع :

قلت للمولى وقد دا رت 'حميا الكأس فينا

والثامن :

ربَّ صوت حسن يُنبِت في الرأس قرونا

٣٧ - وورد في - ص ١٨٢ - في الحاشية « وهذا علي بعده يدعي الشعرا »

وفي بدائع البدائ - ص ١٥٨ - « وهذا علي نجله يدعي الشعرا » .

وفي البدائع تحفة القصة قال قفصحه سرديان بن أبي الجنوب في ذلك المجلس ولم  
يحر جواباً إلا أنه قال بعد ذلك يبتين بعينه بهما وهما :

« بلاء ليس يشبه بلاء ... »

٣٩ - وردت مقطوعتان من شعر علي بن الجهم سيف « لباب الآداب »

- ص ٣٨٠ - وسراج الملوك للطرطوشي ص ١٦٦ ولعلها لم يردا في الديوان ،  
فالأولى :

إن الذين سَعَوْا اليك بباطلٍ أعداء نعمتك التي لا تمحُدهُ

شهدوا وغينا عنهم فتحكروا فينا وليس كغائبٍ من يشهدُ

لو يجمع الخصماء عندك مجلس يوماً لبان لك الطريق الأُرشدُ

فالشمس لولا أنها محجوبة عن ناظريك لما أضاء الفرقد (أ)

(أ) هذه الأيات من قصيدته التي قالها في السجن وأرلها :

قلت حبستَ فقلت ليس بضائري حبي وأي . مهند لا يغمد

وقد وردت جميعها في ص ٤١ من الديوان . خليل مردم بك



وقال الطرطوشي : وأما الكتب وصفاتها فتجلُّ عن الوصف ولقد أحسن ابن الجهم في قوله :

سميرٌ إذا جالسته كان مسلماً      فؤادك بما فيه من ألم الوجد  
يفيدك علماً أو يزيدك حكمةً      وغير حسودٍ أو مصرٍ على الحق  
ويحفظ ما استودعته غير غافلٍ      ولا خائن عهداً على قدم العهد  
زمان ربيعٍ في الزمان بأمره      يبيعك روضاً غير ذارٍ ولا جمد  
يتور أحياناً بورد بدائعٍ      أخصُّ وأولى بالنفوس من الورد

٤٠ - وفاتكم ترجمة « علي بن الجهم » في لسان الميزان لابن حجر  
« ج ٤ ص ٢١٠ » قال :

وأما علي بن الجهم بن بدر بن محمد ... السامي الشاعر في أيام المتوكل  
فكان مشهوراً بالنصب كثير الخطأ على علي وأهل البيت وقيل إنه كان بلعن  
أباه لم سماه علياً ، قتل في أيام المتعين سنة تسع وأربعين ومائتين وقد وجدت  
له رواية عن أبي مسهر وعنه عبد الله بن مبيط في « فوائد أبي روق اللهباني »  
قال أبو النرج الاصميهاني ... وقال ابن المعتز في طبقات الشعراء : « حجا علي  
ابن الجهم الطاهريين <sup>(١)</sup> ونسبه (كذا) إلى الرض فاحتالوا عليه حتى أخرجه  
المتوكل إلى خراسان فأمرُوا بصلبه بالشاذباخ ... وهجاه المجتري ... » .

٤١ - وأورد له السمعاني في ترجمة أبي الفضل محمد بن عمر بن يوسف

الشافعي قوله :

هل لك يا هند في الذي زعموا      كيلاً تحبب الخنونُ والتَّهمُ  
كم نتجافى عن الوصال فلا      نلّم من حامدك لاسلحوا

(١) في المطبوع « الطاهر » .

لو شئت حققت من ظنونهم لا تؤثيهم فطالما أثموا<sup>(١)</sup>  
 ٤٢ - وأردد له أين فضل الله العمري في مسالك الأبصار من الشعر المفضي  
 قوله<sup>(٢)</sup> :

دعه يداري فنعم ما صنعا لو لم يكن عاشقا لما خضعا<sup>(٣)</sup>  
 وكل من في فؤاده وجع يطلب شيئا يسكن الوجعا (أ)  
 وارجتنا للغريب . . . .  
 فارق أحبابه . . . .

فالبيتان الأولان مستدركان والحمد لله تعالى على حسن توفيقه .

مصطفى جواد

(بغداد)



- (١) مختصر تاريخ بغداد للسماني اختصار ابن مكرم صاحب لسان العرب « نسخة المجمع  
 العلمي العراقي للمصورة ، ورقة ٥ » .  
 (٢) إلا أنه لم يسم القائل ، بل قال « وما غنته عجبة منية الكامل من اصواتها  
 والشعر قديم » .  
 (٣) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٨٧٠ ورقة ٢١٣ .



(أ) ورد هذان البيتان في صلة التكملة لديوان علي بن الجهم ص ٢٥٨ .

خليل مردم بك

## المُغْرِب فِي حُلَى الْمَغْرِبِ

طُبع هذا السفر النفيس بدار المعارف بمصر المعروفة بنشر تفانى الأسفار والآثار ، وحققه وعلق عليه الدكتور شوقي خيف الذي عرف بتهيامه بالأندلس وحضارتنا العربية فيها ، ومخطوطة المغرب التي اعتمد المحقق الفاضل عليها هي المحفوظة بدار الكتب المصرية ، وهي نسخة تقيسة بخط علي بن موسى بن سعيد آخر المؤلفين الستة الذين توارثوا الكتاب مدة ( ١١٥ ) سنة ينقحون ويهذبون حتى لا يعرضوا إلا الخالص من جواهر الشعر والموشحات والأزجال .

وأصل الكتاب يضم خمسة عشر سفرًا : ستة منها لمصر ، وثلاثة لبلاد المغرب ، وستة للأندلس ، والأخيرة هي التي عني بنشرها ، وقد وضع لها المؤلفون اسمًا يجمع أطرافها هو « وشي الطرُس في حلى جزيرة الأندلس » ولم يجد المحقق من أسفار الأندلس الستة غير خمسة قدم منها للباحثين هذا الجزء الأول الذي يحتوي ثلاثة أسفار من النص ، إلا قليلًا .

كانت حضارتنا الأندلسية شبه مجهولة في الأقطار العربية ، فكانت الأحكام عليها ناقصة أو ظالمة ، ولذلك اعتقدت مع الناشر أن هذا النص سيدفع المؤرخين للشعر الأندلسي إلى أن يمدوا النظر في تاريخهم وما نثروه من أحكام فيه ، فيعدلوا في هذه الأحكام قارة ، ويلفوها ويثبتوا موضعها أحكامًا جديدة تارة أخرى ، ولا يختلف اثنان في أن ما نشر عن الأندلس لا يزال قليلًا ، وإن نشر أي نص جديد يبدؤ فراغًا كبيرًا لما يذيعه من معاني وخصائص أدبية ، ولما نفتقر إليه المؤلفات والمصنفات المنشورة من نصوص أخرى تسندها ، ونقوم ما فيها من خلل ونقص .

وقد نشر الأستاذ عبد الله كتون في مجلة المجمع العلمي العربي بحثًا ممتعًا عن هذا السفر الأندلسي الجليل ، وكان المجمع قد أرسله إليّ لتقريظه ، فحذفت من

بحثي ما وافقت فيه الباحث المغربي ، واعتبرت الباقي منه ذيلًا ليبحث الأستاذ  
كثوث النفس .

فما عثرت عليه من الأخطاء ( ص ٦/٦٤ ) : لابن أبي دؤاد ، بالهمز ،  
والصواب بنير كما في الاشتقاق لابن دريد ، وفي الصفحة ٦٧ والسطر ٨ :  
حيث ، والصواب رسمها بالالف حيتا ، وجاء في ( ٥/٨٤ ) : والريح ، والصواب :  
والريح بالحاء المهملة ، وهي بالطبع من فساد الطبع - وفي ( ١٥/٧٤ ) جاء عجز  
البيت الثاني : ( أبتان يبدو بالأزهر كلسي ) ، والصواب : إبتان أي حين ،  
وصححة المعنى على ذلك ، وفي ( ٧/١١٦ ) : « أو ما ترى أوتادها قصد القنا »  
وصواب الضبط ( قِصَد ) بكسر القاف وفتح الصاد جمع قِصْدَة من القصد  
وهو الكسر ، جاء في اللسان : والقصدة الكسرة منه والجمع قِصَد ، يقال  
القنا قِصَد ... وأنشد أبو عبيد لقيس بن الخطيم :

تري قِصَدَ المران تلقى كأنها تذرّع خرصان بأيدي الثوابط

وفي ( ١٢/١٢٢ ) بين رقيا ومدادها ، وصواب الضبط الذي لم يذكر في  
الاستدراكات آخر الكتاب ( بين رقيا ) بكسر القاف للإضافة ، وفي  
( ٢/١٨٤ ) : أنشد له صاحب سقط الآلي ، وفي السطر ١٤ من هذه الصفحة  
( من السقط ) ، والسقط والسقط كتاب واحد واسمه الكامل ( سقط الجمان  
وسقط الآلي وسقط الجمان ) كما هو مذكور في الصفحة ١٥ ، وهو لأبي عمرو  
ابن الإمام ، ذكر فيه من أخلّ ابن خاقان وابن بسام بتوفية حقه من الفضلاء .  
وفي ( ١٣/٢٤٣ ) : أمسك دارين ، وصواب الضبط : أمسك ... بالضم ،  
وقد روي البيت التالي ( بشاطي النهر حيث النور مؤتق ) ، وفي الحاشية ( ٣ )  
في المطمح : الروض ، ويستقيم المعنى على رواية المطمح ولا يستقيم بضبط  
( النور ) بضم النون ، فالصواب أن يضبط بفتحها بمعنى الزهر لأنه يؤتق الناظر



أي يعجبه منظره قال صاحب اللسان : وعلى هذا يكون قولهم ( روضة أنيق ) في معنى مانوقة أي محبوبه ، وأما أنيقة فبمعنى مؤنقة ، يقال : آتقني الشيء فهو مؤنق وأنيق ، ومثله مؤلم وأليم .

وفي ( ٣/٢٥٦ ) : ومن بُعِدَ ، وصواب الرواية بضم عين ( بعد ) بحارة لضمة الباء وحفظاً لوزن الشعر ، وفي ( ٨/٢٧٥ ) كالفصن النفير ، والصواب النضير ، وهو يمين ، وفي ( ٥/٢٨١ ) : قل له أشنه يافقي ذا الكلام ، من زجل لأبي عبد الله بن خطاب ، والتعبير أندلسي عامي ، وهو باقٍ على السنة المغاربة الى يومنا هذا يلفظونه ( إشنه ) أي أي شيء هو على التخت .

وفي ( ١٢/٣٣٩ ) : والزرع والضرع : والتخل والتاج ، ولعل الصواب : والتخل مقابلة ( للزرع ) ، ويكون التاج مقابلاً ( للضرع ) .  
ومن أخطاء العروض ( ١٦/٤١٣ ) : عيّرَتي بـقامٍ وضى ، والصواب : ( عيّرَتي ) يجعل التاء للتأنيث والشعر من بحر الرمل .

وفي هذا السفر النفيس كثير من ألفاظ اللغة التي عرّبها الأندلسيون واستعملوها في كلامهم مثل ( البلينة ) تعريب Baleine التي تترجمها بالحوث ، وأنواع الحيتان لا تحصى ، وكان أبو عثمان سعيد بن عثمان معروفاً بالبلينة ، وضبط في الصفحة ( ١٩٢ ) بفتح الباء وسكون اللام مع فتح الياء ، ولعل اللفظ كان بلينة بكسر اللام وزان عجيبة ، ونحن في حاجة الى مثل هذا التعريب الموافق لأوزان لغتنا العربية ، واستعمل الأندلسيون مثلنا كلمة ( بـفرّج ) ، ويجوزها اشتقاقها من الفرّج ، وكلمة ( جرس ) بالمعنى الذي نستخدمه في الشام ، لأنهم كانوا يقرعون الجرس على رأس الذي تراد فضيخته بين الناس .

وهناك ألفاظ غير بيّنة الدلالة ، وكانت على الناشر شرحها مثل لفظة ( شراجيب ) الواردة في الصفحة ( ١٤/٢٩٣ ) : أكثر شراجيبها منقوشة مذهبة

تخطف الأبصار ، والشرجب في لفتنا الفصحى الطويل ، وهو أيضاً نمت الفرس الجواد ، فالشراييب غير بيئة المراد .

وفي الكتاب روائع من شعر الأندلس الموائق للطبع والطبيعة ، ويحسن لي لامتاع القراء والزراع أن أختتم هذه العجالة ، أو أطرز ذيل بحث ابن كنون يهذين اليبين ، والمعنى فيها طريف وصحيح يوافق ما أقرته الزراعة الحديثة ، وهما لأبي يحيى بن هشام تبيع كتاب الأندلس في عصره ، وإن لم يكن من شيوخ الشعراء :

لاموا على حب الصبا والكس لا بدا وضح المشيب برامي  
والفن أحوج ما يكون لسقي إبان يبدو بالأزاهر كامي

التوضي



### ( جَوْقَة ) أم ( كَوْرَس ) ؟

في ( الوصلات ) الغنائية ، في دار الإذاعة السورية يقول المذيع : ( والآن تستمعون إلى أغنية ... بقدمها كورس الاذاعة ) .

استدعت كلمة ( الكورس ) هذه انتباهي منذ أمد لغابتها فتساءلت ما منشأ هذه الكلمة ؟ أي عربية الأصل أم هي إفريقية معربة وما اشتقاقها إن كانت كذلك ؟

رجعت إلى ما في يدي من النصوص فتبين لي ما أذكره فيما يلي ليرى القاري كيف تنسرب الكلمات الأعجمية إلى لساننا من الأفواه سماعاً بعضنا من بعض وتقليداً دون ترويض ولا تمحيص .

( chorus ) وتلفظ باللاتينية 'كورس' koruss بضمين ثقيلتين ، وبالفرنسية

choeur 'كور بضمة خفيفة مبسوطه وهذه من اليونانية Khoros وتقرأ 'خورس  
بضمتين ثقيلتين) • ويعنون بخورس هذه : ( جماعة من الناس يقومون بتشيد  
أو بناء ) ، و ( جماعة من الموسيقيين يغنون سواء ) ، و ( « التخت » أو  
الحل يجلس عليه هؤلاء ) •

وكلمة ( خوروس ) انتقلت من اليونانية الى التركية بلفظها تماماً ، ولكن  
لا الى ( جماعة المغنين ) بل الى ( جماعة الديبكة ) التي تصيح ( وصياحها نوع  
من الفناء على الجاز ) • والترك يستعملون ( 'خورا khora ) من اليونانية أيضاً  
( لجماعة من الرجال والنساء يلتفت بعضهم الى بعض حلقة هزجون ويرقصون  
مثلاً يفعل أهل القرى عندنا في « الديبكة » ) •

فالكورس ( الأصح 'كورس ) لدى الإذاعة ما هو إلا ( جوقة ) من  
الموسيقيين يغنون ويعزفون جميعاً •

والجوقة ، لغة : ( الجماعة مناً ) • تقول ( جوقهم تجوبقاً ، جمعهم )  
و ( جوق عليه ، جلب وصيح ) و ( تجوقوا ، تجمعوا ) •

ففي كل ما يشتق منها ، معنى ( الجمع والجماعة ، والجلبة والصبح ) •  
والعامة تستعمل كلمة ( جوقة ) الفصحى لما يقصده المذيع من كلمة ( كورس )  
الأنعجية فيقولون ( جوقة أم كلثوم ، وجوقة طرب عبد الوهاب ... الخ ) •  
أليس المذيع - بعد هذا - بأحق من العامة أن يعدل عن الكلمة الأنعجية  
الى الكلمة الفصحى حين تقديمه ( جوقة الإذاعة ) الى مستمعيه ليصفوا الى  
أنغام آلانهم الشجية ، ويهدئوا أعصابهم المضطربة ، بسحر ( معزوفاتهم ) الطلية  
خصوصاً إذا كانت من ( المقامات ) المدرسية ( كلاسيك ) لا السوقية •

الكواكبي

## أخطاء شائعة

## (الرماح الردينية)

الرماح في حروب العرب لما أهميتها البالغة لأنها سلاح الكروايفر وظلت سلاحاً معاً إلى أوائل هذا القرن حيث قضت البندقية والمدفع على كل شيء ، ولهذا كثر تغني الشعراء بالرماح الخطية والردينية والخطية منسوبة إلى الخط<sup>(١)</sup> وهي ساحل بلاد البحرين والقطيف . ويقال إنها - أي الرماح - كانت ترد بمراكب الهند إلى دارين ميناء الخط فتتقف هنا فتباع فنسب إلى الخط ، كما يقال إن الردينية منسوبة إلى امرأة اسمها ردينة فتتقف الرماح .

هذا ما هو مشهور ولكن هناك ما ينبغي هذه التعليقات لأن الرماح أو القنا من فعيلة القصب الصمد (المصمت) غير المخوف وهو من نباتات المستنقعات والمناطق الحارة والخط هو بلاد المستنقعات وحار الطقس فلا يبعد أن يكون القنا بنبت فيه ، وفي جزيرة دارين نفسها الآن عين ماء اسمها أم القنا وتجاورها عين أخرى اسمها أم النرسان فلا بد أن هناك علاقة بين النرسان والقنا وهذه الأسماء لا تطلق إلا على مسجيات فهناك عيون أخرى تسمى بأم البردي وأم القصب وأم زمزوم (والزمزوم دوحة الأسل) وهذه الأسماء الباقية تدل على أصولها فان نفس جزيرة دارين كانت ولا تزال تسمى جزيرة تاروت لأن فيها هيكلاً للالهة عشتاروت .

(١) الخط خط السيف أي الساحل حددته ابن مقرب بقوله ( وطوعوا الخط من ماج إلى قطر ) والمراد به خط السواد أي النخيل لأن يتابع للياه تمتد من زاوية خليج سلوى ( قطر ) جنوباً إلى تاج في وادي للياه شمالاً وهذا الخط كان مملوءاً بالمدن والقرى والأنهار ودقت الرمال أغلبها وبدأت بالنخيل البرية والحروب القرامطة أكبر في خراب تلك البلدان ولم تر هذه الأصنام إلا بعد أن تولاهما الملك عبد العزيز آل سعود فدمرت فيها الحياة ثانية .



ولا يبعد أن تكون رواية قنا الهند هذه ليست يعمدة من رواية الرماح  
الردينية وهم ينسبوننا الى ردينة ويزعمون أنها امرأة تثقف الرماح ولكن الاسم  
ورد بالتأنيث تبادر الى أذهانهم أنها امرأة مع أن ردينة أو الردينية أو الردينيات  
بلاد لا تزال آثارها باقية ومحتفظة باسمها وهي تقع في وادي المياه (وادي  
الستار سابقاً) من قرة بني خالد تبعد أربع مراحل عن القطيف الى الشمال  
وتبعد عن الساحل قرابة ١٠٠ كيلومتر ووادي المياه هذا يحتوي على عدة بلدان  
وردت أسماءها في أشعار العرب القديمة منها نطاع والصرار وحنيد وثاج والردينية  
والحناءة وهي ذات عيون جارية ومستنقعات لا يبعد أن تثبت فيها الرماح  
قال النابغة :

أثبت نبتة جعد ثراء به عوذ المطاقل والمتالي

يكشفن الألاء مزيينات بغاب (ردينة) السحيم الطوال

وهذا يدل على أنها ذات مستنقعات وغاب نباته أسود كثيف طويل  
ولا يكون بهذه الصفة إلا غاب الرماح . وهنا يبدو لنا سؤال لماذا ينسب  
العرب الرماح الى الخط وهي من الهند ، مع أنهم ينسبون السيوف الى الهند  
نفسها ويميزون بينها وبين الجانية ، والرماح مع السيوف صنوان في أهم شؤونهم  
الحربية . وهناك أيضاً ورود كلمة التثقيب وان البلدة الفلانية تثقف فيها الرماح  
وهذا لا يكون إلا أن تكون الرماح من نباتات البلد نفسها لأن الرماح لا تأتي  
من الهند إلا مشققة ومما كان من الأمر فان الحقيقة التي لا مرأى فيها أن ردينة  
بلدة لا امرأة والله الموفق للصواب .

خالد بن محمد الفرج

(الظهران - القطيف)

## فهرس الجزء الأول من المجلد الثلاثين

| صفحة |   |
|------|---|
| ٣    | الشعر في العصر الأموي . . . . . الأستاذ خليل مردم بك . . .                              |
| ١٨   | الحس والفكر . . . . . للدكتور جيل صليبا . . .   |
| ٣١   | المسوغات العقلية لبلاغة . . . . . للأستاذ أنيس المقدسي . . .                            |
| ٤٢   | جولة لغوية في كتاب النبات (٣) . . . . . الأستاذ عبد القادر المغربي . . .                |
| ٥١   | فهرست مؤلفات محبي الدين ابن عربي (٣) . . . . . الأستاذ كور كيس هواد . . .               |
| ٦١   | منازل القبايل المريه حول دمشق . . . . . للدكتور صلاح الدين المنجد . . .                 |
| ٧١   | مقدمة المروزوقي لترحه الحماسة أن تمام (٣) . . . . . للأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور . . . |
| ٨٧   | ابن الطيب ( معني للأمرس ) . . . . . للأستاذ محمد العربي المروزي . . .                   |
| ٩١   | رسالة هي بن يقظان مع ترجمها لابن سينا (٣) . . . . . للدكتور محمد صغير حسن المصومي . . . |
| ١٠٦  | تاريخ فكرة إعجاز القرآن (١٠) . . . . . للأستاذ نعيم الحموي . . .                        |

## التعريف والنقد

|     |  |
|-----|--|
| ١١٤ | عمر بن عبد العزيز ، ابوطالب ، جعفر بن محمد . . . . . للأستاذ عارف النكدي . . . |
| ١١٩ | التبشير والاستثمار . . . . .   |
| ١٢٢ | فلسطين بين ثارين . . . . . للأستاذ شفيق جبيري . . .                            |
| ١٢٤ | مذكرات سائح في الشرق العربي . . . . . للأستاذ محمد بهجة البيطار . . .          |
| ١٢٩ | هدية العارفين . . . . .  |
| ١٣١ | أساليب تدريس اللغة العربية . . . . . للأستاذ عز الدين التروخي . . .            |
| ١٣٢ | الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية . . . . . للدكتور اسعد الحكيم . . .         |
| ١٣٤ | مشاركة في دراسة استخراج دهن الكتان . . . . . للأمير مصطفى الشهابي . . .        |
| ١٣٦ | كتاب الكتاب ومنحة الدواة والقلم وتفسيرهما . . . . . للدكتور حكمة هاشم . . .    |
| ١٣٨ | العلم يدعو للايمان . . . . . للدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي . . .            |
| ١٥٠ | تاريخ مصر ( القسم الأول ) . . . . . للدكتور جورج حداد . . .                    |
| ١٥٢ | مجموعة طلبة تشمل على أربع رسائل . . . . . للأستاذ محمد بهجة البيطار . . .      |
| ١٥٦ | طلبة التكوين . . . . .   |

## آراء وأبناء

|     |   |
|-----|---|
| ١٥٧ | اعضاء النجمع الطبي العربي في سنة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م . . . . .                   |
| ١٥٩ | اعضاء النجمع الطبي العربي الراحلون . . . . .                                  |
| ١٦١ | ملاحظات على ديوان علي بن الجهم الطليوع (٢) . . . . . للدكتور مصطفى جواد . . . |
| ١٦٧ | المغرب في عمل الكفر . . . . . للأستاذ عز الدين التروخي . . .                  |
| ١٧٠ | ( جريدة ) ام ( كورس ) ؟ . . . . . للدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي . . .      |
| ١٧٢ | انطاة شائعة ( الرماح الدينية ) . . . . . للأستاذ خالد بن محمد الدرج . . .     |

## مَطْبُوعَاتُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ بِدِمَشْقٍ

- ١ - محاضرات المجمع العلمي العربي ( الجزء الأول )
- ٢ - محاضرات المجمع العلمي العربي ( الجزء الثاني )
- ٣ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحمّن التنوخي ( الجزء الثاني ) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث .
- ٤ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحمّن التنوخي ( الجزء الثامن ) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٥ - رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٦ - المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٧ - تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين انبهرقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٨ - المستجاد من فعلات الأجداد للقاضي أبي علي المحمّن التنوخي : بتحقيق  
الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ - كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ - البيرة لبازيار العزيز بالله الفاضلي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ - غوطة دمشق ( الطبعة الثانية ) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٢ - كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٣ - ديوان الوليد بن يزيد: جمع وترتيب المستشرق الأستاذ : ف . جبريالي  
قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٤ - ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٥ - ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملة الأستاذ خليل مردم بك
- ١٦ - ديوان ابن حيّوس ( الجزء الأول ) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٧ - ( الجزء الثاني )
- ١٨ - الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( الجزء الأول ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسني

- ١٩ - الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( الجزء الثاني ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسني
- ٢٠ - الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢١ - ( الجزء الثاني ) = = = =
- ٢٢ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ( قسم التاريخ ) وضعه  
الدكتور يوسف العش
- ٢٣ - ديوان الوأواء السمتي : بتحقيق الدكتور سامي الدعان
- ٢٤ - تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر ( المجلد الأول ) : بتحقيق  
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٥ - تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر ( القسم الأول من المجلد الثانية ) :  
بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
- ٢٦ - فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الرقي : بتحقيق  
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٧ - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن  
يوسف بن رسول : بتحقيق المنشرق السويدي الأستاذ ك . و . مترستين .
- ٢٨ - تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار اخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
- ٢٩ - عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
- ٣٠ - الموفي في التحوالكوفي للسيد صدر الدين الكنفراوي الاستانبولي : شرحه  
وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
- ٣١ - التبصر بالتجارة للباحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
- ٣٢ - المتقى من أخبار الأصمعي للإمام الرقي
- ٣٣ - تكملة لإصلاح ما تفلط به العامة للجواليقي
- ٣٤ - بحر العوام في مآسب فيه العوام لابن الخليل الحلبي
- ٣٥ - الرسالة النباتية : للأمرير معطفي الشهابي
- ٣٦ - المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
- ٣٧ - الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ أبي عبد الله الزنجاني



# مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٥

٨ شعبان سنة ١٣٧٤

## جرير

- ١ -

هو أبو حَزْرَةَ جرير بن عطية بن الخطمى ، واسم الخطمى حَذَيفَة  
وانما لقب بالخطمى لقوله من أرجوزة :

«وعَتَقًا بعد الرسم حَتِيطَقَا»<sup>(١)</sup>

ينتهي نسب جرير الى كليب بن يربوع ، وكليب يربوع بطنان من تميم  
إحدى قبائل العرب المضرية . وأم جرير أم قيس بنت معبد من بني كليب ،  
فهو كليبى من أبويه .

ولد جرير باليمامة من نجد حوالي سنة ثلاثين ، وحملت به أمه سبعة أشهر ،  
وعيشه الفرزدق ذلك بقوله :

«وأنت ابن صغرى لم تَمِ شهورها»

(١) نقائض جرير والفرزدق ج ١ ص ١ والاشتقاق لابن دريد ص ١٤١ .  
والخطنة : الرعة .

ونسج الرواة حول — تسميته بجرير خبراً رواه صاحب الألفاني<sup>(١)</sup> وهو :  
 « رأت أم جرير وهي حامل به كأنها ولدت حبلاً من شعر أسود ، فلما سقط  
 منها جمل يثرو فيقع في عنق هذا فيخنقه ، حتى فعل ذلك برجال كثير .  
 فأنشيت فرجة ، فأولت الرؤيا ، فقبل لها تلدين غلاماً شاعراً ذا شعر وشكبة  
 وبلاء على الناس . فلما ولدته سمته جريراً باسم الحبل الذي رأت أنه خرج منها .  
 والجرير : « الحبل » وكانت ترفسه وهو طفل بقولها :

قصت رؤياي على ذاك الرجل      فقال لي قولاً ولبت لم يقل  
 لتلدن عضلة من العضل      ذا منطلق جزل إذا قال فصل  
 مثل الحسام العضب ماس فصل      يعدل ذا الميل وئماً يعتدل  
 أما أبوه عطية فلم يكن ذا شأن بذكر ، بل وصفوه بالمهانة والشح ،  
 ورووا أن جريراً كان عاقاً له ، وأنه كان يقول الشعر ولكنه لم يشتهر به ،  
 ذكره المرزباني في معجم الشعراء من ٢٩٧ وروى صاحب النقااض شيئاً  
 من شعره<sup>(٢)</sup> .

وأما الخططي جد جرير فقد كان يقول الشعر أيضاً ، ولقب كما تقدم  
 ببيت قاله من أرجوزة ، وكان أعلى شأنًا من عطية لم يرم بما يعنيه ، بل  
 كان حفيده جرير بفخر به على الفرزدق قال :

بنى الخططي حتى رضى بناه      فهل أنت إن لم يرضك القين فأنله<sup>(٣)</sup>  
 وذكر محمد بن حبيب أن الخططي كان ذا مال كثير .

وأما كليب — القبيلة التي ينسب إليها جرير — فلم يكن يفخر بها لقلة  
 ماثرها ، ولم يذكرها في شعره إلا قليلاً قال :

(١) الألفاني ج ٨ ص ٤٩ .

(٢) النقااض ج ١ ص ٢ .

(٣) ديوان جرير طبعة الصاوي ص ٤٨٣ .

« ويرعى تقالاً عن كليب جريرها »<sup>(١)</sup>

بل كان يتخطاها الى يربوع فيفخر بها في مواضع كثيرة من شعره .  
نشأ جرير باليامة نشأة بدوية ، فكان يرعى الغنم لأبيه ، وقال الشعر في  
حياة أبيه وجده . ورد في التقائس<sup>(٢)</sup> أن أول شعر قاله جرير أرجوزة يهجو  
بها غسان السليطي أولها :

« لا تحسبني عن سليط غانلا »

وقال محمد بن حبيب بل إن أول شعر قاله قصيدة مطلعها :

ألا حي رهي ثم حي المطالبيا فقد كان مأنوماً فأصبح خالبا  
وهي عتاب لجدد الخطفى ، وذلك أنه استنحل من ماله . وكان ذا مال  
كثير . فقال أنهلك كما نحت عميك عطاء وحزاماً ، وكان ينحل كل واحد  
من بنيه ريع ماله ، وكان الربيع في هذا العام قليلاً ؛ فتسخطه جرير وقال :  
قد صرت شيناً من بنيك وأبا عيال ، وعاتبه واستزاده فلم يزد ، وفي تلك  
القصيدة يقول جرير :

فردى جمال الحي ثم تحملي فمالك فيهم من مقام ولا ليا  
وإني لمروءة أعل بالسنى ليالي أرجو أن مالك مالبا  
فأنت أبي ما لم تكن لي حاجة فأون عرضت أبقت أن لا أباليا

وكان ذلك في خلافة معاوية ، لأن يزيد بن معاوية يمثل بأبيات منها أمام  
أبيه . أما أبياتها الأخيرة التي يهجو بها الفرزدق فقد روي أن جريراً ألحقها  
بالقصيدة بعد عشرين سنة .

وظل جرير غير مشهور حتى وقعت المهاجرة بينه وبين الفرزدق في أواخر أيام

(١) ديوان جرير ص ٢٩٤ .

(٢) تقائس جرير والفرزدق ص ٢ .

معاوية ، وروي أن جريراً قدم على يزيد في خلافته فاستؤذن له مع الشعراء ، فأمر يزيد ألا يدخل عليه شاعر إلا من عرف شعره ، فقال جرير قولوا له أنا القائل :

فردى جمال الحى ثم تحمّلى فمالك فيهم من مقامٍ ولا ليا  
الآيات ... وكان يزيد عاتب أباه بهذه الآيات ونسبها الى نفسه لأن  
جريراً لم يكن شعره شهر حينئذ . فأمر بإدخاله ، فلما أنشده قال يزيد :  
لقد فارق أبي الدنيا وما يحسب إلا أني فائزها . وأمر له بجائزة وكسوة (١) .  
على أنه ليس في ديوان جرير المطبوع شيء مدح به جرير يزيد بن معاوية .  
ولم يرو عن جرير بعد ذلك أنه اتصل بأحد من الخلفاء أو عمالهم الى أن  
وفد على الحكم بن أيوب الثقفي ابن عم الحجاج وزوج أخته وخليفته على البصرة ،  
فمدحه بأرجوزة يقول فيها :

... حتى تناهين الى باب الحكم خليفة الحجاج غير المتهم  
فأعجبه ظرفه وشعره ، فكتب الى الحجاج انه قدم عليّ أعرابي شيطان من  
الشياطين ، فكتب اليه أن ابث به إليّ ، ففعل ؛ فقدم جرير على الحجاج  
فأكرمه - ولجرير عدة قصائد يمدحه بها - وقدمه الحجاج الى عبد الملك بن  
سروان بدمشق مع ابنه محمد بن الحجاج ، فحجبه عبد الملك - وكان لا يسمع  
من شعراء مضر لأنهم كانوا زبيريّة - فشفع له محمد وقال إنه لم يكن ممن  
والى ابن الزبير ولا نصرته يده ولا لسانه ، وما زال به حتى أذن له وسمع  
قصيدته وأجازها عليها وهي التي يقول فيها :

السم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح  
ولجرير في عبد الملك عدة قصائد أيضاً . ومنذ ذلك الحين أصبح من شعراء



بني أمية يقف على خلفائهم ويمدحهم واحداً بعد واحد ، فقد مدح بعد عبد الملك أبناءه الأربعة الوليد وصليمان ويزيد وهشاماً ؛ ومدح عمر بن عبد العزيز كما مدح طائفة من أمراء بني أمية وولاتهم .

وربما كان أعظم حوادث حياته المهاجرة التي وقعت بينه وبين الفرزدق واستمرت نحواً من خمسين سنة ، وكان يتاصر الفرزدق جيش من الشعراء يتجاوز عددهم الأربعين ، فصعد لم جرير وحده وأسقطهم واحداً بعد واحد ، ولم يثبت له إلا الفرزدق والأخطل .

وكان لجرير إخوة ذكر منهم عمرو وكان أكبر من جرير ويقول الشعر ، وأبو الورد وحكيم وقد ذكروا جرير في شعره . قال صاحب الأغاني<sup>(١)</sup> : أما أبو الورد فكان يحمي جريراً فذهبت لجرير إبل فشمت به أبو الورد ، فقال جرير :

أبا الورد أبقى الله منها بقيةً      كفت كل لؤم يخذول وحاسد  
وقال بعائب حكيماً وعمراً :

رأيتك يا حكيم علاك شيبٌ      ولكن ما لحلمك لا يثوب<sup>(٢)</sup>  
وعمرؤ قد كرهت عتاب عمرو .      وقد كثر المتعائب والدثوب  
وقد مانا قبله فرثاهما بقوله :

خليلي كم من زفرة قد رددتها      ومن ظلمة وارت عليّ ضحى حجراً<sup>(٣)</sup>  
إذا ما دعا قوم عليّ أنхамُ      دعوت فام أسمع حكيماً ولا عمراً  
وزوجات جرير : أم حذرة وفي خالدة بنت سعد بن أوس من بني كليب ،

(١) الأغاني ج ٨ ص ٥٠ .

(٢) ديوان جرير ص ٣٨ .

(٣) ديوان جرير ص ٢٢٢ .

كان جرير يحبها كثيراً ويتفضل بها <sup>(١)</sup> ، وتوفيت قبله ودفنت بنصف بئليه <sup>(٢)</sup>  
فرثاها بقصيدة من حر الشعر مطلعها :

لولا الحياء لعادني استعبارُ ولزرت قبرك والحبيب يزارُ <sup>(٣)</sup>

وكان جرير يسمي هذه القصيدة الجوساء لدهائها في البلاد <sup>(٤)</sup> .

ومن زوجاته أمامة بنت عمر بن حرام من بني كليب ، ولدت له من البنين  
عكرمة وموسى ، ومن البنات موفية وجبلة وزيداء وجعدة <sup>(٥)</sup> . وكان يتفضل  
بها أيضاً من ذلك قوله :

ودّع أمامة حان منك رحيلُ إن الوداع لمن تحب قليلُ

وذكرها في عدة مواضع من شعره . ومن زوجاته زرة الديلمية كانت تكنى  
بأم حكيم ولدت له بلالاً ونوحاً وهي مولاة ديلمية ذكرها في شعره فقال :

إذا عرضوا ألفين فيها تعرضتْ لأم حكيم حاجةً في فؤادها <sup>(٦)</sup>

لقد زدت أهل الريّ عندي ملاحهً وحيبت أضعافاً إليّ المواليا

وورد ذكرها أيضاً في ص ٢٢٠ من الديوان . وورد في ص ٥٠٠ من شرح  
التقائض أن له امرأة اسمها سلى ولم يزد على ذلك في تعريفها . وقد ورد ذكر  
سلى في شعر جرير كثيراً من ذلك قوله :

ألمّا على سلى فلم قرّ مثلها خليل مضافاً 'يزارُ' ويمدحُ

أما أولاده وأولاد أولاده فقد بلغوا في حياته عدداً كبيراً حتى كاد جرير

ينحني في إحصائهم قال :

(١) انظر ديوان جرير ص ٦٠ و ٢٥٣ و ٣٦٧ و ٤٤٩ و ٦٩٦ .

(٢) ديوان جرير ص ٢٠٠ .

(٣) ديوان جرير ص ١٩٩ .

(٤) تقائض جرير والفرزدق ص ٢٠٣ .

(٥) ديوان جرير ص ٥٩٩ .

ما إذا ترى في عيال قد برمت بهم لم تحصن عدتهم إلا بعدار<sup>(١)</sup>  
كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية لولا رجاؤك قد قتلت أولادي  
ذكر من البنين منهم حزرة ، ولعله أكبر أولاده لأنه كان يسكن به فيقال له  
أبو حزرة ، ذكره في شعره فقال :

يا حزر أشبه منطقي وأجلاد<sup>(٢)</sup> وكتر ياني الأمر بعد الأبراد<sup>(٣)</sup>  
وعدوتي في أول الجمع العاد وحسي عند بقايا الأزواد<sup>(٤)</sup>  
وحسي الضيف الى جنب الزاد

وأم حزرة خالدة بنت سعد ، وكان حزرة شاعراً قال جرير :  
فإن لآخر الشعراء مني كما للأولين من النكال<sup>(٥)</sup>  
مواسم ما بقيت لهم وبعدي مواسم عند حزرة أو بلال  
ومنهم سوادة توفي قبل جرير بالشام ورثاه بقصيدة أولها :  
قالوا نصيبك من أجر قتلت لم من للمرين إذا فارقت أشبالي<sup>(٦)</sup>  
ومنهم نوح وبلال وأما دبليبة وكلاهما شاعر مقل<sup>(٧)</sup> ، قال جرير  
بذكر بلال :

إن بلالاً لم تشه أمه لم يناسب خاله وعمه<sup>(٨)</sup>  
يشني الصداع ريحه وشمه وينهب المصوم عني ضمه  
كان ريح المسك مستحمة

(١) ديوان جرير ص ١٥٦ .

(٢) ديوان جرير ص ١٣٩ .

(٣) ديوان جرير ص ٤٢٦ .

(٤) ديوان جرير ص ٤٣ .

(٥) الفهرست لابن النديم ص ١٥٩ .

(٦) ديوان جرير ص ٥٣٣ .

ولكن بلالاً هذا خرج عاتاً لأبيه ، وقد ترجم له ابن عساكر في التاريخ الكبير<sup>(١)</sup> وروى شيئاً من شعره وذكر أنه ولي بعض الأعمال في اليمامة .  
وورد ذكر نوح في شعر جرير قال :

وتعجب من شحوبي أم نوح . وما قاست رواحي وإبتكاري<sup>(٢)</sup>  
ومن شعر نوح قوله :

ألا قد أرى أن المنايا نصيبني فما لي عنهن انصراف ولا بُد<sup>(٣)</sup>  
فذا العرش لا تجمل ينفدادي ولكن بنجد حبذا بلداً نجد<sup>(٤)</sup>  
بلادنا نأت عنها البراغيث والتقى بها العين والآرام والعفر والربد  
ومتهم عكرمة وموسى وأمهأ أمانة بنت عمر<sup>(٥)</sup> . ومنهم حجناء<sup>(٦)</sup> .  
ومن بناته موفية وجبلة وزيداء وجعدة وأهن أمانة بنت عمر : تزوج  
زيداء كسب بن عمران بن عطاء بن الخططي فولدت له مسحلاً وأيوب  
وكانت تكنى بأم مسحل . قال جرير في زيداء وقد خطبها ناس من  
بني كليب فكروهمهم :

تضج زيداء من الخططاب من قطرين ومن ضباب<sup>(٧)</sup>  
ومن أبي الدجاء كالصواب ومن عجبر فاتح العباب  
وقال بذكر جعدة :

لما ارتحلنا ونحو الشام نبتنا قالت جعدة هذي نية فذوق<sup>(٨)</sup>

(١) ابن عساكر ج ٣ ص ٢٩٧ .

(٢) ديوان جرير ص ٢٢٠ .

(٣) معجم البلدان مادة نجد .

(٤) نقائض جرير والفردق ص ٢٠٣ .

(٥) طبقات الشعراء لابن سلام ص ١٥٣ .

(٦) ديوان جرير ص ٥٥ .

(٧) ديوان جرير ص ٢٨٧ .



ومن بناته أم غيلان ذكرها جرير في شعره فقال :

لقد ملتنا يا أم غيلان في السرى      ونمت وما ليل المطي بنائم<sup>(١)</sup>  
تزوجها الأبلق التيمي وذلك أن جريراً أصابه حمرة فتورم فأُتي له بالأبلق  
وكان يرقي منها ويداويها ، فقال له ما يجعل لي إن داويتك حتى تبرا ؟ قال  
له جرير أجعل لك حكمك ، فلا يري<sup>(٢)</sup> احتكم الأبلق أن يزوجه جرير بنته  
أم غيلان ، وكان جرير وفياً فزوجه إياها فقال الفرزدق :

لئن أم غيلان استحل حرامها      حمار الفضا من ثقل ما كان ريقاً<sup>(٣)</sup>  
فما نال راقٍ مثلها من لعابه      علمناه ممن سار غربياً وشرفاً  
ومن بناته زينب خطبها ابن عم لجرير فلم تزل به زوجته أمانة وهو لا يريد  
تزوجها حتى زوجه إياها فقال :

وغرنا أمانة فانتحنا      عصيدة إذ تنجيت الفحول<sup>(٤)</sup>  
إذا ما كان فذلك فعل سوء      خلجت الفحل أو لوّم الفصيل  
ومن أحفاده عقيل بن بلال كان شاعراً<sup>(٥)</sup> . وابنه عمارة بن عقيل كان  
شاعراً مجيداً كثيراً فضله بعضهم على جرير ، وبقي إلى أيام المتوكل ، وأفرد  
له صاحب الأغاني<sup>(٦)</sup> ترجمة واسعة وقرّظه وأثنى عليه . وترجم له الخطيب  
البغدادي في تاريخ بغداد<sup>(٧)</sup> والأنباري في طبقات الأدباء<sup>(٨)</sup> .  
ويقول ابن دريد في الاشتقاق<sup>(٩)</sup> « ولجرير عقب بالجماعة كثير » وفيما يلي  
شجرة تحمل أسماء من وقفنا على ذكرهم من بني الخطّفتي جد جرير :

(١) النقا من ٤٥٤ .

(٢) النقا من ٨٤٠ .

(٣) نقا من جرير والفرزدق من ٨٤٣ وديوان جرير من ٤١٦ .

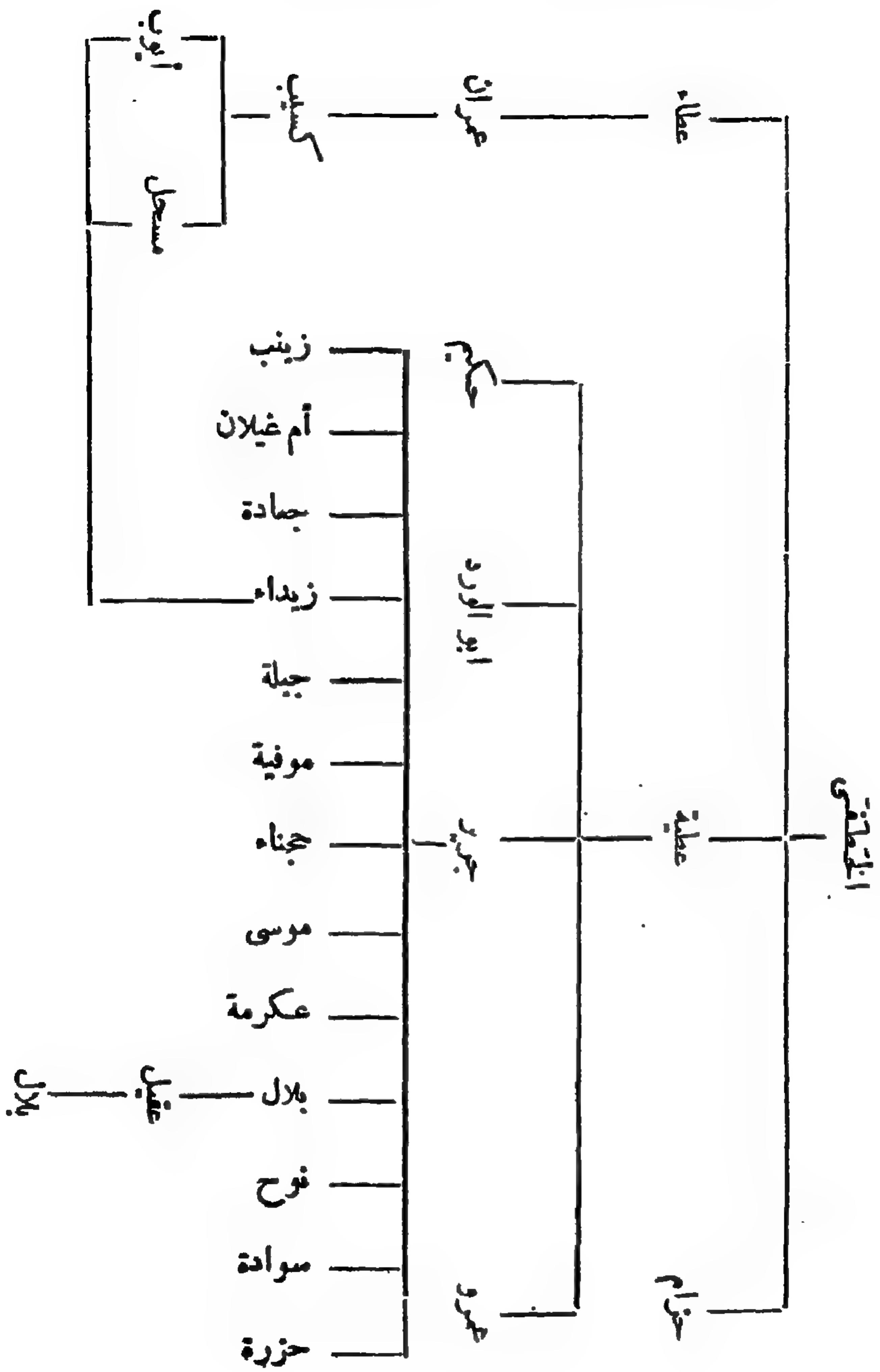
(٤) القهرست لابن النديم من ١٥٩ .

(٥) الأغاني ج ٢٠ من ١٨٣ .

(٦) تاريخ بغداد ج ١٢ من ٢٨٢ .

(٧) طبقات الأدباء من ٢٢٣ .

(٨) الاشتقاق من ١٤٢ .



ومن رواية شعر جرير مريع الكلبي<sup>(١)</sup> وفيه يقول :  
 زعم الفرزدق أن سيقتل مريعاً أبشر بطول سلامة يا مريع<sup>(٢)</sup>  
 ومنهم آخر اسمه الحسين<sup>(٣)</sup> .  
 ووفد جرير الى الشام كثيراً يمدح الخلفاء والأمراء ، وأكثر في شعره  
 من ذكر الشام وذكر أمكتها كالموقر بالبقاء وبها كانت ينزل يزيد بن  
 عبد الملك ، قال :  
 هل مثل حاجتنا اليكم حاجة<sup>(٤)</sup> أو مثل جاري بالموقر جار<sup>(٥)</sup>  
 وقال :  
 أشاعت قريش للفرزدق خزبة<sup>(٦)</sup> وتلك الوفود النازلون الموقراً<sup>(٧)</sup>  
 وقال يذكر الرصافة وبها كان ينزل هشام بن عبد الملك :  
 إن الرصافة منزل<sup>(٨)</sup> خليفة جمع المكارم والعزائم والفتى<sup>(٩)</sup>  
 وقال يذكر بردى وتوما :  
 لا ورد للقوم إن لم يعرفوا بردى إذا تجوَّبَ عن أعناقها السدف<sup>(١٠)</sup>  
 صبحن توما والناقوس يقرعه قس<sup>(١١)</sup> النصارى حجاجاً بنا تحف  
 وقال يذكر لبنان :  
 وتزعم أن البين لا يشف الفتى بلى مثل بيني يوم لبنان يشف<sup>(١٢)</sup>  
 وذهب الى مكة حاجاً والى المدينة زائراً ، وكان يذهب الى العراق يمدح الولاة ،  
 وفي شعره ما يشير الى ذهابه الى مصر مادحاً عبد العزيز بن مروان قال :

- (١) النقائض ص ٩٧٥ .
- (٢) ديوان جرير ص ٣٤٨ .
- (٣) النقائض ص ٤٣٠ .
- (٤) ديوان جرير ص ٣١٨ .
- (٥) ديوان جرير ص ٣٤٨ .
- (٦) ديوان جرير ص ٤ .
- (٧) ديوان جرير ص ٣٨٨ .
- (٨) ديوان جرير ص ٣٧٣ .

طلبن ابن ليلي من رجاء فضوله ولولا ابن ليلي ما وردن بنا مصرا<sup>(١)</sup>  
 وذكر في شعره النيل فقال :  
 محالفو اللؤم آلى لا يفارقهم حتى يرد على أدراجة النيل<sup>(٢)</sup>  
 وتوفي جرير بالقيامة بعد التوردد بأشهر سنة ١١٠ وقيل سنة ١١١ وقبره فيها ،  
 وعمر نيفاً وثمانين سنة .

### صفته وأخلاقه

ولد جرير لسبعة أشهر فظل جسمه نحيفاً ، وقد أشار صاحب الأغاني الى  
 ما يدل على ذلك مرتين ، مرةً شبهه بالفرخ حينما أدخل على الحجاج بواسط<sup>(٣)</sup> ،  
 ووصفه مرةً أخرى بما يشعر بضآلة جسمه لما قرنه عمر بن عبد العزيز بالمدينة  
 مع عمر بن لجأ بجبل حين تقاذفا<sup>(٤)</sup> .  
 وكان جرير أخن كأنما يخرج كلامه من أنفه ، وصفه صاحب الأغاني  
 وهو ينشد بيتاً من الشعر فقال<sup>(٥)</sup> : « ثم قال بفتته قولاً يخرج الكلام به من  
 أنفه وكان كلامه كأن فيه نوناً » .  
 وكان حسن الشعر يرسله<sup>(٦)</sup> كما يرسل لحبته<sup>(٧)</sup> وفي شعره ما يشير الى أنه  
 كان يخضبها لما أدركه المشيب قال :  
 ورأت بلعجته خضاباً راعها والويل للفتيات من خضب الراجي<sup>(٨)</sup>  
 وكان يلبس بونس خز ويضع على رأسه قلنسوة ويرتدي الحلل والجلب النقي

(١) ديوان جرير ص ٢٢٣ .

(٢) ديوان جرير ص ٤١٩ .

(٣) الأغاني ج ٨ ص ٧٥ .

(٤) الأغاني ج ٨ ص ٨٢ .

(٥) الأغاني ج ٨ ص ٨٢ .

(٦) الأغاني ج ٨ ص ٣١ .

(٧) الأغاني ج ٨ ص ١٣ .

(٨) ديوان جرير ص ٤ .



كانت تهدى اليه <sup>(١)</sup> ، ولكنه لم يكن يلبس العباءة بل يعبر الأخطل لبسها قال :  
يا ذا العباءة إن بشراً قد قضى أن لا تجوز حكومة النشوان <sup>(٢)</sup>  
وجرير على خبث لسانه في الهجاء كان عفيفاً دينياً تقياً وفيك يطيل التسبيح  
والاستغفار ، ويختم مجلسه بالتسبيح فيطيل <sup>(٣)</sup> ، وكان لا يتكلم إذا صلى الصبح  
حتى تطلع الشمس ولو تناحر الحي <sup>(٤)</sup> وكان على فروسته من أشد الناس فرقا  
من السلطان <sup>(٥)</sup> ، ولعل ذلك هو الذي جعل هواه السياسي مع بني أمية فلم  
ينصر ابن الزبير يده أو لسانه مع أن جمهرة شعراء مضر كانوا زبيرية ، بل  
كان يمدح بني أمية ويشتم خصومهم كابن الزبير وعبد الرحمن بن الأشعث  
وابن المهلب ، ولم يكن يدخل فيما لا يعنيه ، إلا مرة واحدة مدح الوليد  
ابن عبد الملك وحضه على البيعة لولده عبد العزيز قال :

الى عبد العزيز سميت عيون الر عية إن تخيّر الرعاء <sup>(٦)</sup>  
رأوا عبد العزيز ولي عهد وما ظلموا بذاك ولا أساؤا  
فزحلقها بأزفلها اليه أمير المؤمنين إذا تشاء  
وكان على مرارة خصومته مستقيماً ، لم يمدح أحداً فهجاء ، ولم يهيج أحداً  
فمدحه ، يتكسب بالمدح ويقنع بما يقيم أوده ، فكانت جائزته من خلفاء  
بني أمية أربعة آلاف درهم وما ينبعها من كسوة وحملان ، ولم يكن عادةً  
يأخذها أكثر من مرة في السنة يتجمل في سبيلها مشاق الرحلة من اليمامة الى  
الشام ، فلما شاخ وعجز عن السفر بعث بقصيدة الى هشام بن عبد الملك مع  
ابنه عكرمة <sup>(٧)</sup> ، ولذلك لم يكن في خفض من العيش بل كان عيشه أدنى

(١) الأغاني ج ٨ ص ١٥ و ص ٢٢ و ص ٤٤ و ص ٦٥ .

(٢) ديوان جرير ص ٥٧٣ .

(٣) الأغاني ج ٨ ص ٤٤ .

(٤) النقائض ص ٨ .

(٥) النقائض ص ٣٢ .

(٦) ديوان جرير ص ٩ .

(٧) ديوان جرير ص ٥٠٢ .

الى الخشونة . اشترى مرةً جاريةً من زيد بن النجار فاستخضت عيشه ووجدته  
عجوزاً فتركته فقال :

تكلفتي معيشة آل زيد ومن لي بالمرقق والصناب<sup>(١)</sup>

وقالت لا تضم كضم زيد وما ضمني وليس معي شبابي

فقال له الفرزدق :

إن تفركت طجة آل زيد وبعوزك المرقق والصناب

فقدما كان عيش أهلك صرا يعيش بما تعيش به الكلاب

وهو وإن رحل الى الحضرة كثيراً ، فقد كان في اليامة يعيش عيش البداوة .

ولعل من أحسن الشواهد على كرم أخلاقه شفاعته<sup>(٢)</sup> بالفرزدق - خصه

اللدود - لما حبسه خالد بن عبد الله القسري وراثوه<sup>(٣)</sup> له لما مات . وهو على

بداوته وشدة عصبته لقيته دمث الأخلاق لين الجانب مع الموالي فقد كان

يحبهم ويمدحهم ، والموالي يحبونه ويحتفلون به . روى صاحب الأغاني بسنده

عن هرون بن ابراهيم قال : « رأيت جريراً والفرزدق في مسجد دمشق ،

والناس عتق واحد على جرير ، قيس وموالي بني أمية يسلمون عليه ويسألونه

كيف كنت يا أبا حذرة في مسيرك وكيف أهلك وأسبابك . وما يطيف

بالفرزدق إلا تفر من خندف جلوس معه ، وذلك لمدح جرير قيساً وقوله في العجم :

فيهمنا والغرأ أولاد سارقة أب لا نبالي بعده من تعذراً

وأهديت له يومئذ مائة حلة أهداها اليه الموالي سوى غيرهم<sup>(٤)</sup> . »

خليل مردم بك

(يتبع)

~~~~~

(١) المرقق : الحز المنبسط الرقيق . والصناب : إدام يتخذ من الحردل والزبيب .

(٢) ديوان جرير ص ١٧٨ .

(٣) ديوان جرير ص ٤٠٧ و ص ٥٣٥ .

(٤) الأغانى ٨ ج ص ٦٤ .

## حدود العقل عند الغزالي

العقل الانساني عند الفلاسفة يكون في أول أمره عقلاً بالقوة ، ثم يصير عقلاً بالفعل ، وهذا الانتقال من القوة الى الفعل لا يتم إلا بتأثير العقل الفعال .  
والعقول تتميز بعضها عن بعض بمقدار استعدادها للاتصال بالعقل الفعال الذي تتلقى منه المعرفة . وفي ضوء هذا العقل يستطيع عقلنا أن يدرك الصور الكلية ،  
وبه يصير الاحساس علماً يقينياً .

فأنتم ترون أن الفلاسفة قد بنوا المعرفة على العقل ، لأن العقل عندهم يجرد الصور الحسية من اللواحق الشخصية ، وينزع المعاني الكلية من الصور التخيلية ، ويؤلف هذه المعاني وفقاً لمبادئ كلية ضرورية ، فهو في نظرم يوصل إذن الى اليقين ، لا بل هو المحك الأخير للحقيقة ، على زنده تقدح كل معرفة فلسفية كانت أو دينية أو صوفية .

ما هو موقف الغزالي من العقل ، هل العقل في نظره قادر على إدراك الحقائق بنفسه أم هو محتاج الى معونة خارجية ؟  
للإجابة عن هذا السؤال ينبغي لنا أولاً أن نحدد موقف الغزالي من المعرفة على الإطلاق .

ان موقف الغزالي من المعرفة يختلف عن موقف الفلاسفة في مبادئه وغاياته .  
فهو قد شك في المعرفة شكاً عاماً ، شك في العلم الموروث ، ثم شك في الحسيات والعقليات . بدأ شكه بنقد مذاهب زمانه ، فتبين له أن هذه المذاهب متعارضة ، وان سبب تناقضها يرجع الى فساد الطريقة المتبعة في تكوين العقيدة واعتنائها ، وهذه الطريقة هي طريقة التقليد ، فان التقليد لا يوصل الى الحقيقة ، وبكفي

أن يكون الاعتقاد مبنياً على التقليد حتى يتسرب اليه الشك ، قال : « فإن صبيان النصراني لا نشوء لهم إلا على التنصر ، وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على اليهود ، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام » . لذلك يجب على طالب الحقيقة أن ينبذ التقليد ، وأن لا يفتني بحته عن الحقيقة على العلم الموروث ، لأن المقلد يتحتم عليه المكوث في الضلال ان كان فيه ، أو التقليد بمعتقد التقليدي ، والامتناع عن رؤية الحقيقة اذا لاحت له . أما الباحث عن الحقيقة فلا يعتقد شيئاً أصلاً بل ينظر الى الدليل ويسمي مقتضاه حقاً وتقيضه باطلاً . وهذه هي طريقة الشك بعينها ، فالشك في نظر الغزالي هو إذنب الخطوة الأولى للبحث عن الحقيقة ، لأن من لا يشك لا يبحث ، ومن لا يبحث لا يجد ، ومن لا يجد يبقى متخبطاً في غياهب الجهل .

وما كاد هذا الشك يدخل قلب الغزالي حتى استولى عليه كله . طمع أولاً في اقتباس اليقين من الحسيات ، فحكم عليها بما حكم به على التقليديات ، ثم طمع في اقتباس اليقين من العقليات ، فلم يجد فيها ما ينقذه من الضلال ، لأنه قال : إذا كان حاكم العقل يكذب . حاكم الحس ، فلماذا لا يكون هناك وراء إدراك العقل حاكم آخر ، اذا تجلى كذب العقل في حكمه ، كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه ، وأثبت ذلك بقوله : يمكن أن تطرأ على الانسان حالة تكون نسبتها الى العقل كنسبة اليقظة الى النوم وتكون اليقظة نوماً بالاضافة اليها ، فبم تأمن أن يكون جميع ما نعتقد في يقظتنا حقاً . فأتم ترويضاً أن رحاب الشك عند الغزالي تمتد الى التقليديات والحسيات والعقليات ولولا النور الذي قذفه الله في صدره لبقي على مذهب السفطة ، الا أنه استطاع أن ينقذ نفسه من الشك بطريقة الكشف الباطني ، فعادت نفسه الى الصحة والاعتدال ، ورجعت الضروريات العقلية موثوقاً بها على أمن ويقين بالنور الذي أشرق عليه من الجود الالهي .



ما هو هذا النور الذي قدّمه الله في الصدر ؟ إننا لا نجد في تأليف الغزالي جواباً على هذا السؤال . فالغزالي يقول في المنقذ من الضلال إن هذا النور هو مفتاح أكثر المعارف ، وأن من ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المجردة فقد ضيق رحمة الله الواسعة . وإن هذا النور ينبجس من الجود الإلهي في بعض الأحيان ، ويجب الترسّد له كما قال عليه السلام : إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها . والذي يستنتج من هذا النص أن الغزالي يقول : إن هذا النور مفتاح أكثر المعارف ، لا مفتاح جميع المعارف ، وإن الكشف ليس موقوفاً على الأدلة المجردة ، بل قد يكون بالأدلة المجردة . وبغير الأدلة المجردة . ومعنى ذلك كله أن للعقل بذاته مبادئ أولية كالقول إن الكل أعظم من الجزء ، وإن النفي والإثبات لا يجتمعان معاً في الشيء الواحد في وقت واحد ، وأن الشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً ، موجوداً معدوماً واجباً محالاً ، وإن حدوث الشيء بدون محدث محال . فهذه المبادئ الأولية ضرورية ويقينية يقرها كل ذي عقل سليم لمجرد حضورها في الذهن . وهي فطرية فينا ، لا اختبارية ولا مكتسبة ، لأنها من خواص العقل ، وإذا كان العقل محتاجاً في بعض الأحيان إلى الجود الإلهي للخروج من الشك ، فإن هذا الجود لا يفعل فعله إلا إذا كان مصحوباً باقتناع داخلي ذاتي بصحة مبادئ العقل . وإذا سألنا الآن سائل : إلى أي أصل تستند مبادئ العقل عند الغزالي . هل تفرض نفسها على العقل بنفسها ، أم تفتقر إلى أصل آخر تستند إليه ، وتستمد منه ثباتها ومثابقتها . وبكلمة أخرى ما هو المحك الأخير للمعرفة ؟ قلنا إننا نجد عند الغزالي في هذه المسألة رأيين متعارضين : فهو يعترف أولاً أنه لم يستطع أن يشفي نفسه من الشك إلا بمعونة خارجية . وهذه المعونة الخارجية هي النور الذي ينبجس في القلب من الجود الإلهي . وهو يقول ثانياً إن مبادئ العقل ضرورية يقرها حتماً وبغير برهان كل ذي عقل سليم لمجرد

حضورها في الذهن ، فهي تستمد إذن قيمتها من الوضوح الذي فيها . ومن تصفح كتاب القسطاس المستقيم ، والمتخذ من الضلال ، والمستظيري ، وجد فيها أقوالاً متعارضة تؤيد هذين الرأيين .

فمن النصوص التي يؤيد ظاهرها حاجة العقل الى معونة خارجية :

١ - طرح الباطني على الغزالي هذا السؤال : « فبم عرفت أن ذلك الميزان ( ميزان المنطق ) صادق أم كاذب ، أمقلك ونظرك ، فالعقول متعارضة ، أم بالإمام المعصوم الصادق القائم بالحق في العالم ، وهو مذهبي الذي أدعو اليه » فأجابه الغزالي : « ذلك أيضاً أعرفه بالتعليم ، ولكن من إمام الأئمة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه السلام ، فإني وإن كنت لا أراه ، فإني أسمع تعليمه الذي تواتر إليّ تواتراً لا أشك فيه ، وإنما تعليمه القرآن »<sup>(١)</sup> . فكان الغزالي يعترف هنا بأن صدق الميزان لا يعرف بالعقل بل بالتعليم من النبي .

٢ - ثم إن الغزالي لا ينفك يردد في كتاب القسطاس المستقيم أن الله علّم الموازين لجبريل ، وجبريل علمها للأنبياء ، وهؤلاء نقلوها البنا في كتبهم . قال : فإن الله هو المعلم الأول ، والثاني جبريل ، والثالث الرسول عليه السلام . واخلق كلهم يتعلمون من الرسل ما ليس لهم طريق الى معرفته إلا بهم<sup>(٢)</sup> .

٣ - والغزالي يردد على من يسأل ، وكيف وصلت هذه الموازين الى الأمم التي عرفت بها قبل مجيء الرسل والأنبياء ( اليونان مثلاً ) فيقول : « أما الموازين فأنا استخرجتها من القرآن ، وما عندي أني صيقتُ الى استخراجها ، ولها عند مستخرجيها من المتأخرين أسماء أخرى سوى ما ذكرت . وعند بعض الأمم السابقة على بنّة محمد وعيسى صلى الله عليهما وسلم أسماء أخرى قد تعلموها من صحف ابراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام »<sup>(٣)</sup> .

٤ - وهو يترجم أيضاً نشوء جميع المعارف المنتشرة بين البشر الى مصدر

(١) القسطاس المستقيم ، ص - ٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص - ٢٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص - ٥٩ .

إلهي ، أي الى وحي قديم أنزله الله تعالى على أنبيائه ، وعلمهم به كل أنواع الحكمة ، فعلم الطب لم يكن نتيجة اختبار الأطباء وتجاربهم واستنتاجهم العقلي ، بل كان ثمرة وحي أنزله الله تعالى على أنبيائه : « فان أدوية البدن تؤثر في كسب الصحة بخاصية فيها لا يدركها العقلاء . يضاعف العقل ، بل يجب فيها تقليد الأطباء الذين أخذوها من الأنبياء ، الذين اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الأشياء »<sup>(١)</sup> ، وكذلك علم النجوم ، فالسبل اليه هو إلهام إلهي ، وتوفيق من جهة الله تعالى ، وكذلك أيضاً الرياضيات فإن مبادئها مأخوذة عن نبي مشفوع بالوحي والمعجزة . وهكذا قل في سائر العلوم .

ومن النصوص التي تدل على أن إلحك الأخير للمعرفة هو وضوح المعاني وبداهتها قول الغزالي بوجوب الرجوع الى الأوليات عندما تعترضنا قضية غير بينة الصدق : « خذ عياري من العلوم الأولية الضرورية المستفادة إما من الحس أو التجربة أو غريزة العقل ، فانظر في الأوليات هل تتصور أن تثبت حكم على صفة إلا ويتعدى الى الموصوف ؟ »<sup>(٢)</sup> . وفي كتاب المتظهري يقول الغزالي إن التلميذ إنما يقتنع بصحة ما يلقيه عليه معلمه من المعارف ، لا بمجرد إيمانه بمقدرة معلمه وصدقه ، بل لأنه يرى بنور عقله صواب تلك المعارف .

فهذه النصوص المتعارضة تدل كما ترون على أمرين متناقضين الأول هو احتياج العقل في الوصول الى اليقين الى معونة خارجية . والثاني القول بأن إلحك الأخير للمعرفة هو وضوح المبادئ العقلية ، وفي هذا كما لا يخفى تناقض ظاهر . ولكننا اذا علمنا أن المعونة الخارجية لا تنفي بداهة العقل بل تقتضيها وتوجبها ، وأن معرفة صحة الموازين بالتعليم من النبي لا تنفي أن العقل يتحقق صحتها أثناء أخذها كما يتحقق التلميذ صحة تعاليم معلمه ، اذا علمنا ذلك كله لم نجد في هذه الأقوال المتعارضة بحسب الظاهر تناقضاً حقيقياً . فالله قد أنزل الموازين

(١) المنقذ من الضلال ، ص - ٨٢ .

(٢) القسطاس المستقيم ، ص - ٣٣ .

في كتبه ، ثم أتى طالبو العلم ، وأجالوا النظر فيها فتحققوا صحتها بنور عقولهم .  
يقول الغزالي : « والقوة العقلية كأنها القوة الباصرة في العين ، ورؤية  
الجزئيات الخيالية كتحديتي البصر الى الأجسام المتلونة ، وإشراق نور الملك  
على النفوس البشرية بضائي إشراق نور السراج على الأجسام المتلونة أو إشراق  
نور الشمس عليها ، وحصول العلم بنسبة تلك المفردات بضائي حصول الأبصار  
بائتلاف ألوان الأجسام ، ولذلك شبه الله تعالى هذا النور على طريق ضرب  
مثال محسوس بمشكاة فيها مصباح » ( معيار العلم ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ) ،  
فلو لم يكن في العين استعداد الأبصار لما رأت شيئاً بالرغم من إشراق نور  
الشمس عليها ، فحصول الأبصار ثنائي ، إذن عن شرطين أحدهما داخلي ذاتي  
والآخر خارجي . وكذلك حصول العلم في النفوس البشرية ، فهو تابع لشرطين  
أحدهما استعداد القوة العقلية ، والثاني إشراق نور الملك عليها .

ومما يؤيد ذلك أن العلوم في نظر الغزالي إنما تثبت في القلب بطريقتين  
أحدهما طريق الاستدلال والتعليم والثاني طريق الإلهام ، وهو يفضل العلم  
الذي يحصل في القلب بطريق الإلهام على العلم الذي يحصل فيه بطريق التعلم .  
ومن أحسن الأمثلة الدالة على إدراك الحقائق العقلية بطريقي الاستدلال  
والإلهام مثال ذكره الغزالي في كتاب ميزان العمل . قال ( ص ٤٧ ) :  
« إن أهل الصين والروم تباهاوا بحسن صناعة النقش والتصوير بين يدي بعض  
الملوك . فاستقر رأي الملك على أن يسلم اليهم صفةً ينقش أهل الصين منها  
جانباً وأهل الروم جانباً ، ويُرْخى بينهم حجاب بحيث لا يطلع كل فريق على  
صاحبه ، فاذا فرغوا رفع الحجاب ، ونظر الى الجانبين ، وعرف رُجحان  
من رَجَحَ من الفريقين ، ففعل ذلك ، فجمع أهل الروم من الأصباغ الغريبة  
مالاً بنحصر ، ودخل أهل الصين وراء الحجاب من غير صيغٍ وهم يجُلُونَ  
جانبهم ويصقلونه ، والناس يتعجبون من توانيهم في طلب الصيغ . فلما فرغ  
أهل الروم ادعى أهل الصين أتماً أيضاً قد فرغنا . فقل لهم كيف فرغتم ،



ولم يكن معكم صبغ ولا اشتغلتم بنقش ، فقالوا ما عليكم ، ارفعوا الحجاب ،  
وعلينا تصحيح دعوانا ، فرفعوا الحجاب واذا يجانبهم وقد تلات فيه جميع  
الأصابع الرومية الغربية إذ كان قد صار كالمرآة لكثرة التصفية والجلاء ،  
فازداد حسن جانبهم بزيادة الصفاء وظهر فيه ما سعى في تحصيله غيرهم .

وهذا المثال أيضاً يدل على أن لتحصيل المعرفة طريقين أحدهما تحصيل عين  
النقش كطريق أهل الروم ، والثاني الاستعداد لقبول النقش من خارج . ومعنى  
ذلك أن النفس مستعدة في نظر الغزالي لأن تتجلى فيها حقائق العلوم مباشرة ،  
وذلك بالتعرض للنفحات الإلهية .

يقول الغزالي : « إذا فرضنا مرآة صدئة قد ستر الخبث صفاها ومنع انطباع  
صورنا فيها ، فكما أن المرآة أن تستعد لقبول الصور فتجلبها كما هي عليها ، وعلى  
مكملها وظيفتان إحداها الجلاء والصقل وهي إزالة الخبث الذي ينبغي أن  
لا يكون ، والثانية أن يحاذى بها نحو المطلوب حكاية صورته ، فكذلك  
نفس الآدمي مستعدة لأن تصير مرآة يحاذى بها شطر الحق في كل شيء  
فتطبع به كأنها هو من وجهه وان كانت غيره من وجه آخر كما في الصورة  
والمرآة » ( ميزان العمل ، ص ٣٩ - ٤٠ ) .

وجملة القول ان للمعرفة طريقين أحدهما طريق الاستدلال والآخر طريق  
الإلهام أي طريق التعرض للوجود الإلهي والترصد له . والعقل لا يحتاج الى  
هذه المعونة الخارجية في المنطق والرياضيات والطبيعات ، ولكنه يحتاج اليها  
في الإلهيات . وإذا احتاج الى معونة خارجية في مسائل التجربة فان هذه المعونة  
لا تنفعه إلا على سبيل الدعم والتثبيت ، وما صب النور الإلهي على مبادئ العقل  
ليكسبها وضوحاً وبداهة ، ولكن ليزيل عنها مداخل السفطة ، ويعيد النفس  
الى الصحة والاعتدال . ولولا مداخل السفطة لما احتاج العقل الى هذا النور .  
فالغزالي يؤمن بصلاح النظر ومنفعته ، وصدق العقل في حكمه على أمور

التجربة ، ولكنه لا يؤمن بأن العقل المجرد عن الشرع وعن الوحي والالهام يصلح للغرض في مسائل ما بعد الطبيعة . نعم إنه يصرح بأن من وزن الذهب بميزان يمكنه أن يزن به النضة وسائر الجواهر . ولكن هذا القول لا يدل على قدرة العقل على إدراك الحقائق الإلهية ، لأن النضة وسائر الجواهر هي والذهب من جنس واحد ، أما الصفات الإلهية ، وقدم العالم ، وبقاء النفس بعد الموت ، ومسائل الحشر والنشر ، فهي من الأمور التي لا يحكم العقل فيها إلا بظن وتخمين من غير تحقيق وبقين .

واليك بعض النصوص التي تدل على عجز العقل عن إدراك أسرار الأمور الإلهية .

١ - قد يكون أكثر هذه النصوص دلالة على عجز العقل عن إدراك الأسرار الإلهية ما ذكره الغزالي في معرض حديثه عن الفلاسفة وقولهم : إن الله لا يعرف إلا نفسه . قال : « وحكماذا يفعل الله بالزائنين عن سبيله ، والناكبين لطريق الهدى ، المنكرين لقوله : ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ، ولا خلق أنفسهم ، الظانين بالله ظن السوء ، المعتقدين أن الأمور الربوبية تستولي على كنهها القوى البشرية ، المغرورين بقولهم ، زاعمين أن فيها مندوحة عن تقليد الرسل وأتباعهم . فلا جرم اضطروا إلى الاعتراف بأن لباب معقولاتهم رجعت إلى ما لو حي في منام لتعجب منه » ( التهافت ، ص ١٢٠ - ١٢١ ) .

٢ - ومن هذه النصوص قوله في معرض الكلام عن صفات الله : « فجميع ما ذكره من صفات الأول أو نفوه لاجمة لهم عليه إلا تخمينات وظنون تستنكف الفقهاء منها في الظنات . ولا تعرف لو حار العقل في الصفات الإلهية ولا تعجب . إنما العجب من تعجبهم بأنفسهم وبأدلتهم ، ومن اعتقادهم أنهم عرفوا هذه الأمور معرفة يقينية ، مع ما بها من الخبط والخيال » ( تهافت ٥٣ ) .

وقال أيضاً : « فني الناس من يذهب إلى أن حقائق الأمور الإلهية لا تنال بنظر العقل . بل ليس في قوة البشر الاطلاع عليها . ولذلك قال صاحب الشرع تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في ذات الله . فما إنكاركم على هذه الفرقة المتقدمة صدق الرسول بدليل المعجزة ، المقتصرة من قضية العقل على إثبات ذات المرسل ، المتمترزة عن النظر في الصفات بنظر العقل ، المتبعة صاحب الشرع فيما أتى به من صفات الله ، المقتبذة أثره في إطلاق العالم والمريد والقادر والحي ، المنتهية عن إطلاق ما لم يؤذن فيه ، المعترفة بالعجز عن دركه بالعقل . » ( التهاوت ص ١٨٠ - ١٨١ ) .

٣ - ومن هذه النصوص اعتراضه على محاولة الفلاسفة شرح كيفية خلق العالم وصدور كثرته عن الواحد الأول . قال : « وما المانع من أن يقال : المبدأ الأول عالم قادر مريد ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، يخلق المختلفات والمتجانسات كما يريد وعلى ما يريد . فاستجابة هذا لا تعرف بضرورة ولا نظر . وقد ورد به الأنبياء المؤيدون بالمعجزات ، فيجب قبوله منهم . وأما البحث عن كيفية صدور الفعل من الله بالإرادة ، ففصول وطمع في غير مطمع . والذين طمعوا في طلب المناسبة ومعرفتها رجع حاصل نظرهم إلى أن المعلوم الأول من حيث أنه ممكن الوجود صدر منه فلك ، ومن حيث أنه يعقل نفسه صدر منه نفس الفلك . وهذه حماقة لا إظهار مناسبة فلتقبل مبادي هذه الأمور من الأنبياء وليصدقوا فيها ، فإن العقل لا يحيلها وليترك البحث عن الكيفية ، والكمية ، والماهية فليس ذلك مما تنسم له القوى البشرية . ولذلك قال صاحب الشرع تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في ذات الله . » ( التهاوت ص ١٣١ - ١٣٢ ) .

٤ - ومن هذه النصوص قول الغزالي بحسب الفلاسفة الذين يزعمون أنهم توصلوا بطريق العقل إلى معرفة الغرض من حركة الأجرام السماوية . قال :

« ان هذه خيالات لا حاصل لها ، وإن أمراراً ملكوت السموات لا يُطْلَعُ عليها بأمثال هذه الخيالات ، وإنما يُطْلَعُ الله عليها أنبياءه وأوليائه على سبيل الإلهام لا على سبيل الاستدلال » (تهافت : ٢٥٢) .

وقال أيضاً : « وأن هذا إن كان صحيحاً فلا يَطْلَعُ عليه إلا الأنبياء بالهام من الله أو وحي . وقياسُ العقل ليس يدل عليه » (تهافت : ٥٧) .  
وقال في مكان آخر : « وما ذكرتموه ، وإن اعترف بإمكانه ، فلا يُعرف وجوده ، ولا يتحقق كونه ، وإنما السبيلُ فيه أن يُتَمَرَّفَ من الشرع لا من العقل » (تهافت : ٦٢) .

وقال أيضاً : « ومن الأشياء ما يُتَمَرَّفُ استحالةً ، ومنها ما يُتَمَرَّفُ إمكانه ، ومنها ما يقف العقل عنده ، فلا يقضي فيه باستحالة ولا إمكان » (تهافت : ٦٩) .  
٥ - ومن هذه النصوص أخيراً ، قول الغزالي إنَّ العقل عاجز كل العجز عن تمييز الخير من الشر ، وإنَّ الوسيلة الوحيدة لمعرفة ذلك هي الوحي . قال :  
« إن العقل لا يهدي إلى الأفعال المنجية في الآخرة ، كما لا يهدي إلى الأدوية المميدة للصحة » (الرسالة القدسية أصل ٩ ورقة ٣) .

وقال أيضاً : « ان العقل لا يرشد إلى النافع والضار من الأعمال والأقوال والأخلاق والعقائد ، ولا يُفَرِّق بين المشقي والمُسعد » (الاقتصاد في الاعتقاد : ٨٠) .  
وقال أيضاً : « وندعي أنه لو لم يرد الشرع لما كان يجب على العباد معرفة الله وشكر نعمته » (الاقتصاد في الاعتقاد : ٧٧) .

وقال أيضاً : « ان في طريق الآخرة وفي دقائق سنن الشرع وآدابه وفي عقائده التي تعبد الناس بها أمراراً ولطائف ليست في سعة العقل وقوته الإحاطة بها ، كما أن في خواص الأشجار أموراً وعجائب غاب عن أهل الصنعة علمها » (الاحياء ج ١ ص ٢٠) .



وفي وسعنا أن نذكر نصوصاً أخرى غير هذه .

أفلا تكفي هذه النصوص التي أوردناها للدلالة على أن العقل عاجز عن الإحاطة بأسرار الأمور الإلهية .

وإذا أردنا الآن أن تلخص موقف الغزالي من العقل قلنا ان أحكام العقل عنده صادقة في العلوم المنطقية والرياضية والطبيعية ، وفي كل ما يتعلق بأمور التجربة ، فهو لم يشك في مبدأ الهوية لأن هذا المبدأ أساس المنطق والرياضيات . ولولاه لما صدق عندنا قياس ، ولا ثبت استنتاج ، وهو لم يشك في مبدأ السببية من حيث هو مبدأ عقلي ، بل شك في ارتباط حوادث الطبيعة بعضها ببعض ، ارتباطاً حتمياً ، فأرجع قانون السببية الطبيعية الى الاعتياد ، وجعل الطبيعة مسخرة لله تعالى ، لا تعمل بنفسها ، بل هي مستعملة من جهة فاطرها . والسببية الحقيقية ترجع عنده الى علاقة إرادية بين الله والعالم ، أما ارتباط الأسباب والمسببات الطبيعية بعضها ببعض فلا قيمة له بنفسه ، ولا معنى له إلا إذا استند الى إرادة الله ، فالغزالي لم يشك إذن في أحكام العقل إلا شكاً عاماً مؤقتاً ، فلما وجد نفسه على شفا جرف هار التجأ الى الله تعالى ، فأنقذه الله من الشك ، فهو بالرغم من شكه في كل شيء لم يضع ساعة واحدة ثقته بالأنطاف الإلهية ، وهذا النور الذي قذفه الله في الصدر لا يعرف له تأويلاً إلا قولنا بأنه افتناع داخلي بصدق أحكام العقل ، فالعقل لا يحتاج إذن الى معونة خارجية إلا في حالتين : الأولى لشغائه من الشك إذا ما انتابته آفته ، والثانية لتنبيهه وإرشاده الى الأمور الإلهية التي لا يمكنه الاطلاع عليها إلا بالوحي والالهام . أما فيما عدا ذلك فالعقل في نظر الغزالي آلة سليمة صالحة مفيدة وضرورية لاقتناص المعرفة ، أساسه الضروريات العقلية ، وسيله النظر ، وميزانه قواعد المنطق ، ومحكه الأخير الوضوح والبداة .

جميل صليبا

## العرب والهندسة المستوية

أخذ اليونان الهندسة عن الأمم التي سبقتهم وقد درسوها درساً عميقاً وأضافوا إليها إضافات هامة وكثيرة جعلت الهندسة علماً يونانياً . وأول من كتب منهم فيها اقليدس ، وعُرف كتابه باسم « كتاب اقليدس » . وفي هذا الكتاب قسّم اقليدس الهندسة الى خمسة أقسام رئيسية ووضع قضاياها على أساس منطقي عجيب لم يسبق إليه جعل « الكتاب » المعتمد الوحيد الذي يرجع إليه كل من يريد وضع تأليف في الهندسة .

وما الهندسة التي تدرس في المدارس الثانوية في مختلف الأنحاء إلا هندسة اقليدس مع تحويل بسيط في الاشارات وترتيب النظريات ونظام التمارين .

وحينما نهض العرب نهضتهم العلمية أخذوا كتاب اقليدس وترجموه الى لغتهم وفهموه جيداً وزادوا على نظرياته ووضعوا بعض أعمال عريضة وتفننوا في حلها .

ويقول ابن القفطي عن كتاب اقليدس : « . . . وسمّاه الاسلاميوت

( الأصول ) ، وهو كتاب جليل القدر عظيم النفع ، أصل هذا النوع ،

لم يكن لليونان قبله كتاب جامع في هذا الشأن ولا جاء بعده إلا من دار حوله

وقال قوله . وما في القوم إلا من سلم الى فضله وشهد بغزير نبه . » وقال

ابن خلدون في مقدمته : « . . . والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة

( الهندسة ) كتاب اقليدس يسمى كتاب الأصول أو كتاب الأركان وهو

أبسط ما وضع للمتعلمين وأول ما ترجم من كتب اليونانيين في الملة أيام أبي جعفر

المنصور . ونسخه مختلفة باختلاف المترجمين فمنها لحنين بن اسحق ولثابت بن قرة

وليوسف بن الحجاج ويشتمل على خمس عشرة مقالة : أربع في السطوح وواحدة في الأتقار المتناسبة وأخرى في نسب السطوح بعضها الى بعض ، وثلاث في العدد ، والعاشر في المنطقات والقوى على المنطقات ومعناه الجذور وخمس في المجسمات . وقد اختصره الناس اختصارات كثيرة كما فعل ابن سينا في تعاليم الشفاء وأفرد له جزءاً أخصه به . وكذلك ابن الصلت في كتاب الاقتصار وغيرهم . وشرحه آخرون شروحاً كثيرة وهو مبدأ العلوم الهندسية باطلاق ... » وألف العرب كتباً على نسقه وأدخلوا فيها قضايا جديدة لم يعرفها القدماء . فقد وضع ابن الهيثم كتاباً من هذا الطراز يستحق أن يعتبر واسطة بين كتاب القواعد المفروضة والبراهين الاستقرائية لأقليدس وكتاب المحال المستوية السطوح لأبولونيوس وبين كتابي سيمون Simson وستوارت Stewart فإنه يمثل تلك الكتب كمال الهندسة الابتدائية المعدة لتسهيل حلّ الدعاوى النظرية . ويعترف ابن القفطي بفضل ابن الهيثم في الهندسة فيقول : « إنه صاحب التصانيف والتأليف في علم الهندسة . وكان عالماً بهذا الشأن متقناً له ، متفتناً فيه ، قيساً بغوامضه ومعانيه ، مشاركاً في علوم الأوائل ، أخذ عنه الناس واستفادوا ... »<sup>(١)</sup> وألف محمد البغدادي رسالة موضوعها تقسيم أي مستقيم الى أجزاء متساوية مع أعداد مفروضة يرسم مستقيم وهي اثنان وعشرون قضية : سبع في المثلث ، وتسع في المربع ، وست في الخمس . ولقد طبق العرب الهندسة على المنطق وألف ابن الهيثم كتاباً في ذلك « ... » كتاباً جمعت فيه الأصول الهندسية والعددية من كتاب اقليدس وأبولونيوس ، ونوعت فيه الأصول وقسمتها وبرهنت عليها يبراهين نظمها من الأمور التعليمية والحسية<sup>(٢)</sup> والمنطقية حتى انتظم ذلك مع انتقاص توالي اقليدس وأبولونيوس .

(١) ابن القفطي : اخبار العلماء ، ص ١١٤ .

(٢) طبقات الأطباء : ج ٢ ص ٩٣ .

وابن الهيثم هذا من الذين اشتغلوا بالبصريات فكان أنبغ علماء العرب والمسلمين فيه . وقد ترك تراثاً ضخماً مليئاً بالابتكار والموضوعات الجديدة كانت أساساً لبحوث علماء القرون الوسطى ، كما كانت أساساً لكتاب Peckhan في البصريات ، وهذا الكتاب يُعدُّ من أجل الكتب التي أحدثت أثراً بعيداً في العلم المذكور<sup>(١)</sup> ، وقد أتى على مسائل أدت الى استعمال الهندسة . ومن هذه المسائل ما هو صعب ويحتاج حله الى وقوف تام على الهندسة والجبر وبراعة في استعمال نظرياتها وقوانينها . ومن المسائل التي وردت في نظريات ابن الهيثم المسألة الآتية : « . . كيف ترسم مستقيمين من نقطتين مفروضتين داخل دائرة معلومة الى أي نقطة مفروضة على محيطها بحيث يصنعان مع المماس المرسوم من تلك النقطة زاويتين متساويتين . . . » وللرب مؤلفات عديدة في المساحات والحجوم وتحليل المسائل الهندسية واستخراج المسائل الحساية بجهتي التحليل الهندسي والتقدير العددي وفي التحليل والتركيب الهندسين على جهة التثيل للمتعلمين ، وفي موضوعات أخرى كتقسيم الزاوية الى ثلاثة أقسام متساوية ، ورسم المضلعات المنتظمة وربطها بمعادلات جبرية وفي محيط الدائرة وغير ذلك مما يتعلق بالموضوعات التي تحتاج الى استعمال الهندسة . وينجلي من نتاج علماء العرب أنه كان يسود بعض مصنفاتهم مسحة عملية واتجاه لتطبيق النظريات الهندسية والحساية والجبرية على الأغراض العملية من شؤون حياتهم ولوازم مجتمعهم . فلقد وضع ابن الهيثم ( مثلاً ) مقالة ( في استخراج سمت القبلة ) ومقالة ( فيما تدعو اليه حاجة الأمور الشرعية من الأمور الهندسية ) ومقالة ( في استخراج ما بين البلدين في البعد بجهة الأمور الهندسية ) . وكذلك وضع ابن الهيثم كتاباً طابق فيه بين الأبنية والحفور بجميع الأشكال

(١) راجع كتاب تراث العرب العلمي لتقديري حافظ . طوقال : فصل ابن الهيثم في قسم التراجم .



الهندسية . وقد قال في ذلك « ٠٠٠ » مقالة في إجازات الحفور والأينية طابقت فيها جميع الحفور والأينية بجميع الأشكال حتى بلغت في ذلك الى أشكال قطوع المخروط الثلاثة المكاني والزائد والناقص « ٠٠٠ »  
وبين العرب كيفية ايجاد نسبة محيط الدائرة الى قطرها . ويبين من كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي ان القيم التي وردت فيه للنسبة التقريبية هي :

$$\frac{22}{7} \text{ و } \sqrt{10} \text{ و } \frac{62832}{20000}^{(1)}$$

وان أهل النجوم كانوا يستعملون القيمة الأخيرة وهي بالكسر العشري ٣١٤١٦ . وورد في الكتاب الحاشية الآتية ، وهي كما يعلق عليها الأستاذان مشرفة ومصري احمد ( تستحق الذكر والاهتمام ) « ٠٠٠ » وهو تقريب لا يتحقق ، ولا يقف أحد على حقيقة ذلك . ولا يعلم دورها إلا الله . لأن الخط ليس بمستقيم فيوقف على حقيقته ، وإنما قيل ذلك تقريباً كما قيل في جذر الأهم انه تقريب لا يتحقق لأن جذره لا يعلمه إلا الله . وأحسن ما في هذه الأقوال أن تضرب القطر في ثلاثة وسبع لأنه أخف وأسرع . والله أعلم » . ولم يقف العرب في النسبة التقريبية عند أهل النجوم بل أوجدوها الى درجة من التقريب كانت محل دهشة العلماء . فلقد حسبها الكاشي فكانت ٣١٤١٥٩٢٦٥٣٥٨٩٨٧٣٢ . ولم نستطع أن نتأكد من استعمال علامة

(١) جاء في كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي ما يلي :

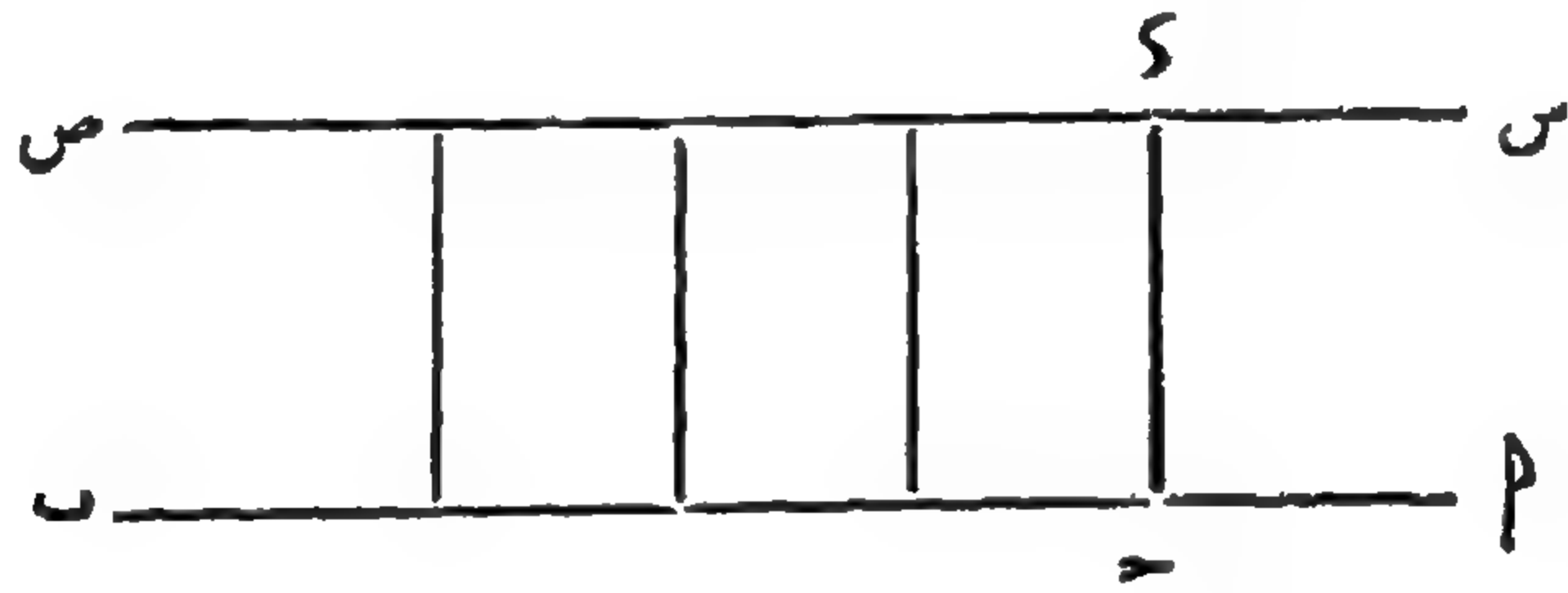
« ... وكل مدورة ( أي دائرة ) فان ضربك القطر في ثلاثة وسبع هو الدور ( المحيط ) الذي يحيط بها وهو الاصطلاح بين الناس من غير اضطراب . ولأهل الهندسة فيه قولان آخران : أحدهما أن تضرب القطر في مثاله ثم في عشر ثم تأخذ جذر ما اجتمع . فما كان فهو الدور . والقول الثاني لأهل التجرم منهم وهو أن تضرب القطر في اثنين وستين ألفاً وثمانمائة واثنين وثلاثين ثم تقسم ذلك على عشرين ألفاً فما خرج فهو الدور . وكل ذلك قريب بعضه من بعض »

الكسر العشري ( الفاصلة ) . ولكن لدى البحث تبين أنه وضعها على الشكل الآتي :

صحيح

٣ ١٤٥٩٢٦٥٣٥٨٩٨٧٣٢

وهذا الوضع يشير الى أن المسلمين في زمن الكاشي كانوا يعرفون شيئاً عن الكسر العشري ، وأنهم بذلك سبقوا الأوروبيين في استعمال النظام العشري . وامتاز العرب في بعض البحوث الهندسية فدللت على إحاطتهم بالمبادئ والقضايا التي تقوم عليها الهندسة ولا سيما فيما يتعلق بالتوازيات . فلقد تنبه الطوسي لنقص اقليدس ( في قضية المتوازيات ) وحاول البرهنة عليها وبني برهانه على فرضيات



إذا كان  $S > B$  عموداً على  $B$  في نقطة  $S$  . وإذا كان الخط  $(S > B)$  يصنع مع الخط  $(S > B)$  زاوية حادة كالأزوية  $(S > B)$  فحيثما جميع الخطوط العمودية على  $(B)$  والموجودة بين  $(S > B)$  و  $(B)$  والمرسومة من جهة  $(S > B)$  تقصر تدريجياً . أي أنه كلما بعد الخط العمودي على  $(B)$  عن  $(S > B)$  زاد النقص في الطول .

فلقد كان لهذا البرهان أو الاتجاه في معالجة قضية المتوازيات وللبحوث الأخرى التي وردت في كتاب (تحرير اصول اقليدس) وفي الرسالة الشافية للطوسي أثر في تقدم بعض النظريات الهندسية . وقد نشر جون واليس John wallis

هذه البحوث في اللاتينية سنة ١٦٥١<sup>(١)</sup> وبهذه المناسبة لا بد لنا من الإشارة الى أن (تحرير أصول اقليدس) قد طبع في روما بالعربية سنة ١٥٩٤<sup>(٢)</sup> والرسالة الشافية طبعت بمطبعة دار المعارف العثمانية بعاصمة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٨ هـ .

وسنحضر بعض علماء العرب (ولا سيما ابن الهيثم) الهندسة بنوعها المستوية منها والمجسمة في بحوث الضوء وتعيين نقطة الانعكاس في أحوال المرايا الكروية والاسطوانية والمخروطية المحدبة منها والمقعرة . وابتكروا لذلك الحلول العامة وبلغوا فيها الذروة . فقد استغل ابن الهيثم الهندسة الى أبعد الحدود في حلول كثير من القضايا المعقدة المتعلقة بالضوء وتناول دراسة (تعيين نقطة الانعكاس) على أساس منطقي سليم ، فبني أولاً بوضع بضع عمليات هندسية هي في ذاتها على جانب من الصعوبة ذكرها ويثن كبنية إجرائها ، ووضع لها البراهين المضبوطة ، وذلك كله على أساس هندسي صحيح ، ثم اتخذ هذه العمليات الهندسية مقدمات الى الحلول التي أرادها لتعيين نقطة أو نقاط الانعكاس . ولم يقف عند هذه الحدود بل ساق لتلك الحلول براهينها الهندسية . وعلى هذا فبحوثه (كما يقول الأستاذ مصطفى نظيف) يجب أن نراعى كوحدة واحدة تتكون من قسمين أحدهما المقدمات الهندسية ، والثاني الحلول العامة المبينة على تلك المقدمات<sup>(٣)</sup>

(١) كاجوري : تاريخ الرياضيات ، ص ١٢٨ ، راجع سارطون مج ٢ ص ١٠٠٣

(٢) كاجوري : تاريخ الرياضيات ، ص ١٢٧ .

(٣) راجع كتاب الحسن بن الهيثم لمصطفى نظيف مج ٢ ص ١٩٢ :

أما للمقدمات فهي ست . وقد أورد ابن الهيثم لكل منها وبرهن عليها ببرهان هندسي صحيح . ومن دراسة هذه المقدمات يتبين أن للمقدمات الأولى والثانية متشابهتان ، بل هما في الحقيقة صورتان لعملية هندسية واحدة . وكذلك للمقدمات الثالثة والسادسة متشابهتان وهما أيضاً صورتان لعملية هندسية واحدة . ولهذا -

ويتبين من هنا أنه ما كان لابن الهيثم أن يتذكر في علم الضوء ولا أن يتوفق في شرح بعض طرقه وعملياته ونظرياته لولا استعانه بالهندسة وتطبيقها في مسائل الضوء وجلالها مما جعل لبحوث ابن الهيثم قيمة علمية وعملية كانت ولا تزال محل تقدير الباحثين والعلماء في الشرق والغرب على السواء .

قد يستغرب القارئ إذا علم أن الأوروبيين لم يعرفوا الهندسة إلا عن طريق العرب . فلقد وجد أحد علماء الانكيز في أوائل هذا القرن ( حوالي سنة ١٩١٠ م ) مقالين هندسيين قديمتين في مكتبة كنيسة وستر : الأولى كتبها

- جمال الأستاذ مصطفى نظيف من مقدمات ابن الهيثم الست أربعم عمليات هندسية تشملها جميعاً وهي :

١ - المعلوم نقطة  $P$  على محيط دائرة قطرها  $B$  . ويراد إخراج مستقيم من  $P$  يقطع محيط الدائرة في  $S$  والقطر  $B$  ( هو أو امتداده ) في نقطة  $H$  بحيث يكون  $S$  يساري طول مستقيم معلوم .  
[ وقد استعمل ابن الهيثم أثناء حله هذه العملية التقطع الزائد ] .

٢ - المعلوم مثلث  $AB$  قائم الزاوية في  $B$  . ونقطة  $S$  على الضلع  $B$  ( هو أو امتداده من جهة  $B$  ) . ويراد من النقطة إخراج مستقيم يقطع الضلع الثاني  $AB$  ( هو أو امتداده ) على نقطة  $K$  ويقطع الوتر  $AP$  ( هو أو امتداده ) على نقطة  $T$  بحيث تكون النسبة  $\frac{TK}{PT} =$  نسبة معلومة ولكن  $L$  .

٣ - المعلوم دائرة مركزها  $B$  وقطرها  $AB$  . ونقطة  $H$  مفروضة . والمطلوب إخراج مستقيم من نقطة  $H$  يقطع محيط الدائرة في نقطة  $S$  والنظر  $AB$  على نقطة  $S$  بحيث يكون  $S = S$  .

٤ - المعلوم دائرة مركزها  $B$  وتقطعتان  $S$  ،  $S$  حيثما اتفق . ويراد إيجاد نقطة  $P$  على محيط الدائرة بحيث إذا وصل للمستقيمان  $AP$  ،  $BP$  احاط أحدهما مع الآخر بزاوية . وكانت الزاوية التي يحيط بها أحدهما والمماس من نقطة  $P$  مساوية للزاوية التي يحيط بها الآخر وهذا المماس .



(جريت) الذي صار بابا سنة ٩٢٩ م باسم البابا سلفستر الثاني . ولم يكن كتاب اقليدس في الهندسة معروفاً حينئذٍ إلا في العربية . والثانية يرجع تاريخها الى أوائل القرن الثاني عشر للميلاد وكاتبها راهب اسمه ادلرد اوف باث Adelard of Bath ، فكان قد تعلم العربية ودرس في مدارس غرناطة وقرطبة واشبيلية . والمقالان باللاتينية من نسخة ترجمت عن ترجمة اقليدس العربية . وبقيت هذه الترجمة تدرس في جميع مدارس أوروبا الى سنة ١٨٥٣ م حينما كشف أصل هندسة اقليدس اليوناني <sup>(١)</sup> .

واشتغل العرب في المربعات السحرية التي هي من أصل صيني . وقد أخذ بها علماء الهند والعجم وغيرهم وتوسعوا فيها .

وقد رأى العرب فيها جمعاً بين بعض الأعداد وبعض الأشكال . وأول من بحث فيها ثابت بن قرة <sup>(٢)</sup> وتبعه في هذا بعض علماء العرب . وقد ظهرت كثيراً في مؤلفاتهم وأطلقوا عليها اسم (الأشكال الترابية) .

ورأى فيها أصحاب الطلامس والذين يعنون بالسحر والتدجيل منافع وفوائد يمكن استعمالها في الولادة وتسهيلها ، والمراحم والشربات وأفعال الترياقات والحن الموسيقي وتأثيراتها في الأجساد والنفوس .

وجاء في هذا الشأن أن : « ... مامن شيء من الموجودات الرياضية والطبيعية والالهية خاصة ليست لشيء آخر . ولجميعاتها خواص ليست لمفرداتها من الأعداد والأشكال والصور والمكان والزمان والعقائير والطعوم والألوان والروائح والأصوات والكلمات والأفعال والحروف والحركات فإذا جمعت بينها على النسب التأليفية ظهرت خواصها وأفعالها ... » <sup>(٣)</sup> . ولست بحاجة الى القول

(١) راجع المتطبع مج ٣٨ عدد فبراير ١٩١١ ص ٢٠٢ .

(٢) راجع ثابت بن قرة في كتاب ترات العرب العلمي لقدري حافظ طوقان في قسم التراجم .

(٣) رسائل اخوان الصفا ج ١ ص ٧١ .

ان كثيرين من رياضي العرب لم يعتقدوا أن هناك منافع أو فوائد تأتي عن هذه المربعات بأعدادها وأشكالها بل كانوا يرون فيها تسلية فكرية وممتعة عقلية لا أكثر .

ولا بدءاً لنا قبل الانتهاء من هذا المقال من التعرض لآراء علماء العرب في فوائد الهندسة ، فقالوا ان الهندسة على نوعين : عقلية وحسية - فالحسية هي معرفة المقادير وما يعرض فيها من المعاني اذا أُضيف بعضها الى بعض ، وهي ما يرى بالبصر ويدرك باللمس . والعقلي بفسد ذلك وهو ما يعرف وبفهم . وقد بحث العرب هذا كله بالتفصيل في مؤلفاتهم ورسائلهم ، وكانوا يرون أن في الهندسة فوائد وأدركوا اتصالها بالحياة العملية وتمادوا في تقدير أثر الهندسة على الانسان من الناحية الروحية :

فالنظر في الهندسة الحسية « ... يؤدي الى الخلق في الصنائع كلها وخاصة في المساحة ، وهي صناعة يحتاج اليها العمال والكتاب والدهاقين وأصحاب الضياع والمقارنات في معاملاتهم من جباية الخراج وحفر الأنهار وعمل البريدات وما شاكلها ... »

والنظر في الهندسة العقلية يؤدي الى الخلق في الصنائع العلمية « ... لأن هذا العلم هو أحد الأبواب التي تؤدي الى معرفة جوهر النفس التي هي جذر العلم وعنصر الحكمة ... »

وكان بعض علماء العرب يرى أن الهندسة العقلية هي أحد أغراض الحكماء الراشخين في العلوم الإلهية المتراضين بالرياضيات الفلسفية ، وإن تقديم علم العدد على علم الهندسة هو تخرج المعلمين من المحسوسات الى المعقولات ، وترقية من الأمور الجسمية الى الأمور الروحية .

(نابلس)

فدري حافظ طوقان .

# محمد كرد علي<sup>(١)</sup>

## حياته وآثاره

تمهيد  
حياة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي حافلة شاملة ؛ وقف  
دوت تسجيلها كتابنا ، وحار فيها المترجمون ، فلم يبدئوا  
ولم يعيدوا . لذلك خلت صفحتنا العربية ومصادرنا الأدبية والتاريخية من ترجمة  
له أو حديث نافع فيه . ولذلك كانت مهمتنا عسيرة ، فليس لنا من معين  
إلا كتبه وآثاره ، وما ترك قلمه في ترجمة حياته ، وما وقع له ؛ فعلينا  
اعتمدنا ومنها اقتبسنا ، وبعبارة الحرفية أخذنا ، لئلا نجيد عن خطة الدارس  
التزيه ؛ ونحن لا ندعي الإحاطة والتوفيق في رسم سيرته أو تعداد كتبه ومقالاته .  
وكيف ندعي الإحاطة في سيرة رجل طوى سبعاً وسبعين سنة في عمل مستمر ،  
ويقظة عجيبة ، لا يكاد يستقر في بلد حتى ينتقل الى غيره ، فيطوف في بلاد  
كثيرة يزور بعضها مرات عدة ، فيسافر الى لندن ، وبرلين ، وباريس ، ومدريد ،  
ورومة ، وبودابست ، والآستانة ، والقاهرة ، والمدينة المنورة . ولا يكاد يقر  
قراره في مسلك واحد ، فهو في الصحافة والجامعة والوزارة والمجمع العلمي العربي  
بدمشق ، والمجمع اللغوي بمصر ، ومع الشرقيين والمبشرقيين .  
لقد كان - رحمه الله - حركة لا تنهدا في الكتابة والتأليف . وكان

(١) لمناسبة الذكرى الثانية لوفاته رحمه الله .

لسانه لا ينقطع عن حديث عذب متصل ، ونكتة بارعة تسبق نكتة بارعة ، وضحكة يطلقها لتلحق بضحكة تسبقها ، وقهقهة لطيفة يميل لها جسمه ، وتنفرج أساريره ، فكان عفيفه الشهاوين تبسمان من وراء نظارتيه ، ووجهه الأبيض المشرق يحمر بالسرور والنضرة . ذلك أنه يحب الطرب والموسيقا والجمال ، ويمشق الحكاية والقصص والنكتة ، ويهيم بالمجلس اللطيف والعشرة الصافية ، فيفيض بالسحر الحلال من جمل الدعابة والتعجب ، وتنقلب نفسه الكبيرة في دقائق الى براءة الطفل وسحر السذاجة ، فيخيل اليك أنه أول مرة يضعك فيها بعد طول عبوس ، وتستطيع حينذاك أن تطلب فتجاب ، وأن تقول فستمع اليك ، على أن تتلطف في الحديث ، وتبتعد عن الفاسف في القول ، فان كنت لا تملك شيئاً من هذا فاسكت .

ذلك لأن كلمة عابرة ونكتة سافرة ، تؤذي سمعه وذكائه ، فينقلب المجلس إلى كدر ، وتسمع ما لا قبل لك به ، وتعرف حينئذ أن ليس لك معه لقاء ، وإن تملك معه الصفاء ، وخير في هذا ، أن تزايل المكان وتبرح المجلس ، فالرجل أديب فنان لا يرتضي لجليسه غير الرقة في الأسلوب والدقة في الحديث .

وأما إذا كنت تحدث في الجهد والسعي والصبر على العلم ، فهو شديد الإقبال على المشتغلين ، كثير التحمس للمجتهدين ، يحب النظام ويمشق التدقيق والتحقيق ، ويكره الفوضى ومحارب الرياء ، لا يفرق بين دين ودين لأنه يمتنع التعصب ، وطبقة وطبقة لأنه يرى الناس أخوة . وإنما ممة أن يرى من يعمل فيجيد ، ويقرأ فيفهم ، لا يؤخذ بالشهادات ولا يخدع بالألقاب ، فإذا كان لك سفي حميد إلى جانب ذلك رفعك فوق مكانتك ، وأحبك فوق رتبك ، ومال إليك بسمعه ، ودعا لك في مجالسه ، فانت تطير بجناحين من



مديحه ، ذلك لأنه أديب عاطفي يحب ويكره ، ويذم ويمدح ، فاذا ارتسمت صورة من حب لم يطمسها واش ، واذا ارتسمت صورة من كره لم يمحها ماح ، إلا إذا رأى بالتجربة وخبر بنفسه ، وقرأ بعينه ، فأنت حيث يضعك أديبك وقلمك وعلمك .

دخلت عليه كثيراً في بيته ، والعبادة على كتفيه ، به « جسرين » أو في دمشق ، فرأيت به بذيب نور عينيه في صحيفة أجنبيته وصلت منذ أيام ، يقرأ فيها عن رأي الغربي في الشرق أو مجلة مستشرقة تنشر في أدبنا وثقافتنا ، فهو شديد التتبع لما يقع وراء الحدود وفي الآفاق العليا ، وهو شديد النهم لمعرفة أخبار المطبوع والمخطوط ، عاش عمره لما وقضى في سبيلها .

كانت المقالات والكتب تعرض عليه فيتولاها بالنقد والتجريح والاصلاح والتبديل قبل النشر ، لا يسكت عن خطأ ولا يخشى في الحق لوماً . بل يقول في صراحة ما يعتلج بقلبه وبلغ في صدره ، كأنه يستريح بعد القول ، لا يستطيع أن يكتم بغضاً أو تقدراً ، وهذا الخلق كثير أعداءه وجمع الخصوم عليه . وهو عصامي يعتز بأنه صمد كثيراً للحياة والمبغضين ، ويفخر بأن كتبه أوصلته الى الوزارة ورئاسة المجمع ، وقد بلغها عن كفاية وعلم ، وبلغ كثير غيره عن ضعة في النفس ، وذلة في الحياة ، وتمسح بالسلطات .

رأيت به يكي حين دخل عليه عالم أجنبي ، كان يسعى إلى يدي رئيسنا ليقبلها ، فهاله إكبار الغرباء لسعي العلماء ، وقنع من جده بهذا الجزاء . ولا تسأل عن ذاكرة عجيبة ومقدرة في الوصف غريبة ، حين سأله العالم عن أمور عني عليها الزمان منذ بعيد ، فقد كانت ذاكرته تزداد مع الشيخوخة ، وتقوى كلما نحل جسمه وضعفت عيناه .

كان في عشر الثمانين من عمره يعمل لكتاب « البيزرة » في مخطوطة مصحفية ، فما نزلت مخطوطتها من يده ، ولا مل صحبة سطورها ، فهو يستلذ العمل في

سبيل المجمع العلمي : مطبوعاته شاهدة على قوة ، ومجته دلالة على استمرار ، لأنه رأى ولادة المجمع العلمي بدمشق ، ووقف حياته في الدفاع عنه ، فاستهدف لفضب الطامعين في دخوله ، والفاشين لوجوده ، والحاسدين لجهوده . وبعض الناس لا يريد أن يعمل ولا يريد لغيره أن يعمل . وقد شب كثير مع الرئيس وشابوا ، فأصبح في سدة العلماء المشهورين ، وما يزالون من دمشق في شهرة فقيرة ، وعدة من العلم يسيرة ، وهو في بحر من رسائل المديح تأتيه من الغربيين والشرقيين .

يعمل الموظفون في دوائره ، وحولهم من يعينهم أو يكتب لهم ، ويعمل الرئيس في كتبه وحده ، يكتب بخطه ، ويصحح بقلمه ، ويراسل بيده ، ولا معاون بكل إليه الأمر ، أو يكتب له السر ، وقد يخط عشرات الرسائل ، ويصحح عشرات الصفحات يحققها ، وينظر في مقالات غيره من الأعضاء والأدباء والعلماء ، وهو لا يشكو ولا يتنمر ، لأن الخلود يكلف النوايح جزية يسيرة : هي أن تصمد قلوبهم لهذا السعي المتواصل ، ولو دلفوا إلى الثمانين <sup>(١)</sup> .

رحم الله محمد كرد علي ، إنه لم يرحم قلبه ، ولم يشفق على عينيه ، ولم يحرص على صحته ، وإنما ألتقى ذلك في سبيل هذا الوطن وأبنائه ، فله من الوطن الأكبر والتخليد ، ومن المجمع العلمي العربي دمع لا ينفد ، وحسرة لا تنقضي ، ومكان لا ينسى .

ولقد أراد مجمعنا العلمي بدمشق أن يرسل في ذكره سطوراً موجزة ، تصف حياته وتعدد آثاره ، يقدمها إكليلاً إلى ضريحه الخالد ، فكلفتني وشرفني بهذه المهمة ، فبذلت ما وسعني ، وهذا جهد المقل ، داعياً إلى الله أن يطر ضريحه بوابل رحمته ، وأن يسكنه فسيح جنته .

(١) رسم العلامة المرحوم أخلاقه وحياته وما أتى خلال عمره ، في مقال جميل تصح الذين يشتقون الأدب أن يقرأوه ، فهو من أطيب ما خضته أامله ، وهو فيه كأنه ينمي نفسه ويلخص ما علمته الأيام من دروس ، وكان علينا أن ننقله مما ولكن المجال ضيق ، فتعيل القاري إليه في مذكراته ٦٤٩/٢ - ٦٥٣ .

## أيام الحرات والدراسة

١٨٧٦ - ١٨٩٢

ولدت في بلدة قائمة على سفح جبل مازمير ، تبعد عن كركوك ٧٢ ميلاً .  
 قدم جده « محمد » من السليمانية <sup>(١)</sup> بشمال العراق ، وهو  
 تاجر كردي من الأيوية ، فاتصل بالشام ورحل الى الحجاز  
 والأستانة ثم عاد الى دمشق واستقر فيها <sup>(٢)</sup> . ونشأ أبوه « عبد الرزاق »  
 في الخياطة أول الأمر ، ثم عمل في التجارة فربح <sup>(٣)</sup> ، واشترى مزرعة في  
 القوطة بقرية « جسرين » ، وتزوج امرأة شركسية أصلها من قفقاسيا <sup>(٤)</sup> ،  
 فولد له منها غلام ، في أواخر صفر سنة ١٢٩٣ / ١٨٧٦ ، سمّاه « محمداً »  
 ولقبه بـ « فريد » .

الدراسة الابتدائية .  
 ودبّ الطفل « محمد فريد » في بيت أبيه ،  
 في رزاق البرغل ، وأحاطته أمه بعناية فائقة ،  
 ومنحه أبوه عطفًا غالياً ، ثم أسلمه في السادسة من عمره الى مدرسة كافل سيباي  
 الأميرية الابتدائية « وهي المدرسة النباهية » <sup>(٥)</sup> ، يتعلم فيها خلال العام ،  
 فاذا كانت العطلة الصيفية استسلم الصبي الى البيت ، يسرح ويمرح ، يطوف

- 
- (١) بلدة قائمة على سفح جبل مازمير ، تبعد عن كركوك ٧٢ ميلاً .  
 (٢) قم علاقتنا الراحل في خطط الشام ما وصل اليه من أن خلافاً وقع بين جده  
 ومحافظ الحج ، سافر له الجدة شاكياً الى الأستانة ، وخاب في سببه فافتقر  
 وهلك - خطط الشام ٤١١/٦ .  
 (٣) قم علينا كذلك من أمر أبيه وسفره الى الأستانة واتصاله بكبار القوم هناك  
 وفي دمشق ما نحين به القاري الى المذكرات ، بالصفحات ١٧ ، ٢٠ ، ٢٤٣ .  
 (٤) يقول الرجل في مذكراته ص ٥ : « فأنا على رغم من آمن وكفر من  
 جنس آري لا يقبل الزواج » .  
 (٥) انظر ثمار المقاصد ليوسف بن عبد الهادي ، وتعليق الدكتور اسعد طلس ،  
 بحاشية الصفحة ٩٩ .

الماء عصر كل يوم في صحن الدار ، ويسبح في الحوض حتى يتبرد . فاذا سار الى « جسرین » ركب مع أبيه على فرسه ، واجتاز القوطة ، ورأى الظل والنور بتلاعبان طول الطريق على رأس أبيه ، ويمجربان أمامه في خطوط عرضية تعرض وتدق ، ورأى الانسان والحيوان يمشان في خدمة المدينة وأهلها ، وشهد الحصاد والرجاد ، واليادر والتواطير ، فكان يقضي « نهره » في الحقول الواسعة ، يطير طيارته في الهواء ، أو يسبح في ماء النهر ، أو يبعث ساعات من نهار بالأرجوحة مع أخته تقذه ويقذفها (١) .

لذلك كان الصيف حلماً من أحلام الصبي ، وكانت القرية سكناً ومرتماً خصباً تخياله وآماله ، يستمتع بالضفادع في مناقعها ، ويطرب لأصواتها ، ويأنس بالفلاح ويسر لهائنه ، فأحب القرية وعشقها ، ووقعت « جسرین » من نفسه موقعاً خالداً ، عاش فيها أحلى حياته ، وسجل فيها أجمل مؤلفاته .

وترعرع الطفل في كنف الرعاية والعناية عند النساء كذلك ، وأحسن بذلك منذ نعومة أظفاره ، تخلص في نفسه حساً دقيقاً رائعاً ، لبث يصعبه بعد السنين والسبعين ، إذ يقول بعد نصف قرن :

« شعرتُ أول ما وعيت على نفسي بعطف النساء ، وكنت أحب الاجتماع اليهن ، وأفضله على الاجتماع الى أترابي ، وأحبُّ مماع كلام من يختلف منهن الى دارنا في القرية ودارنا في المدينة ، ومنهن من أرضعني فصرتُ ابنهن من الرضاع ، وغدا أولادهن أخواتي وإخوتي . وكان الكهلات والشابات والعجائز من أولئك النسوة ، الفلاحات منهن والبلديات يضمنني إلى صدورهن ، ويقبلنني ، وأضمنن بأقبلن » (٢) .

(١) للذكرات ١٢ .

(٢) للذكرات ١٤ .



وهكذا كان لطفولته المرحّة ، وحياة الطبيعة وعناية النساء به أثر كبير في حياته ، فقد كان يقول : « وبقيت بعد ذلك أدثر مجلس النساء معها كان لونه على مجالس الرجال الى أن شيت وشبت » . ورافق النساء والطبيعة ، شعور بالموسيقا والطرب ، فقد كانت أمه تصحبه الى حفلات الاعراس لذلك الزمان ، فيشهد « التخت » ويسمع الى المغنيات ، وينظر الى الجمال والفتنة فيما يرى وفيما يسمع ، فتشأ عنده حسن الفن ، وغما حتى عشق الألوان والأصوات . واحتلّ ذلك من نفسه موقعا كبيرا ، وأثار في أدبه وكتابته سطوراً لا تمحى ، ظهر أثرها فيما كتب وفيما سطر ، فهو يذكر بعد سنين عاماً لون هذائه للعيد ، وما يقدم من حلوى في البيوت ، وما يقوم من ملاعب في الشوارع .

كلّ هذه المشاهد الفاتنة ، في المدينة والقرية ، أثرت في عقل الصبي واشتركت في تفكيره وذكائه ، فقد قرأ في كتاب الطبيعة ، وسبح في مفاتها منذ صباه ، وتفتحت عيناه على أجل ما يسرّ العيون ، فأشرقت في نفسه ألوان الفهم ، وأشربت روحه حبّ النكتة والقصة والخيال .

فلما كان في السادسة زار مع أمه بيت الشيخ محمد الطنطاوي بالقيصرية ، ووقع بصره على رفوف الكتب ، فشبق لمراها ، وسأل عنها فأجابته : « إنها كتب بقرأ فيها العلماء » فأحبّ ألوانها وطريقة ترتيبها ، ودعاه ذلك الى أن يقول في لسان الصبي الساذج : « أنا أحب أن أتعلّم هذه الصنعة » ؛ ودفعه أبوه الى الكتب ، ودفعته أمه الى حبها ، واندفع هو بسائق وعده الى هذه الصنعة ، مع أنه يقول في آية : « ووالدي كان عامياً يقرب من الأمية ، أنفق عن صعة ليعلمني ، فكان مدة سنين يدرّ الرواتب على أساتذتي ، وقد اتباع لي مكتبة » <sup>(١)</sup> . ولهذا المكتبة وهؤلاء المعلمين أثر في تربيته وثقافته وتفوقه على أقرانه .

ولما أتمّ الدراسة الابتدائية حوالي سنة ١٨٨٦ م ،  
 الدراسة الثانوية انتقل الى الدراسة الرشدية ، وسمي «محمد تعديل»  
 نسبة الى حيّ كان يسكنه أبوه على عادة ذلك الزمن . وراح في هذه الحقبة  
 يقرأ ويقرأ حتى هام بالمطالعة ، وأصبح يسهر الليل حتى المزيغ الثاني منه ،  
 في قراءة جريدة أو كتاب . فضعف بصره ، وسامت صحته ، ونصح له  
 الأقارب والأصدقاء في الاعتدال ، ولكنه مع ذلك ما كان يذعن إلا حين  
 يُطْفئُ أهله المصباح لينام ويستريح .

وأنتى لنفسه المتيقظة أن تستريح ، وهو في كل يوم يقع على ألوان من  
 الإغراء في المطالعة والجد ، فقد دخل على صفّه ذات يوم ، رجلٌ في عمامة  
 وجبة ، يتحدث في لهجة مغربية ، فدهش الطفل لما رأى ، ولما سأل عنه قيل له :  
 إنه المفتش العلامة الشيخ طاهر الجزائري ، وهو أئمن من شيخه وأستاذ ، وأنه  
 يستطيع أن يعزل الأستاذ ، فقال في نفسه : «يا ليتني أكون مثله !» .  
 وهكذا أعجب وهو صغير بالكتب الجميلة المصنوفة والعلماء المهيّبين المحترمين ،  
 فأحب أن تكون له الكتب في بيته حين يكبر وأن يكون في العلماء المهيّبين  
 لعصره ، فاستزاد من الكتب ، وأطاعه أبوه فاجتاع له جملة منها في التراكات .  
 - وكانت تباع التراكات في الجامع الأمويّ بعد صلاة الجمعة - وصحب الكتب  
 وقرأ فيها ، وراح يعبث من الصحف ، وهو في الثالثة عشرة من عمره :  
 «بدأت أقرأ الجرائد اليومية في الثالثة عشرة من عمري ، وأنا في السنة الأخيرة  
 من المدرسة الابتدائية ، وبعد حين اشتركت بخريبتين : بيروت الأسبوعية  
 ولسان الحال نصف الأسبوعية» . ووصف لنا ما كان يقرأ فيها : «أولت  
 بمطالعة لسان الحال لأن فيها أخباراً طريفةً ممرّبة عن الانكليزية ، واشتركت  
 لما كنت في السنة الثانية من المدرسة الثانوية بجريدة فرنسية أسبوعية تصدر

في باريز اسمها «صديق الريف» ، وأطالع بعض الصحف التركية الصادرة عن  
الأنشانة ، ولا سيما المجلات الأدبية والتاريخية»<sup>(١)</sup> .

وبذلك انتقل من كتاب الطبيعة المفتوح في صباه الى كتب مطبوعة في  
شبابه ، ومال الى الصحف والمجلات يقرأ فيها حتى عشق المطالعة ونال منها  
حظاً وافراً في ثقافته ولقته وأسلوبه ، ونالت من صحته وعينه . وهذه الثقافة  
لم تقف على لغة واحدة ، وإنما اشتركت فيها ثلاث لغات ، كان يقرأ عن  
آدابها في صحفه ، وهي العربية والتركية والفرنسية<sup>(١)</sup> فسبق اخوانه ، وفاقهم  
ثقافة في الحياة ، ونشأ فيه ميل عميق الى الخيال والأدب والصحافة والثقافة  
العامة ، وسرى أثر ذلك في حياته المقبلة ، حين أصبح صحافياً وغداً منشئاً  
مترسلاً ، يعمل للثقافة العربية الجديدة والثقافة العربية القديمة ، يشرك هذه  
وهذه معاً في جهده ، ويتخذ الطبيعة مصدروحه ، ومن الرحلات مادة كتابته ،  
ومن الآثار والكتب مجموع دراساته وتآليفه .

ولن نستغرب قوله : «وما بلغت السادسة عشرة حتى أخذت أكتب أخباراً  
ومقالات في الجرائد» ، بل هو يعجب لهذا الأثر فيقول : «ما كنت أظن  
أن هذه البداية تنتهي بي الى الغرام بالصحافة»<sup>(١)</sup> .

وتعلق الشاب في دراسته الثانوية بالشعر العربي وبالسجع المنسق وشارك في  
الأسلوب القديم ، وعكف على شيوخه بعبد من علمهم وأدبهم ، وهم من مشهوري  
عصره بلده : السيد سليم البخاري ، والشيخ محمد المبارك ، والشيخ طاهر الجزائري .  
وأخذ منهم حب الكتب القديمة ، وعشق هذه الثروة الكبيرة ، فجمع في  
نفسه حباً عارماً لكنوز الأجداد وآثارهم وكتبهم ، تقضى صحبتهم أكثر عمره .  
ومن العجيب أن يتجاوز القديم والحديث في نفس هذا الشاب وأن تتصاحب

الثقافة الصحفية الجديدة والثقافة العربية القديمة ، وأن يعيش في قلبه شعوران عميقان أحدهما يدفعه الى أن يأخذ بمحظته الكبير من قراءة هذه الكتب الصغرى المثقلة بالمواش والتعليقات لعله يفهم العقل العربي على أربعة عشر قرناً فيه التاريخ والأدب ، وثانيهما يدفعه الى أن يأخذ بمحظته الواسع من قراءة هذه الصحف الجديدة المصورة والمبوبة التي لا تمت الى القديم بشيء ، وإنما تحمله الى أجواء البوسفور والسين .

لذلك عاش في مدرسته الثانوية ، وقد ثقف من العربية على شيوخه ، وأخذ من الفرنسية بالمدرسة العازارية ، حتى ترك دراسته الثانوية ، وهو على شيء كثير من الثقافة العامة كما كانت لزمته ، والقرن التاسع عشر يشارف الاحتضار . والذين يعرفون القرن التاسع عشر في الشام يشهدون بأن الأمية كانت ضاربة بجرانها في هذا البلد ، وأن الكتب المطبوعة قادرة عزيزة ، وأن المعلمين أندر من الكتب ، لذلك سبق الشاب زمانه ، وكان «فريداً» حقاً ، كما لقبه أبوه .

\*\*\*

### في غمار الصحافة

« ١٨٩٢ - ١٩١٨ »

بعد أبت قضى الشاب في دراسته الثانوية سنوات من **في الوظيفة** عمره ، دخل غمار الوظيفة على عادة أقرانه ، وهو في السابعة عشرة ، فكان موظفاً كاتباً في قلم الأمور الأجنبية ، سنة ١٨٩٢ ، وكان يجيد الفرنسية والتركية والعربية . ولنا نعم مدى رضاه عن عمله هذا خلال ست سنوات ، وما كان يمترضه إنشاءه ، وإنما عرفنا أنه كان معتزاً بفرنسيته : «ومعرفة المسلم لهذه اللغة أمر مدهش آنذاك» . ويبدو أن اللغة



أعانه على الوظيفة ، ودفعته الى الترجمة فشرع بتقل رواية فرنسية هي « قبة اليهودي ليفان » أعانه في صيغتها أستاذة الشيخ محمد المبارك .

وفي التحرير وشرع بعد ذلك يرسل في الصحف مقالات باسمه يصنفها بقوله : « لم تصل الى أكثر من أقوال مبتدي » ، وقوله : « لم أكن يومئذ أكثر من طائر لا زغب له ، أمام بواشق كاسرة » <sup>(١)</sup> . وشجعه هذا الى أن يدخل في تحرير الصحف ، سنة ١٨٩٢ ، وهو في الثانية والعشرين : « ويبلغ بي الحال الى أن أحرر أول جريدة ظهرت في دمشق ، واطرد صدورها مدة ، واسمها الشام ، وكانت تصدر أسبوعية لصاحبها مصطفى أفندي واصف الثقالي ، مدير مطبعة الولاية ، ومدير إطفاء الحريق . وفي مطبعة الولاية كان يطبع جريدته ، ولم يكن يحسن الكتابة بالعربية فأتكل على صهره أديب أفندي الطناحي المصري ، وكان هذا يوافق بين جمل يحفظها لبعض الكتاب المحدثين ، ومنها عبارات لأديب اسحق ، ويصوغ من عنده بعض جمل . واتكل أيضاً على اسماعيل أفندي النابلسي من أبناء الأعيان ، وكلا الرجلين لم يدرس آداب اللغة العربية الدرس المطلوب » <sup>(٢)</sup> .

ثم قال : « مل صاحب الشام ، على ما قال ، من إعانات هذين المحررين له ، فهد إلي تحرير جريدته ، ولما أخذت بالنقل عن التركية والفرنسية شعرت بخطورة العمل الذي وسد إلي ، وأشد ما كان يؤلني كابوس المراقبة ، وما ألقاه من الغيظ حتى يؤذن للجريدة بالطبع » .

ولبت الشاب محرر في هذه الجريدة ثلاث سنوات ، على الرغم من كل ما كان يتعرض فيه ، فقد رضع لبان الصحافة قارئاً صغيراً على مقاعد الدرس ، وغذاها شاباً وهو لما يبلغ الخامسة والعشرين ، فظهر في حياته أول أثر من

(١) المذكرات ٢١ .

(٢) المذكرات ٥١ .

آثار نشأته وثقافته وقراءاته . ولم يقف عند هذا ، بل راح يكتب لكبرى الصحف المصرية آنذاك ، وهي مجلة «المقتطف» وذلك لأن صاحب المقتطف شكاً الى الأمير شكيب أرسلان شدة الإرهاق الذي يلاقه من تحرير صحيفته كلها بنفسه ، وهي في حجم يزبد على مئة صفحة في كل شهر ، فأحاله على صديقه الشاب محمد كرد علي ، وقيل هذا مقتبطاً ، فأرسل اليها أولى مقالاته : «أصل الرواية» ، وأصبح ذلك سبيلاً الى الشهرة ، حيث يقول في مذكراته : «وبكتابتي في هذه المجلة امتدت شهرتي»<sup>(١)</sup> .

بهذا خرج الشاب من نطاق إقليم ضيق محدود هو الشام ، الى إقليم واسع كان معدن الصحافة وموضع الثقافة ومصنع الكتابة ، وهو مصر . وهذا الذي نقل الشاب من ميدانه الاقليمي الى جوار الأعلام المشاهير .

ولا شك في أن آفاق سوريا ضاقت في عيني محمد كرد علي **في مصر** فطمع الى آفاق كبرى ، وحلّق خياله في سماء الغرب ، لما كان يقرأ منذ طفولته عن أخباره وآثاره ، فأحب أن يزوره ليمب من ثقافته ، وأعرب عن هذه الأمنية في صدر كتابه «غرائب الغرب» : «كان من أعظم أمانتي النفس منذ بضع سنين أن أرحل الى أوروبا رحلة علمية أقضي فيها ردياً من الدهر ، للتوفر على دراسة حضارة الغرب من منبثها ، واستطلاع طلع المعاهد التي منها نشأ المخترعون والمكتشفون والفلاسفة المتزهون ، والعلماء العاملون ، والساسة المستعمرون ، والقادة النازون ، والتجار والصناع والزراع والماليون ، وهم على التحقيق مادة تلك المدنية وهيولاه»<sup>(٢)</sup> .

ولذلك قرأ رأيه على مغادرة بلاده الى باريس لقضاء بضعة أشهر للدرس والنظر ، ولا عجب في أن يقصد باريس دون غيرها من العواصم ، فقد تأثر بما قرأ في

(١) المذكرات ٥٢ .

(٢) غرائب الغرب ٤ .

الفرنسية من غير شك ، وأخذ يجالها وروعتها بما تلقته في العازارية وغيرها عن أساتيدته . وصافر سنة ( ١٩٠١ ) وهو في السادسة والعشرين .

ودخل مصر ، ونزل بها أياماً يرسل بعدها الى عاصمة الفرنسيين ، ولكن أصحابه في القاهرة عرضوا عليه البقاء ، وحدثه صديقه الأستاذ السيد محمد رشيد رضا<sup>(١)</sup> صاحب المنار أن يحرر في جريدة «الرائد المصري» لصاحبها نقولا شحاده ، وهي نصف أسبوعية فقبل . وكانت هذه الجريدة تنال من أصحاب المقطم بتشجيع المؤيد ، وكان صاحبها جاهلاً بالعربية ، ومع ذلك ظل محمد كرد علي ، يحرر فيها ، فقد كان يستمتع بصحبة المصريين من العلماء ، وينتفع بالكتاب من النازلين في أرضها ، فتعرف الى محمد الموبلحي وابنه ابراهيم . وكانا يحرران «مصباح الشرق» - والى الشيخ محمد عبده ، وكان يدرس في الرواق العباسي بالأزهر ، فحضر الشاب دروسه في التفسير مرتين في كل أسبوع ، وغشي مجلسه الخاص بـ «عين شمس» مرة في الأسبوع ، فتعرف الى جماعة من الفضلاء والعلماء ، وانتفع في الاستماع اليهم ، كما انتفع بذلك الشاعر محمد حافظ ابراهيم .

وقد سجل في مذكراته هذا الاعتراف فيما بعد قائلاً : « وكان يوم الاستقبال في داره بمين شمس أعظم واسطة لمعرفة طبقات من أعيان الأمة وعلمائها وقضاها ورجال سياستها وغيرهم »<sup>(٢)</sup> . وكان الفضل في تقديمه الى الفضلاء من المصريين لصديقيه : رفيق العظم والسيد محمد رشيد رضا .

وقد ذكر كثيراً من المصريين والسوريين تعرف اليهم ، وكلهم في الأعلام المشهورين ، خلفوا صفحات قيمة في حياة العصر الفكرية والأدبية ، أمثال : قاسم أمين ، ونحسي زغلول ، ابراهيم اليازجي ، يعقوب صروف ، فارس نمر ، حافظ ابراهيم ، خليل مطران ، عبد العزيز فهمي ، جرجي زيدان ، علي يوسف ،

(١) المذكرات ٥٥ .

(٢) المذكرات ٢٥١ .

مصطفى كامل ، سليمان البستاني ، أحمد تيمور ، أحمد زكي ، ولي الدين يكن ، شبلي شميل ، وغيرهم كثير من المعاصرين .

وفنحن إنما بسطنا هذه الأسماء ، وأفصنا بعض الافاضة في تعدادهم لننتهي الى أن الرجل دخل جامعة أدبية فكرية واجتاز المرحلة الأولى فيها ، فتكونت ثقافته ، وقويت معرفته ، وأخذ من كل بطرف ، فموضت عليه سني الدراسة العالية - كما نسميها الآن - وكفته مؤونة الشهادة العليا والألقاب الجامعية وما إليها من تهيؤ ومحاضرات ، ولا ريب في أن هذه المحاورات والمجالس كانت أشبه بالمحاضرات العامة ترصف العقل وتغني الثقافة .

ولعل مشاهدة الأعلام والاجتماع اليهم تزيد في ثقافة القاري ، وتكسبه بالحسنة تجربة ومعرفة . والرجل نفسه يعترف بهذا الأثر في مذكراته : « ومن أعظم ما استفدته من رحلتي هذه الأخذ عن عالم الإسلام والإصلاح الشيخ محمد عبده وحضور مجالسه الخاصة والعامة »<sup>(١)</sup> .

ولسنا نتطرق الى وصف البيئة في مصر ، وحال السياسة والخطابة ، وقيام الدعوة الى الوطنية والاستقلال ، وما كان في الصحف المصرية الكبيرة من أدب وبيان ، لنشير الى أثرها في أدب الشاب وفي روحه ، فلذلك كتب يحسن الرجوع إليها<sup>(٢)</sup> في فهم العصر والمصر والأثر .

وعلى كل ، لم يطل مقام الرجل في مصر ، هودته الى دمشق فقد سلخ عشرة شهور فحسب ، قام بعدها وباء في القطر ، اضطر محمد كرد علي إلى الرحيل عنها فهجروا الى دمشق ، وعاد الى وسطه الضيق ، يتحمل عنت الحكام ، وجهل الجبهة ، وحسد الحاسدين ،

(١) خطط الشام ٤١٣/٦ .

(٢) نضرب لذلك مثلاً كتاب أنيس المنسي في الموامل النعمالة في الأدب العربي الحديث ، وكتاب عمر الدسوقي في الأدب الحديث ، وكتاب عبد الرحمن الرافعي « مصطفى كامل » مصر سنة ١٩٥٠ .





اوستاز الرئيسى محمد كرد علي  
( ۱۸۷۶ - ۱۹۵۳ )



ولعله صرح إثر عودته ببعض الآراء الإصلاحية التي حملها معه من مصر ،  
وثر بعضاً من الأفكار الاجتماعية ، فحملها الجواميس والرشاة ، ممن يتصيدون  
الغائب بعد أدبته بتصرّيح أو تلميح ، وانتقلت الى آذان السلطة الحاكمة ،  
فضايقته وراقبته ، ورأت أن تخلص منه بالسجن أو بالإبعاد .

لذلك ألصقت به تهمة الطعن على أحد الأعيان ، أو كتابة المناشير ضد  
الوالي ، وشرّدتَه عن داره أباماً ، قضاها مخبئاً في قري القوطة ، في خوف  
وذعر ، وصفها صديقه الأمير شكيب أرسلان <sup>(١)</sup> بقصيدة طويلة نروي منها :

فكم في الزوايا تخبئاً فتى طريد الكتاب شريد القلم

ونحو « المليحة » رام الخفا وكم بالمليحة من متهم

وكم ذاب « جسرين » من ليلة على مثل جمر الفضا في الضرم <sup>(٢)</sup>

وزاد هذا التضييق حتى ذاع في الأسماع أنه مني الى رودس أو الى فزان ،  
فسم الخفي ، وتحمل ثابته الى مصر ، وهو في الثلاثين من عمره تقريباً .

في مصر ، فتولى تحرير جريدة « الظاهر » <sup>(٣)</sup> ،

سنة ١٩٠٦ وهي يومية صاحبها السيد محمد أيوشادي ،

وأصبح بعد قليل رئيس تحريرها . وأصدر معها مجلة « المقتبس » الشهرية ،  
وطبعها بمطبعة الظاهر ، وراجت المجلة في الناس . وحين توقفت جريدة الظاهر <sup>(٤)</sup>

طلق يترجم روايات عن الفرنسية لمجلة « مسامرات الشعب » وصاحبها خليل صادق .

(١) قامت بين الراحلين صداقة متينة ، وشابها بعض الكدر حين رشعت بعض  
المراجع الأمير شكيب أرسلان الى رئاسة الجمع ، كما في المذكرات ٢١٨ -  
وفي مذكراته ١٠١٦ يقول : إن الجمع قرر أن يستأض من تأيين الأمير  
شكيب بكتاب يؤلفه أحد الأعضاء في سيرته السياسية والأدبية ، ولكن هذا  
الكتاب لمّا صدر جد ، على شدة وفاء الأمير للراحلين من أصدقائه كأحمد شوقي ،  
ورشيد رضا ، ونحن في سبيل انجاز كتاب عنه يصدر قريباً .

(٢) انظر بقية آياتها في خطط الشام ٤١٤/٦ .

(٣) المذكرات ٥٦ : « لمحمد بك أبي شادي » .

(٤) توقفت جريدة الظاهر لمجزها عن دفع الرواتب - المذكرات ٥٩ .



ودعاه بعدها صاحب « المؤيد » الشيخ علي يوسف للتحرير في جريدته ، وعليها قامت شهرته ، فهي الدعامة الثانية بعد المقتطف في تعريفه الى المصريين ، فدخل في صميم حياتهم ، وأصبح يعرف ما تقف عليه الخاصة فحسب . وشغفته البلاد حبا حتى قال : « وأصبحت في مصر كأني في بلدي تهمني من وراء الغاية سياستها وسياستها »<sup>(١)</sup> .

وظل يحرر في « المؤيد » ، وتنتشر مقالاته فيها ، وكانت لسان حال العالم الاسلامي الواسع ، فعرفه القاصي والداني ، وغدا ملء الأسماع وموضع الرعاية ، وحقق حلما من أحلامه .

وجاري في « المقتبس » ما كان عليه الغريون من نشر البحوث العلمية والأدبية والتحقيقات التاريخية ، فكان ينقل عن مجلات العالم أنباء في العلم والحضارة والتقدم والاختراع . ويكتب في أعلام المشاركة والمغاربة ، ويعرب روايات عدة عن الفرنسية ، وينشر الى ذلك كتباً قديمة عن مخطوطات قديمة نادرة ، فهو بذلك جمع بين القديم والحديث ، وهذا أثر آخر من آثار دراسته الأولى ، فقد تشقق على الشيوخ فأحب المخطوطات والكتب القديمة ، وأخذ من الصحف خلاصات الأنباء والآراء الغريبة .

ومجموعة مجلة المقتبس من أنفس ما تذخر به مكتبتنا العربية الحديثة في علوم اللغة والأدب والتاريخ ، إلى مقالات في الرحلة ووصف المخطوطات في عواصم الشرق العربي ، وقد بلغت تسع مجلدات في ( ٦٥٠٠ صفحة ) صدر ثلاث منها في مصر وسائرهما في دمشق .

ومن أراد أن يعرف الموضوعات التي طرقها الرجل في جريدة « الظاهر » و « المؤيد » و « المقتبس » يستطيع أن يرجع إلى كتبه فإنه واجد فيها نصوص



أكثر هذه المقالات ، وبها يحكم على ذوقه في النقد ، وسعيه في الإصلاح الاجتماعي وحبّه للقديم من تراثنا ، ووقوفه على كتب الغربيين في الاجتماع والرواية والقصة .

في سوريا لبث محمد كرد علي في مصر حتى سنة ١٩٠٨ ، فلما أعلن القانون الأساسي ، وسقطت دولة الاستبداد ، ظن الناس خيراً بالدولة العثمانية ، فحمل الرجل الى وطنه ووصل دمشق ، فأنشأ فيها مطبعة ، وأصدر «المقتبس» اليومي ، وهي أول جريدة يومية صدرت في دمشق<sup>(١)</sup> وهو في الثالثة والثلاثين من عمره تقريباً .

وكانت هذه الجريدة تكتب في الثقافة العامة ، والأدب ، والسياحة ، والشعر ، وتنشر مقالات في وصف المدن السورية ، ورسائل من الغرب . وتجد فيها آثار الأعلام في الشام والعراق ومصر كرفيق العظم ، وعبد القادر المبارك ، ومعروف الرصافي ، والزهاوي ، وشوقي ، وغيرهم من رجال لبنان والمهجر ، في صفحات أربع واسعة كأنها من جرائد اليوم قوة في التحرير ، ومثانة في التعبير ، وسعة في الأخبار . وهي تنقل عن أختها المقتبس الشهرية وعن غيرها ، أو تعير بعض مقالاتها للمقتبس الشهري ، وكانت بعينه في إدارتها أخوه الأستاذ أحمد كرد علي .

وقد عانت الجريدة كثيراً من جراء الصراحة والحرية ، والنقد<sup>(٢)</sup> ، فقامت السلطة لإيقانها أو تخفيف حدتها ، فحاولت ذلك باللين حيناً والتهديد أحياناً ، وأقامت الدعاوى المختلفة ، وقد عرفنا أن الأستاذ فارس الخوري كان يرافع عن زميله وصديقه محمد كرد علي ، ورأينا من أخبار هذا الدفاع في جريدة المقتبس .

(١) المذكرات ٦١ .

(٢) في خطط الشام ٤٢٢/٦ يقول العلامة محمد كرد علي : « كان مذهب المقتبس مساواة الحكومة بالمتنول ، وامتدادها عند الاقتضاء ، وفتح الصدور للمدنية القريبة » - وكذلك المذكرات ٦٣ .

واشتدت السلطة بعد ذلك ضد الرجل<sup>(١)</sup> ، فهددته بالاغتيال ، ثم عمدت الى إغلاق جريدته ، وترصد الوالي في القبض عليه .

في الغرب  
لذلك هرب الرجل من دمشق ، وبلغ لبنان<sup>(٢)</sup> ،  
سنة ١٩٠٩  
وركب منها البحر الى فرنسا ، وقد بسط تفصيل  
الرحلة في كتبه ، فكانها أقرب الى الخيال لشدة ما لاقى من عذاب ، وهو  
ما صادف من تخف ، حتى لكأنه ، وهو يروي خبرها ، كان يرى في كل  
شخص عيناً ، وفي كل زاوية رسداً .

وبلغ باريس - وهو في الرابعة والثلاثين - فزار معالمها التاريخية ومؤسساتها  
الثقافية ، وخص الجمع العلمي الفرنسي فيها بوصف مسهب قال فيه :  
« وحدثني النفس بيلادنا الشرقية ، وقت : هل يكتب لنا المستقبل  
تأليف مثل هذه الجماع ، فنعمل فرادى ومجتمعين كالغريبيين ، أو نظل كما نحن  
لا نعمل فرادى ولا مجتمعين »<sup>(٣)</sup> .

ونحن نرى في هذه الجملة نواة لتفكيره بإنشاء الجمع العلمي العربي بدمشق ،  
فقد صرّح في تقاريره بعد عشر سنوات ، أن الجمع في دمشق وضع على غرار  
الجمع في باريس . فالرجل كان يرى لبلاده أن تأخذ أحسن ما عند الغرب ،  
ولعله حين سمى جريدته ومجلته بـ « المقتبس » كان يؤمن بالافتباس من العرب  
القدماء والغريبيين المحدثين على السواء ، تجمع على صعيد واحد أجدادنا القديمة  
الموروثة وأجداد الغريبيين المكتسبة .

(١) دخل محمد كرد علي في جمعية الاتحاد والترقي قبل الانقلاب العثماني بنحو اثنتي عشرة سنة ،  
ثم فهم أن سرايم الاتحاديين تتريك الناصر ، فألف كتلة من العرب والترك  
سماها « حزب الحرية والائتلاف » ثم حل الحزب - خطط الشام ٤٢٢/٦ .  
(٢) المذكرات ٨٦ - ويتحدث الكاتب أمين الريحاني عن زيارة العلامة كرد علي  
ومرجه الى الفريكة في كتابه ملوك العرب ١٠/١ فيقول : « أقام محمد كرد علي  
عندنا أسبوعاً عدداً من شوارد الزمان » .  
(٣) غرائب الغرب ١٠٦/١ .

ورأى في هذه الرحلة مكتبات ومتاحف وكنائس ودور تمثيل ، وعاد من باريس الى الأستانة ودمشق فوصلها سنة ١٩١٠ ، وهو يحمل في صدره صوراً للعربية ، وعلى أطراف قلمه آيات للعمل والسعي ، فأطلق الاتحاديون جواسيسهم وأعوانهم ، يهدّدونه ليكمّم فمه ويسكت عن هذه الثورة الفكرية التي كانت تضطرم في قلبه . ولعله .لـ ذلك كله ، وسثم الصحافة ورأى أن يهجّرها الى غيرها من الصناعات وقد جاوز الخامسة والثلاثين من عمره .

### قيل الزهجر

حدثنا الرجل من قبل أنه حين قصد مصر

سنة ١٩١٣

سنة ١٩٠٦ ، نصحه صديقه برججي زيدان

بأن ينقطع عن السياسة إلى مجلته يعمل للعلم والبحث ، وحدثنا كذلك أنه حين زار مصر سنة ١٩٠٨ نصحه صديقه بمقرب صروف أن يقتصر على المجلة وأن لا يدخل في السياسة . والرجلان على قدر عظيم من العلم والذكاء والبحث والتحقيق ، وقد أدركا أن الأستاذ محمد كرد علي لم يخلق للصحافة اليومية والعمل السياسي ، وإنما هو بالبحث ألزم وبالتحقيق أحق . وكانما عرفا من خلق الرجل في عصبته وصراحته وشدة ذكائه ما يجب أن يعدّ لمستقبله وما يتخذ لعمله .

وقد حاول أن يكون صحافياً خلال عشرين عاماً يعيش من قلمه ، في حكومة تحارب القلم ، ويروج بعلمه في سلطة تقتل العلم ، لذلك ضاقت نفسه بحياته : تهدد بإثر تهديد ، ورحلة بعد رحلة ، فما يظهر إلا لينتحي ، وقومه في تباغض وتحاسد ، والنوافذ مغلقة على النور ، والحياة أشبه بالسجن . لذلك آلى على نفسه أن يستمع الى هذين الصوتين القديسين ، وأن يعتمد على البحث والتحقيق ، فهو يزحف نحو الأربعين من عمره ، وله أن يكتب في تاريخ بلاده وخططها ومعالمها القديمة والحديثة وأنظمتها وحضارتها .

لذلك فكر في أن يرحل باحثاً لتأليف هذا الكتاب ، وقد وضع قبالة عينيه ما صنع الأمير «ليونى كايثاني» مؤلف تاريخ الاسلام الكبير ، ورأى أن يسافر اليه ، فعنده مكتبة منقطعة النظير في الغرب كله ، جمع فيها مصادر الاسلام

والعرب من مخطوط ومطبوع ؛ وصور لها كل ما في العالم من مخطوطة ترشده الى بحثه ، فلماذا لا يشد اليها الرحال ، ويصنع كالمستشرقين والغربيين ؟ !  
 وفي هذا سافر من بيروت على باخرة تقله الى رومة ، وقد  
 في الغرب عرجت على الاسكندرية في طريقها ، فتزل في مصر ،  
 ولما وصل رومة ، قصد الى مكتبة البرنس كابتاني وراح ينهل منها ، ويجمع  
 مادة كتابه « خطط الشام » .

وتنقل بعد ذلك من ايطاليا الى سويسرة فالجر ، ووصف أجمل ما في هذه  
 الربوع في كتابه « غرائب الغرب » وخص بها أكثر الجزء الأول ، ثم عاد  
 الى الأستانة ، فجنح الى وطنه <sup>(١)</sup> ، وآب الى دمشق ، لعله يستريح من سفر ،  
 أو يستجم من تعب .

وأين الراحة وأين القرار ؟ وقد دخلت الدولة  
 رميت الدعاوة الحاكمة في الحرب ، واسترخصت أرواح الناس في  
 وجئدت المفكرين للدعاوة لها ، وجمعت من الشام طبقة من العلماء والأدباء  
 ورجال الدين وجعلتهم وفدأ الى الأستانة ليروا ويصفوا . وكان سفر الوفد ،  
 أواخر سنة ١٩١٤ ، فخطب أعضاؤه ، ونظموا الشعر خلال الرحلة . فلما عادوا  
 كلف القائد جمال باشا أربعة منهم بتأليف رسالة عن الرحلة ؛ وهم : محمد كرد علي  
 عن المقتبس ، ومحمد الباقر عن البلاغ ، وحسين الحبال عن أبابيل ، وعبد الباسط  
 الأنسي عن الإقبال . وصدر الكتاب الصغير .

ثم رحل أنور باشا الى الحجاز ، وطلب الى محمد كرد علي أن يؤلف في الرحلة  
 ففعل <sup>(٢)</sup> وهو يقول بعد ذلك في الكتابين إنهما : « من كتب الدعاية السمجة في

(١) قبل نشوب الحرب العامة بيضمة أشهر أوقف والي دمشق المقتبس ، وضايقته

السلطة حتى أعلنت الحكومة العثمانية التغير العام - انظر خطط الشام ٤١٨/٦ .

(٢) سافر العلامة الى المدينة للنورة وتقى فيها ثلاثة وعشرين يوماً - انظر المذكرات

٨٩ ، وارجع الى زبدة رحلته في المذكرات ٧٨٤ بنوالم : « في مدينة

الرسول » ، وقد عتد فيها المخطوطات ووصفها .



الحرب المفقونة» ، ويقول كذلك : « وأنا غير راضٍ عن أكثر ما فيها وهما كتابان لغيري لا لي » .

وقامت في الشام جريدة « الشرق » وهي كذلك للدعاة في سبيل تركيا وألمانيا فتولى رئاسة تحريرها مدة <sup>(١)</sup> ، وكان يكتب فيها تقر من الأدباء والكتاب .

ولعل الرجل مل من الحرب ومقالات الدعاة السياسية ، ففكر في التجارة <sup>(٢)</sup> والسفر الى الأستانة . ولما بلغ عاصمة العثمانيين حال الاتحاديون بينه وبين العمل بإيمار من أحمد جمال باشا ، وقال : « ومنعوني من معاطاة أعمال لا أعرفها في الحقيقة » ، ولكنه اطلع في استانبول على خزائن دار السلطنة ومخطوطاتها النفيسة . ولما سقطت دمشق بيد الحلفاء سنة ١٩١٨ ، عاد إليها بعد ثلاثة شهور من سقوطها ، لعله يصدر « المقتبس » ثانية ، لكن الحاكم العسكري أراد أن يصرفه عنها ، فجعله في رئاسة « ديوان المعارف » - وهو في الثالثة والأربعين تقريباً - .

وهكذا عاد الرجل موظفاً كما كان منذ خمس وعشرين سنة ، على أنه تسلم منصباً في الثقافة يخدم به معارف أمته ، والمستوى العلمي في بلاده ، ومع ذلك « قبله متكارهاً » <sup>(٣)</sup> كما قال ؛ وقد كان يرأس جملة من الشيوخ تعمل لتقريب المفردات والنظر في المؤلفات - على حد تعبيره - .

وبذلك طلق الصحافة ، وفارق هذه المهنة التي ألفها حيناً ، وأحبها شاباً ، وعمل لها خلال ربع قرن ، يترأس بها في أرفع الصحف العربية بدمشق

(١) في خطط الشام ٤١٩/٦ : « عهدت إليّ برئاسة تحريرها غزليته مدة » .

(٢) في خطط الشام ، بالصفحة نفسها : « وقصدت الى الأستانة للتجارة فأنفني الاتحاديون هناك » .

(٣) خطط الشام ٤٢٠/٦ .

والقاهرة ، وفي أرقى الأوساط الفكرية والأدبية ، فقد كانت له مدرسة رفيعة ، وجامعة راقية ، جمعت إلى صدور المشاركة والمقاربة ، فأفاد من مجالسهم ، وانتفع بكتاباتهم ، ولكنه رأى آخر الأمر أنها حرفة شاقة ، ورأى أن السياسة متقلبة ، فأثر أن ينصرف إلى التأليف والكتابة في المجلات العلمية <sup>(١)</sup> ، وأن يختم حياته الصحفية ، فقد أصبح صاحب رسالة فكرية مامية ، فيما يرى ، وقد جاوز الأربعين من عمره منذ سنوات .

\* \* \*

### في المجمع العلمي العربي

١٩١٨ - ١٩٥٣

في العهد النبيلي هذه الرسالة التي كان ينهض لها ويدعو إليها هي رسالة التأليف والتحقيق ، أحياها منذ تعرف إلى شيوخه الجزائري والبارك والبخاري ، وعرف تعلقهم بالقديم ونشروها ، وأكبرها حين رأى المصريين ينشرون الكتب العلمية والنصوص القديمة ، ثم عشقها حين اختلف إلى مكتبة الأمير كابتاني ومكتبات المستشرقين ، وتعلق بها حين زار المجمع العلمي الفرنسي بباريس .

ورأى أن تحقيق الكتب لا يكون في المجلات والصحف ، وإنما يجب أن تقوم بها هيئة رسمية ، أو مجمع علمي كمجامع الغرب ، فقد آن أن يعمل العرب للحفاظ على لغتهم ، بعد أن جلا العثمانيون عن سوريا ، وأشرق على البلاد فجر جديد ، وأصبحت الأمة في أعين الاستقلال ، أمراؤها من العرب وضباطها من العرب ، فيجب أن تكون معارفها عربية ، ودروسها قومية ، فلم لا يكون لسوريا مجمع علمي عربي ينقح المفردات ، وينشر المؤلفات ،

ويرسل المحاضرات ؟ وأبدى الرجل رغبته فوافق الحاكم العسكري في دمشق رضا باشا الركابي على ذلك ، في ٨ حزيران ١٩١٩ ، وانقلب « ديوان المعارف » برئيسه وأعضائه مجعاً علياً مرتبطاً بالحاكم العام مباشرة<sup>(١)</sup> ، وكانت عدد الأعضاء ثمانية<sup>(٢)</sup> .

وقام المجمع بنصيبه في تقدم العربية ونشر الثقافة ، برئاسة محمد كرد علي ، وانبرى أعضاؤه يحاضرون الجمهور في مختلف الموضوعات ، ويحققون المؤلفات ، ويسهرون على جمع المخطوطات ودراستها ووصفها . وعادت الى العادلية والظاهرية أبحاثهما القديمة ، فشهدتا من جديد علماء الشام في القرن العشرين ، يعملون كأجدادهم لإعادة التاريخ الزاهر ، والمجد الفاي ، فما يزال يرن في سمع الزمان ما وقع فيها من أبحاث خلال ستة قرون ، من القرن السابع الى القرن الثالث عشر . ففي العادلية وضع المقدمي تاريخه كتاب الروضتين ، وعمل ابن خلكان تاريخه المشهور ، ونزل ابن خلدون ، ودعا ابن مالك النحوي الى دروسه ومحاضراته . وهذا الزمان بعيد نفسه ، فقد استيقظت الأمة بعد رقاد ، وهبت بعد الاستعباد ، ونشطت من عقالمها لتشر في العالم دواوين الشعراء وكتب العلماء وآثار النحاة والفقهاء ، وقام المجمع العلمي في جدة ونشاط خلال ثلاثين عاماً ما فتر ولا ومن يطبع النقائس ويجلو عرائس الفكر .

ومرت بالبلاد ثورات وسقطت وزارات ، وقامت حكومات مختلفة ، والمجمع قائم لا يتأثر إلا بالآفة ، ولا يعمل إلا للثقافة يحاضر ويحقق وينشر ، ولسانه

(١) المذكرات ٢٧٧ .

(٢) لن نقبض في وصف المجمع العلمي هنا ، وإنما نحيل القاري المستزيد الى رسالة بالفرنسية ، ألفناها في المجمع وآثاره ومقالاته وكتبه ، يحسن الرجوع اليها ، وهي بالاشتراك مع الاستشرق الأستاذ هانري لاووست عضو المجمع العلمي بدمشق ، ونشرت سنة ١٩١٤ .

مجلة راقية تحمل الخير والنور ، منذ ثلاثين عاماً حتى اليوم <sup>(١)</sup> ، وقد ماتت صحف أدبية ، وقضت متدنيات خطافية ، وحلّت جمعيات ثقافية ، والمجمع ما يزال يبحث الإيمان بالماضي القديم ويرسل الإشعاع للمستقبل القريب .  
 وإذا كنا بسطنا القول في المجمع ، فذلك لأننا نرى فيه جهد الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ونشاطه ، فقد كان واسطة العقد وموضع الحركة <sup>(٢)</sup> ، يرسل المستشرقين وبكاتب المصريين ، في سبيل المجمع ، فكأنه قطعة من حياته ، أو كأن حياته قطعة من المجمع ، يدوي صوته فيه كل صباح ، وتنعقد حوله الحلقات ، وتتصل فيها الأحاديث والنكات ، وتبرم فيها المشاريع والقرارات .  
 ولن نسترسل فيما وقع للرئيس خلال هذه السنين ، فقد حدثنا عن ذلك في مرارة وأسى ، حين رأى منافسين وبغضين وحساداً ، من الأفراد والهيئات ، فقيهم له الزمان جناً وهشاً له أحياناً ، ولقد قال في مذكراته : « لقيت الأتالي من الحكومات السورية في هذا المجمع العلمي كأنه كان بعض ملكي » <sup>(٣)</sup> .

**في الوزارة** وقد اختير مرتين للوزارة ؛ أولاهما في ٢ أيلول ١٩٣٠ ، فزار خلالها أوروبا للمرة الثالثة ، وطاف ببلجيكا وهولاندة وانكلترا واسبانيا وألمانيا وسويسرا . وثانيتهما في ١٥ شباط ١٩٣٨ <sup>(٤)</sup> ، فسافر خلالها كذلك الى أوروبا للمرة الرابعة وطاف انكلترا وفرنسا وبلجيكا ، وقد أربى على التحسين يسافر بين العواصم ، ويتصل بالمستشرقين والعلماء ويزور المكتبات والمتاحف ، ويقض في المحاضرات والمؤتمرات <sup>(٥)</sup> .

- 
- (١) حلنا أم للقلالات التي جاءت في المجلة ، في رسالتنا الأخيرة بالفرنسية .  
 (٢) بدأ المجمع بثمانية أعضاء ، وم اليوم يبلغون التسعين : أعضاء عاملين ومراسلين .  
 (٣) للذكرات ٢٨٤ .  
 (٤) بقوله في مذكراته ١٠١٥ : إن الكتلة الوطنية أبدته فيها بعد عدة سنين عن منصبه لأنه قبل بدخول وزارة الحسني ، وقد عاد الى رئاسة المجمع سنة ١٩٤١ .  
 (٥) سافر الملامه الى مصر سنة ١٩٢٨ ، وقد اتدبه المجمع ليثله في حفلة تكريم احمد شوقي بمصر - للذكرات ٢٩٧ .



وخلال هاتين الوزارتين أَرْضَى أناساً وأغضب آخرين على عادة الحكم في ربوعنا ، فزاد في خصومه ، وهو يرى في الوزارة آنذاك راباً يثبت في مذكراته نقل بعضه : « وزارتنا وزارة متواضعة ليس لها من الروعة في الحقيقة ما لو وظيفة مأمور المركز » <sup>(١)</sup> في مصر .

وقد قام الرجل سنة ١٩٢٤ ، وهو في الخمسين من عمره تقريباً ، بتدريس الأدب العربي ، واللغة العربية نحوها وصرفها في معهد الحقوق بدمشق ، ولكنه انصرف عن التدريس لما وقع من دسائس ضده . وأنشأ خلال وزارته مدرسة الآداب العليا ، وهياً الأسباب لافتتاح كلية الآليات ، فدأل على فهم ، وسعة أفق ، وعظيم اهتمام بالجيل الصاعد .

وكان الأستاذ الرئيس <sup>(٢)</sup> حين يستريح من سفر أو ينصرف من الوزارة ، يقبل على كتبه وصحفه ، يحقق آثار السلف الصالح وينشرها ، أو يجمع منها تاريخاً لبلاده ، أو جغرافية لبعض أقاليمها ، أو يصحح ما يرسل الى المجلة ، أو ينظر فيما يقدم الى المجمع من كتب ، وما يهدي اليه من مطبوعات ، لا يقف ولا يتواني ، حتى أثقل كاهله الجدة والتأليف ، وأسقم عينيه قلب المداد ، وكل قلبه من الآثار والأسفار ، فقد أشرف على قبة من الكتب أخرجها للناس ، ومحاضرات جلاها للناشرين ، ومقالات دجها في المجلة .

وقد انتخبه المجمع اللغوي بمصر عضواً فيه ، فكان يسافر خريف كل عام ، يناقش ويحاضر ، ويؤلف ويكتب ، حتى منعه أطبائه من السفر ، فحبل بينه وبين إخوان في مصر أحبهم وأكبرهم ، رغم سعي السعاة ووشاية الواشين ، وزاد في ذلك فعوده عنهم وبعده منهم ، فتألم وتحنس ، وذكر مرثع صباه ومصنع عبقريته وجهده ، في حنين موجع وأمل بالغ .

(١) للذكرات ٤٥٤ .

(٢) كان أحب الالتاب اليه لقب الأستاذ الرئيس ، انظر للذكرات ص ٧ .

وكان قلبه خلال السنوات العشر الأخيرة - وهو يزحف الى السبعين - يتأثر بالهلة ، ويأبى أن يتحمل فوق ما حمل ، يريد أن يقف ويريد له صاحبه أن يسير في الطريق ليعمل في الثقافة والتأليف ونشر كتبه المخطوطة وإعادة ما طبعه منقحاً مزيداً فيه ، ولكن القلب أبى أن يستعمل ، فوَقَّت نبضاته يوم الخميس في ٢ نيسان ١٩٥٣ وهو في السابعة والسبعين .

وشيعته البلاد ، وبكاه الكتاب والنقاد ، وأبنته علي قبره الأديب القانوني معالي الدكتور منير العجلاني بامم المجمع العلمي العربي فقال : « انت ثمة امارتين في العالم العربي : امارة الشعر وكانت معقودة اللواء للمرحوم احمد شوقي ، وامارة العلم وكانت معقودة لفقيدنا العلامة محمد كرد علي » ، ثم قال : « إن الفقيه كان رائداً وقائداً ومعلماً ومرشداً ، وله أوليات خالدة ، فهو أول من أنشأ مجلة أو جريدة في الشام ، وهو أول من أنشأ المجامع العلمية » .

ودفن الفقيد الغالي في مقبرة الباب الصغير بجوار قبر معاوية بن أبي سفيان في دمشق التي أحبها وعمل لها ، ورفع منارتها عالياً ، وسيّر ذكرها بين الناس في القرن العشرين .

وافته المجمع العلمي العربي بدمشق ، وقد ربّاه الرئيس الراحل جنيّاً ، ورعاه خمسة وثلاثين عاماً ، لم ينقطع عنه إلاّ لأمّا ، فقد كان يته وكان كعبته .

\*\*\*

### ثقافته وأسلوبه

كاف محمد كرد علي منذ صباه بمطالعة الصحف ، وتعلّق باللغة الفرنسية في شبابه ، فنظر في الكتب الغربية ، ثم أخذ على شيوخه قراء الكتب القديمة ، وقد بسطنا ذلك من قبل . ولكتنا لم ننقص خبر هذه الكتب التي قرأها لنقف على مبلغ دراسته ومدى ثقافته ، فليست الدراسة في عدد السنين على مقاعد الدرس ، وليست الثقافة في صورة الشهادة ورتين اللقب ، وإنما هي في قراءة

الكتب الأهم التي تكون العقل ، وفي مبلغ هضمها واستساغتها والافادة منها .  
والأستاذ الراحل وصف لنا ثقافته وعدد لنا قراءاته فكفانا مؤونة الحدرس ،  
قال : « وأهم ما أولتُ بمطالعتي - بعد درس المطبوع من كتب الأدب العربي ،  
وجانب من المخطوط الذي عثرتُ عليه - كتب الفلاسفة وعلماء الاجتماع وأحوال  
الشعوب ومدنياتهم . وطالمتُ بالفرنسية أهم ما كتبه فولتير ، وروسو ، ومونتسكيو ،  
وبنتام ، وسبنسر ، وفوليه ، وتين ، ورنان ، وسيمون ، ... وتدارستُ  
المجلات الفلسفية والاجتماعية والتاريخية والأدبية باللغة الفرنسية . وجربتُ منذ  
نشأتُ على قاعدة مطردة لم أختلف عنها قيد شبر ، وهي أن أقرأ أكثر مما  
أكتب ، وقلما دوتُ موضوعاً لم أدرسه في الجملة ولم تشربه نفسي » (١) .  
ذلك ما قرأ من كتب الغرب ، نقلنا بعضه كأنموذج على سبيل المثال -  
لا الحصر والاستقصاء ، ومنه ندرك سعة أفقه ، ومسرح خياله ، فهو قد أطل  
على الفلسفة الغربية وعلم الاجتماع من خلال الكتب الفرنسية ، وزادته الرحلة  
الى الغرب فهماً واطلاعاً .

أما الكتب العربية التي قرأ فيها ، فقد ذكر جانباً منها قال : « وإني لا أزال  
أذكر ما كنت أكثر من مطالعته واستظهاره ، أيام ولوعي بالأدب من مقامات  
الحريري ، ورسائل الخوارزمي والصابي ، وتاريخ اليميني للعتبي ، والزنجشيري  
والأصفهاني ... ولما كتب لي الاطلاع على الآداب الفرنسية والتركية  
أنشأت أبحث عن كتب كتبت بلا تكلف وتعمل ، ككتابات الجاحظ  
وابن المقفع ، وعبد الحميد الكاتب ، وسهل بن هرون ، وأبي حيان التوحيدي » (٢) .  
ثم أفاض في ذلك فرسم لنا قراءاته ، يريد أن يدلنا على الطريق التي سلك  
والكتب التي تأثر بها أسلوبه وكتابته ، قال :

(١) خطط الشام ٤١٣/٦ .

(٢) مجلة للقبس ، المجلد الرابع ، سنة ١٩٠٩ ص ٥١٠ .

«إني أتلو القرآن بتدبر ، قرأته على أساليب مختلفة لتفهيمه وتمثل بلاغته ، وإني طالمتُ طرقاً صالحاً من كتب الحديث كالبخاري ومسلم وغيرهما من كتب السنة ، وحفظت المملقات السبع وطرفاً صالحاً من دواوين العرب ، وحفظت نحو نصف ديوان المتنبي ، وعدة قصائد لعمر بن أبي ربيعة ، والبحتري ، وأبي تمام ، والرضي ، وابن الرومي ، والطغرائي ، والأرجاني ، والمعرّي ، وعلي بن عبد العزيز ، وغيرهم من الشعراء المحدثين والمخضرمين .

«وتدارست الكامل للمبرد ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، والتاريخ البيهقي ، والمثل السائر لابن الأثير ، واستظهرتُ أشياء كادت تفسد علي ملكتي مثل مقامات الحريري ، ورسائل المزداني ومقاماته ، ورسائل الخوارزمي ، وبديعة النابلسي .

«وما أخرجني من تكلف النسخ على منوال المتأخرين كالفاضي الفاضل ، والصابي ، وابن الأثير ، إلا الولوع بعد حين برسائل عبد الحميد الكاتب وابن المقفع والجاحظ والتوحيد . أما ما وصل إلي مما كتبه وكتبه أمثالهم من السهل الممتنع ، فقد قرأته مرات ، ولا أزال أقرؤه» (١) .

هذا ما سجله الرجل في كتاب صدر قيل وفاته ، جعل فيه زبدة قراءاته وخلاصة أدبه ، ليشرح في وضوح إلى عزوفه عن الأسلوب المثلث وكتابة السجع ، وتعلقه بالسهل الممتنع ، وهو يقول في عمل آخر : «وعمدتُ إلى الكتابة المرسلة بدون تكلف الأشباع والازدواج» (٢) .

وقد روبنا أمثلة كثيرة من أسلوبه خلال حديثنا عنه ، نستشف منها الرقعة في الأسلوب من غير تفخيم ، والسهولة في التعبير من غير تكلف ، فهو يتحدث حديث الراوي والقاص ، ويكتب كتابة الترسل المحدث ، فلا يزاوج بين الجمل ولا يتكلف الكتابة والاستعارة والجناس والسجع ، وإنما يرسل نفسه على

(١) للذكريات ١١٩٣/٤ ، سنة ١٩٥١ .

(٢) للذكريات ٣٠٧ ،



سجيتها ، يكتب في جمل تطول حيناً وتقصّر حيناً ، تُعنى بالمعنى أكثر من اعتدادها بالمبنى حتى لنسبه الأحاديث المبسوطة والرسائل المكتوبة .  
وقد يشتط الخيال وتجمع الذكري وبنيفض الثمور ، فينشي في جمل مقتضبة وعبارات متراصة ، وذلك حين يذكر الشباب ، أو يرسم الشيخوخة ، أو يأمي للعمر ، أو يصف القوطة .

والأستاذ الرئيس قد يتخير اللفظ ويسعى له وذلك حين يكتب في تحليل الأدب فحسب ، فيؤثر بعضه على بعض . وأقرب الألفاظ الى نفسه ما وقع في كتب القدماء ، أو ما سهل على الأذن ورق على السمع ، يريد له نفسه ، ويطلبه لزملائه . وما أذكر أنه قرأ مقالة للمجلة أو بحثاً للنشر إلا أعمل قلعه في إصلاح بعض المفردات والتراكيب بما لا يروقه أو لا يستحسنه . وقد يزيد في التهذيب حتى يحذف المديح الفائض ، لا يخاف ولا يتردّد ، ولا يحسب للكاتب في ذلك حساباً مما علت مكانه وسمت مرتبته ، فهو تقاد جريء لا يخاف في اللغة لومة لائم .

وتغلب على مقالة الرئيس ومحاضراته فكرة الاستقصاء ، فيسترسل في ذكر المصادر والكتب والمؤلفين ، فكأنه يستوعب في فكره كل شيء ، أو كأنه يريد أن يذكر كل ما يعلم ، فيتدفق بفيض غزير وعلم كثير ، يعرض خلاصة ما رأى وما قرأ وما سمع .

وقد نشرت في مصر كتب اختارت من أسلوبه ، وجعلته بين « مشهوري أدباء الشرق » ، وقرنته في صعيد واحد الى العقاد ، وطه حسين ، ومطران ، ومحمد عبده ، وجمال الدين الأفغاني ، والمنفلوطي ، والرافعي ، وولي الدين بكن ، وقاسم أمين <sup>(١)</sup> . . . وروث من ثره ونثره ، فهو وحده بين جبهة المصريين يمثل الشام ، وهو وحده رفع لوايته في دولة الأدب .

(١) انظر « أشهر مشاهير أدباء الشرق » ، وضعه محمد محمد عبد الفتاح ، ونشره في مصر ، بغير تاريخ ، على جزءين اثنين - وانظر كذلك في « الأدباء الخمس » جمه اسماعيل عبد الحميد ، ونشره في مصر ١٩٢٥ .

## كتبه ودراساته

بهذا الأسلوب أنشأ الأستاذ الرئيس مكتبه ، وقد درج مع الزمن فصار صعداً ، واتبع سنة التطور . ونحن نستطيع أن نقسم آثاره الى أربعة أقسام :

أ - كتب مترجمة ومعربة .

ب - أدب المقالة .

ج - دراسات تاريخية وأدبية .

د - تحقيق الكتب .

أ - كتب مترجمة ومعربة :

كلف الشاب بالعربية والفرنسية معاً - كما قلنا - وبدأ أول الأمر بترجم روايات يرمتها عن الفرنسية ، فنشر « قبعة اليهودي ليفانت » سنة ١٨٩٤ ، ثم بعضها وأعانه في صنع قسم منها أستاذه السيد محمد المبارك وسماها « بتيمة الزمان » ، وقد تناولها بعض النقاد بكلام جازح ، نشره في الصحف . ثم ترجم في مصر « الفضيلة والريضة » تأليف (جورج أوفه) الفرنسي المعاصر ، ورواية « المحرم البريء » وذلك في سنة ١٩٠٧ ، وعرب تاريخ الحضارة لشارل سنيوبوس بمصر سنة ١٩٠٨ .

وهذه الكتب تعد في عبث الشباب ، تمرن بها على طريقة الترجمة ليفيد من اللغتين ويزيد من ثروة مفرداتها ، وقد كان المترجم لا يعتد بها ، فقال في أحدها : « ياليني نبذت رواية بتيمة الزمان في زنبيل سقط المتاع » . وقد عرب كتباً أخرى في الحرية لجول سيمون ، ونشر فصولاً منه في المؤيد بمصر ، وترجم الأسماء التركية لرؤسا باشا ثم طواه .

ولولا أمانتنا في إيراد كل ما كان لحياته لأهم لنا ما وقع من قلمه في الترجمة ، فهو نفسه يقول : « وليس لي يد في القصص التي نشرتها أول أمري لأنها مترجمة »<sup>(١)</sup> .

## ب - أدب المقالة :

نشر كاتبنا مقالاته في الصحف اليومية والأسبوعية ، بمصر والشام ، وأرسل محاضراته في مصر وسوريا والأستانة ، ثم جمع بعض ذلك <sup>(١)</sup> في كتبه ، كما فعل الكتاب المصريون المحدثون كالمقاد والمازني والزيات والرافعي وأحمد أمين ومحمد حسين هيكل ، وهو في هذا لا يختلف عنهم ولا يختلفون عنه ، فقد نبغ فيهم وعاش معهم ، وفعل مثاهم .

وقد جعل كتبه على الموضوعات ، في الرحلة أو الاجتماع ، أو حياته الخاصة ، وطبعها بالناوين التالية :

١ - غرائب الغرب <sup>(٢)</sup> ( ١٩٢٣ ) جمع فيه وصف رحلاته الثلاث الى أوروبا ، وهو طريف في أسلوبه ، يجمع المشاهدة والبيان الى القول والمصادر والوثائق . فهو يصور فيها ما رأى وما سمع وما قرأ ، في إنشاء جميل يحوي الأدب والاجتماع والتاريخ والاقتصاد ، ويشمل في أوصافه القصور والمؤسسات والجامع والمتاجر ، والأخلاق والتقاليد ، ويوازن أبدأ بين الغرب والشرق ، ينتمي لقومه خير ما يرى عند الغربيين .

٢ - القديم والحديث <sup>(٣)</sup> ( ١٩٢٥ ) : وفي هذا الكتاب مقالاته التي نشرها

في المقتطف والمقتبس والمؤيد والظاهر ، يجمع بينها حديثه عن العادات والآداب والتقاليد ، ينهل من مصادرنا القديمة وينقل عن الكتب الغربية وصحف أوروبا . وقد كان الأستاذ الرئيس يرضى عن هذا الكتاب .

(١) ما تزال بعض مقالاته ومحاضراته مخطوطة لم تطبع ، وكان ينتظر أن يمد في أجله لطبعها بنفسه ، فذكال يعلن عنها في ختام كتبه ، وهي : « للمقالات ، المحاضرات ، الكناش » وأعلن عن بعضها الآخر في خطط النام ٤٢٤/٦ وهي : « حرية الوجدان ، الحرية للدين ، الحرية السياسية مربة عن جول سيمون » .

(٢) جزءان في ٦٤٠ صفحة ، نشر بمصر سنة ١٩٢٣ .

(٣) جزء واحد في ٣٤٦ صفحة ، نشر بمصر سنة ١٩٢٥ .

٣ - أقوالنا وأفعالنا<sup>(١)</sup> (١٩٤٦) : وصف فيه الأخلاق والعادات التي تعيش بينها ، وانتقد أخطاءنا وأعرب عن سوءات عيوبنا ، ورسم لنا سبل الإصلاح . ووازن بين حاضرتنا وحاضر الغرب ، فهو صورة للشرق العربي في صدر القرن العشرين ، كتبه على شكل بحوث قصيرة ومقالات ، تنم عن خبرة وتجربة وسعة قراءة وعظيم اطلاع . ويبدو أنه فكر فيه قبل عشرين عاماً تقريباً ، فأراد له عنواناً : « أخلاق المعاصرين »<sup>(٢)</sup> .

٤ - المذكرات<sup>(٣)</sup> (١٩٤٨ - ١٩٥١) : راج أسلوب المذكرات في العصر الحاضر على غرار الآداب الغربية ، مما كتبه روسو وغيره ، فأصدر الدكتور طه حسين « الأيام » ، والملازمي رسم حياته في كثير من فصول كتبه ، وأنشأ أحمد أمين وغيره في تقليد هذا الطراز . أما الأستاذ كرد علي فقد عاش في بيئات مختلفة ، ورأى دولاً عدة وأقطاراً متباينة ، فرسم حياته وما وقع له خلال هذه الحياة في الشرق والغرب على شكل مقالات ، لا يربط بينها إلا أنها من ذاكرته . وقد تجددت فيها عن أسفاره ووزاراته ، وهجرته من الشام وموقف الحكومات التركية والفرنسية والانكليزية وعملاتها منه ، وما صنعه في سبيل بلاده ، وما يؤخذ عليه من أخطاء .

والكتاب صريح جريء يصف ما للرجل وما عليه . وهو شبيه بمذكرات الغربيين لولا أنه غير مرتب على التاريخ وليس مبوراً على الموضوعات ، فكأنه مجموعة أفكار تعرض له فيلها ويرسلها الى المطبعة . وقد فضح الكتاب أسماء كثيرة ، ومدح شخصيات عجيبة ، وغلبت عليه العاطفة ، فقد بدأ بتدوين هذه المذكرات حوالي سنة ١٩٣٨ ، ومنه قد زادت على السنين ، وذاكرته ما تزال قوية تسجل دقائق الأشياء ونفسي الألوان ، وشتيت التفاصيل والملاحظات .

(١) جزء واحد في ٤٢٧ صفحة ، نشر بمصر سنة ١٩٤٦ .

(٢) انظر خطط الشام ٤٢٤/٦ .

(٣) أربعة اجزاء في ١٣٢٠ صفحة ، نشر بدمشق سنة ١٩٤٨ - ١٩٥١ .



وقد انقسم الناس في هذه المذكرات الى محبذ ومستنكر ، لغلبة الهجوم فيها على بعض السياميين والحزبيين من رؤساء ومرؤوسين ، ولكنها تنفع المؤرخ وتفيد الباحث ، فتفصل ما أهمل تاريخه الكبير ، وتتوسع في تصوير العصر ، فكأنها تنمّ غلطة الشام ، وتاريخ لصدور القرن العشرين على أسلوب المذكرات . أما الهجاء فيذهب مع الريح ، وتبقى الصور الحقة في أمور الدولة العثمانية وأصرار الانتداب ومزايا الاستقلال ، وفي موقفه من هذه العمود جميعاً ، وقد تلخص ذلك بقوله : « ولا أمثل لما يدعوني الى معاناة ما أعاني إلا بمسألتي ، صرفت فيها جانباً من اهتمامي منذ وعيت على نفسي ، وهما الاستعمار التركي يبلاد العرب ، والاستعمار الافرنسي في بلاد الإسلام » .

وظل يكتب في المذكرات حتى أواخر أيامه ، ووعد أنه لا ينثني عنها قائلاً : « ما دمت أتمكن من مسك القلم ، وأصبر على التحديق في الخطوط التي أخطها » . وكان وفياً للوعد ما دفت له الأيام ، وكانت على أن يظهر الجزء الخامس أو السادس بهذه لو عاش لها ، ولكن العمر قصير والزمان غادر ، فسكت لسانه عن إكمال ما بدأ به ، ووقف يئانه عن كشف سائر المؤامرات التي حبكت ضده خلال حياته الطويلة .

٥ - البعثة العلمية الى دار الخلافة الإسلامية ( ١٩١٦ )<sup>(١)</sup> .

٦ - الرحلة الأنثورية الى الأمقاع الحجازية ( ١٩١٦ )<sup>(٢)</sup> .

وهذان الكتابان صورة من صور الدعاية للدولة الحاكمة ، كتب فيها الأستاذ كرد علي مقالات تملأها المناسبات الحربية ، لا ترتفع الى مستوى أدبه ، ويبدو عليها طابع خاص يرى فيه هو نفسه : « دعاية سمجة » فهذان الكتابان لا يقمان من مؤلفاته موقع الحب والاصالة .

(١) تأليف : محمد الباقر ، ومحمد كرد علي ، وحسين الحيتال ، وعبد الباسط الأنسي ،

بيروت ١٩١٦ في ٢٩٦ صفحة .

(٢) طبعة في بيروت سنة ١٩١٦ في ٣٠٠ صفحة .

## ج - دراسات تاريخية وأدبية :

أنشأ الأستاذ كتباً في الأدب والتاريخ ، تعدّ مصدراً للشادين في مطلع القرن العشرين ولا تزال وحدها دلالة على إنتاجنا في هذا الباب .

## ٧ - خطط الشام ( ١٩٢٥ ) : أراد المؤلف أن يكتب تاريخاً سياسياً ومدنياً

مطولاً للدبار الشامية على عادة المستشرقين والعلماء الغربيين ، فسافر إلى خزنة الأمير كايثاني برومة ، ولبت فيها يبحث خلال شهر كامل مدة ثلاث ساعات في الصباح ، يتزود من مصادرها حتى كانت له مادة واسعة . وسافر بعدها إلى ربوع الغرب يطوف مكباتها لاستكمال بحثه ودرسه ، حتى أُنقِى في ذلك قرابة ألف وخمسمائة ليرة عثمانية ذهباً ، وعمل له خمساً وعشرين سنة ، طالع خلالها زهاء ألف ومائتي مجلد<sup>(١)</sup> باللغات العربية والتركية والفرنسية . وقد أخرجه في ستة أجزاء واسعة .

وقد بحث في هذا الكتاب تاريخ الشام . ونظمه الاسلاميّة ، والحضارة القائمة فيه على مرّ الأزمان ، والدول التي تعاقبت على الأرض ، والحالة الأدبية والاقتصادية خلال هذه الحقبة . ولما انتهى منه تنادت لجنة من فضلاء الشام<sup>(٢)</sup> بجمع طبعه ألف ليرة عثمانية ، ونشرت منه ألفي نسخة . وقد كان وحده مصدر التاريخ في بلادنا ، فهو يحوي ما تفرق من المصادر والكتب ، ينقل عنها أحياناً نصوصاً كاملة ، وأحياناً يختصر منها ، فكانه جمع المؤرخين على صعيد واحد . وقد كلف زملاءه بالكتابة عن خطط مدنها ، وسجل لهم بدهم في ذلك فأشركهم في عمله . وما يستطيع أن يقوم فرد وحده لهذا العبء

(١) نقلنا هذا الإحصاء عن كتابه خطط الشام بقرنه . وقد بلغت الخطط ١٩٤٠ صفحة .

(٢) هذه اللجنة كانت تسمى نفسها لجنة طباع الخطط : « بدر الداءستاني ، خليل مرهم بك ، سامي المعظم ، فخري البارودي ، فوزي الغزي ، لطفي الحفار » ، وقد فتحت باب الاشتراك منذ أول أيلول ١٩٢٥ ، وكانت للنفاضة مع السيد لطفي الحفار بدمشق .

ويكتب له النجاح ، لذلك رأى النقاد أنه لم يسجل في ذيل الصفحات <sup>(١)</sup> مصادر أقواله وأحكامه ، يعين الكتاب والصفحة وسنة الطبع ، كما يفعل الغريوت ليومنا هذا ، وأغفل الفهارس والمصادر <sup>(٢)</sup> .

وفي صدر الكتاب ، وضع الرجل قائمة كبيرة لكتب عربية مخطوطة ومطبوعة ، الى قائمة كبيرة بالكتب الغربية وصحف الاستشراق ، تدل على جهد وعناية ودقة ، وتصور نشاط الرجل وسعيه خلال ثلاثين عاماً أنفقها من عمره لخطط بلاده .

وفي سنة ١٩٤٤ ، اختصر الرجل جزءاً من كتابه ، وجعله في عبارة موجزة ، وأسلوب حديث ، وعنون له : « دمشق مدينة السحر والشعر » ونشرته دار المعارف في مصر ، لسلسلة « اقرأ » <sup>(٣)</sup> .

٨ - الاسلام والحضارة العربية ( ١٩٣٤ ) <sup>(٤)</sup> : سافر الأستاذ الرئيس الى أكسفورد سنة ١٩٢٨ ، ليشل المجمع العلمي بدمشق في مؤتمر المستشرقين ، وعاد منه بآراء ومقالات عن المستشرقين ونظرتهم الى الدين الاسلامي . ثم دُعي ثانية الى مؤتمر المستشرقين بليدن ( هولندا ) سنة ١٩٣١ ، وفكر في موضوع يلقيه بالمؤتمر ، فكان أن اقترح أحد الأعضاء بدمشق أن يرد على أكاذيب بعض المستشرقين ، ودسائس المغرضين ضد الدين الاسلامي <sup>(٥)</sup> .

(١) وعدت اللجنة بأن تشرح في طبع معجم خطط الشام ، وهو يدخل في ثلاثة او اربعة مجلدات متفوعاً بالصورت ، ولكنه لم يظهر .

(٢) قرأنا في الكلمة التي ألغها الأمير مصطفى الشهابي لحفل استقباله فوضوا بمجمع اللغة العربية في مصر ، إشارة الى هذا الكتاب يقول فيها عن الأستاذ الرئيس : « وقد ذكر لي مرة أنه لم يبق له في الحياة إلا أمنية واحدة وهي أن يتاح له طبع هذا الكتاب طبعة ثانية منقحة » .

(٣) اقرأ ، في ١٥٢ صفحة ، نيسان ١٩٤٤ .

(٤) في جزئين ٣٦٣ + ٥٧٨ صفحة ، مصر ١٩٣٤ - ١٩٣٦ .

(٥) كان حلم للرحوم كرد علي أن تلتأ مجلة تنفي باللغة الفرنسية والانكليزية لبيان حقائق الإسلام - انظر للذكرات ٣٧٩ .

فتعهد الرجل بذلك ، وراح يهيئ دراسته وردّه ، وطال الأمر ، وقعد الأستاذ عن السفر الى المؤتمر لعذر طاري ، ولكنه ظل يكتب في الموضوع ، وينصّل الأمر فيه وابت على ذلك ثلاث سنين ، يعمل كل يوم ثماني ساعات حتى انتهى منه . فكان في المحاماة عن الاسلام والدود عن حياضه ، وأصبح مهية طيبة في التعريف به والدعاة له ، وبيان أغراضه وأهدافه ، وفضله على المدينة الحاضرة ، وأفضليته على غيره في نظم الحياة ، يبحث في ادارة المسلمين وحياتهم وأصاليب عيشتهم ، ويعتمد في ذلك على نصوص وآما ، وقراءات كانت له . وإذا كان للمعري أن يتأخر وأن يصف جنته ( في رسالة القفران ) ، لجعل الأستاذ الرئيس فيها ايده في هذا الميدان ، وقد غفر له ربه ، ماتقدم من ذنبه وما تأخر بفضل هذه الصفحات المشرقة ، التي تعدّ من أوسع المراجع في الحضارة الاسلامية لكاتب مسلم متبحر مخلص .

وقد سلّخت من الكتاب عدة محاضرات نشرت في مصر بعنوان : « الإدارة الاسلامية في عصر العرب » ، طبعت بنفقة السيدة قوت القلوب الدسرداشية .

٩ - أمراء البيان ( ١٩٣٧ ) <sup>(١)</sup> : كان المؤلف يكتب في صدر شبابه بمجلة

المقتبس مقالات في الأعلام عنوانها : « صدور المشاركة والمفارقة » ، ثم رأى أن ينوسع في أعلام الأدب العربي ، بعد أن وقع على كتبهم ، وطبع رسائلهم ، فأرسل دراسة واسعة عن عشرة منهم : عبد الحميد الكاتب ، عبد الله ابن المقفع ، سهل بن هرون ، عمرو بن مسعدة ، ابراهيم الصولي ، أحمد بن يوسف الكاتب ، محمد عبد الملك الزيات ، الجاحظ ، التوحيدي ، ابن العميد . وقد جاء كتابه هذا في أسلوب مشرق وعبارة بليغة ، ومنهج واضح ، فبلغ بدراسته لهؤلاء الأدباء مكاناً رفيعاً ، جعل الكتاب محل القصد في الجامعات ، وخاصة بمصر . وما يزال الى اليوم أوسع ما كتب عن هؤلاء الأعلام باللغة العربية .

(١) نشر في ٥٧٨ صفحة ، بمصر سنة ١٩٣٧ ، ولعله فُكر في جمعه قبل سنة ١٩٢٥ فجعل اسمه لي خطط الشام ٤٢٤/٦ : « امراء الانشاء » .



١٠ - كنوز الأجداد (١٩٥٠) <sup>(١)</sup> : وهذا الكتاب في الأعلام كذلك ،

ولكنه لم يقف عند المترسلين والشعراء ، وإنما تجاوزهم الى كثير من خدم الثقافة الاسلامية ، ففصل فيهم القول كما وسعه ، وتحدث عن طالت عشرته لهم واعترافه من معين أسفارهم بين رجال الاسلام . فكتب في الأشعري ، والأصهباني ، والبلوي ، والنوخي ، والبيروني ، والماوردي ، والجرجاني ، والغزالي ، والحريري وغيرهم . . . . وهم يزيدون عدداً على الخمسين ، ترجم لكل منهم في صفحات ، فجعله نواة لكتاب في تاريخ الأدب العربي ، على مفهوم يبين غربي ، وفي مقياس واسع ، وقد رتبهم على الوفيات .

وقد قدم بين هذه التراجم ترجمة مطولة لأستاذه <sup>(٢)</sup> الشيخ طاهر الجزائري ، وقد عرفه منذ صغره - كما رأينا - ، وأكبره منذ نشأته ، وسار على خطاه ، وانتفع بعلمه ، فوفاه حقه ، وأدى نحوه دينه ، وجعله في الأجداد الذين خدموا تراث الاسلام وكانوا في الأعلام ، لكن الزمن بعيد بينه وبينهم ، فتوَّج به صفحات الكتاب ، وافتتح التراجم به .

١١ - غرطة دمشق (١٩٤٩) <sup>(٣)</sup> : أحب المؤلف الغرطة حباً جما خالط

لحمه ودمه ، فقد ورث فيها قطعة من أرض «جسرين» عن أبيه - كما قلنا - سكن الى ظلها ، وارتوى بمائها ، وعاش مع أبنائها ، واختلط برجالها ، فكانها بلدة وحكومته ومجتمعه ، فيها مجلس شورها ، وفيها أسماره ونوادره ، ألقيها حتى حسب نفسه فلاحاً من فلاحها <sup>(٤)</sup> ، وشاطر أهلها عواطفهم في فرح وحزن ، فقال :

(١) نشر في ٤٣٦ صفحة ، بمصر سنة ١٩٥٠ .

(٢) لعل الأستاذ الرئيس جعل هذه الترجمة في مجلة ما كان يستزم نشره عن المحدثين لمصره كالبازجي وعبد صيد وليمور باشا ، لكن الاجل لم يفسح له في تحقيقه وهذا الكتاب سيكون عنوانه : « مكتشفات الأحناف » - انظر خطط الشام ٤٢٤/٦ وترجم الماشرين في مجلة المجمع العلمي ظل ينشر منها حتى قيل وقته .

(٣) طبع الكتاب اول مرة سنة ١٩٤٩ ، ثم أعيد سنة ١٩٥٢ بدمشق على تنقيح وزبادة .

(٤) تلك كرات ٧٤٩ .

«حزنت على الفوطي عبداً ، وفرحت له حراً ، آلمني عيوسه وتشاؤمه ، ومسرّني ضحكك واستبشاره»<sup>(١)</sup> .

عاش في الفوطة قرابة ستين سنة حتى أصبحت «أحب بقعة الى قلبه في الأرض»<sup>(٢)</sup> ، فدرس أخلاقها ، وعاداتها ، ومدنيتها ، وخبر كلامها ، ووقف على الفصح والدخيل ، والحديث والقديم من تاريخها ، فسجل ما سكت التاريخ عنه ، وأرّخ للفوطة على منهاج لطيف ، سيكون في تواريخ القرى الحافلة ، يبدئ تاريخ داريا والمزة وغيرهما . وقد كتب في عاطفة الحب ، وشوق الودود ، وإخلاص الشاعر الوفي ، والأديب البليغ ، فكسا الفوطة ثوباً من حياة ، وردّها اليها الجميل ، لما قدّمت من خير الى دمشق ، فقد أحالتها من صحراء قاحلة الى واحة ساحرة .

#### د - تحقيق الكتب :

فتمت مجلة المقتبس صدرها منذ السنة الأولى لتحقيق الكتب القديمة عن مخطوطاتنا المخبوءة ، بعنوان «صحف منسية» فنشرت كتاب الأشربة لابن زينية ، والمقامات اللزومية ، وتذكرة ابن العديم ، ورسائل كثير من البلغاء . وعينت كذلك بوصف الخزائن الخطية في الأستانة والمدينة والقاهرة ، ولا شك في أن صحة الأستاذ الشيخ طاهر الجزائري<sup>(٣)</sup> دفعت الأستاذ الرئيس الى محبة المخطوطات والعناية بها ، فعمل على تحقيقها وهو في الثلاثين من عمره ، وظلّ على ذلك حتى أسلم أنفاسه .

وقد أخرج عدداً من النفائس ، وشجع الشباب والأقران على إخراج مثلها ، واقتنى للمجمع العلمي من صورها ما يشهد له أبد الدهر ببعد النظر ، وعمق الزهم ، وسعة المعرفة .

(١) الفوطة ٢٥١ ، اقرأ ١٥١ .

(٢) مجلة المقتبس ٤٦٥/٤ .

(٣) نقل في مقدمة «حكايا الاسلام للبيهقي» ص ٩ : «وقال أستاذي السيد محمد المبارك : تصحيح الكتب القديمة أول من الاشتغال بتأليف كتب جديدة .»

١٢ - رسائل البلغاء (١٩٠٨) <sup>(١)</sup> : نشرت المقتبس - كما قلنا - أكثر

هذه الرسائل بعناية المستشرقين والشرقيين ، ثم جمعها الرجل ونشرها في مصر ، فكانت المصدر الفذ لمؤلاء البلغاء ، وما تزال . واليها يرجع الباحثون لدراسة رسائل عبد الحميد الكاتب ، وابن القارح ، والمعري ، وابن شرف القيرواني وابن قتيبة ، والوطواط ، وابن طاهر البغدادى ، وابن المدير ... وغيرهم وقد هذبت الطبعة وتفتحت عدة مرات حتى قاربت الكمال .

١٣ - سيرة أحمد بن طولون (١٩٣٩) <sup>(٢)</sup> : كتب هذه السيرة أبو محمد

عبد الله البلوي ، وفصل الأمر في حياة آل طولون ، وزاد على ما في التواريخ المتداولة ، فهو أوسعها وأهمها في هذا الباب . وكانت مخطوطة السيرة من أوراق الدشت بالظاهرية ، وهي في خط قديم ، ضعب القراءة ، لكن جهد الأستاذ الرئيس ذلل العسير ويسر النص ، فوضع آيدنا على صلات الشام ومصر للقرن الرابع الهجري كما صورها المؤلف . وفي صدر هذه السيرة مقدمة علمية لمتها الطابع النقدي ، كما عرف به الأستاذ الراحل .

١٤ - المستجد من فعلات الأجواد (١٩٤٦) <sup>(٣)</sup> : وهذا مصدر ثمين ألفه

المحسن التنوخي ، في القرن الرابع ، وضمت أخبار الكرماء في الجاهلية والإسلام ، على أدب جم ، ونكت مستفيضة ، تقف لأخبار الجاحظ في الجلاء ، وتصور الحياة الاجتماعية في العصور الإسلامية الأولى ، تصويراً لا يخلو من مغالاة وإسراف . والنسخة التي اعتمد عليها علامتنا في طبع الكتاب أخذها من الظاهرية .

١٥ - تاريخ حكماء الإسلام (١٩٤٦) <sup>(٤)</sup> : لظهير الدين البيهقي ، وهو

من أعلام القرن السادس ، جمع فيه أخبار العلماء والحكماء والأطباء ، وصور

(١) طبع أول مرة سنة ١٩٠٨ ، وثانية سنة ١٩١٣ ، وثالثة سنة ١٩٤٦ بمصر .

(٢) طبع في دمشق ١٩٣٩ ، وهو في ٤٠٠ صفحة .

(٣) طبع في منشورات المجمع العلمي بدمشق ١٩٤٦ .

(٤) طبعه المجمع العلمي في منشوراته بدمشق سنة ١٩٤٦ .

لنا عيشهم ودراساتهم ، وما أثر لهم من حكم ، وما وصل عنهم من تفكير .  
وهو مصدر هام في الفكر الاسلامي ، يترجم للرجال في إيجاز لا يتجدد بمضه في  
المطولات . ونسخة الأصل جاءت من مخطوطات بولن .

١٦ — كتاب الأشربة (١٩٤٧) <sup>(١)</sup> : لاین قتیبة ، یجمع الأدب والفقه

في لغة مشرقة ، وأخبار لطيفة ، وقد طبع الكتاب من قبل المستشرق أرتوري  
ونشره سنة ١٩٠٧ ، وأعاد علامتنا طبعه على ثلاث نسخ مخطوطة ، جاء وافياً  
بالتدقيق والتعقيق .

١٧ — البیزة (١٩٥٣) <sup>(٢)</sup> : وهذا الكتاب في الصيد وآلاته ، والحيوانات

وأضرابها ، وما قيل فيها من أدب طريف وشعر لطيف ، وقد نسب الى كشاجم  
حيناً والى بازيار العزيز بالله الفاطمي حيناً آخر ، صححه علامتنا النقيذ وكتب  
مقدمته ، وكان آخر كتبه ، انتهى بغير موته ، فقد كان يراجع فيه خلال  
مرضه الأخير ، ولعله قضى وهو يصحح كتابه ، وحشرج وهو يفكر في  
الفاظه ، فأسلم الروح وبين يديه كتاب جديد ينفع به العربية ، وعمره قد أربى  
على السابعة والسبعين أنفقها في السعي والجد من غير أن تعرف حياته معنى للراحة  
أو مغزى للاستقرار .

فكان إماماً في الصحافة ، وحجة في التحقيق ، وعلماً في الكتابة والتأليف ،  
ورئيساً جليلاً ، وزعيماً من زعماء الفكر في القرن العشرين .  
رحمه الله رحمة واسعة ، وألهم الشباب ان يقتدوا بنجده وسعيه .

\*\*\*

(١) من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق ١٩٤٧ .

(٢) طبع في المجمع العلمي بدمشق ١٩٥٣ .



## مؤلفات الأستاذ الرئيس

| السنة          | الصفحات |                                             |
|----------------|---------|---------------------------------------------|
| ١٨٩٤ مصر       |         | ١ - قصة اليهودي ليفان ( بنيمة الزمان )      |
| ١٩٠٧ مصر       | ٢٦٧     | ٢ - الفضيلة والرياسة                        |
| ١٩٠٧ مصر       | ٨٠٠     | ٣ - المحرم البري ( أربعة أجزاء )            |
| ١٩٠٨ مصر       | ٢٢٠     | ٤ - تاريخ الحضارة (شارل سنيوبوس) (جزء)      |
| ١٩٠٨ مصر       | ٥٢٢     | ٥ - رسائل البلغاء                           |
| ١٩١٠ مصر       | ٦٤٠     | ٦ - غرائب الغرب ( جزءان )                   |
| ١٩١٦ بيروت     | ٢٩٦     | ٧ - البعثة العلمية الى دار اخلاقة الاسلامية |
| ١٩١٦ بيروت     | ٣٠٠     | ٨ - الرحلة الانورية الى الأصقاع الحجازية    |
| ١٩٢٥-١٩٢٨ دمشق | ١٩٤٠    | ٩ - خطط الشام ( ستة أجزاء )                 |
| ١٩٢٥ مصر       | ٣٤٦     | ١٠ - القديم والحديث                         |
| ١٩٣٤ مصر       | ٩٤١     | ١١ - الاسلام والحضارة العربية               |
| ١٩٣٧ مصر       | ٥٧٨     | ١٢ - أمراء اليبان ( جزءان )                 |
| ١٩٣٩ دمشق      | ٤٠٠     | ١٣ - سيرة أحمد بن طولون                     |
| ١٩٤٤ مصر       | ١٥٢     | ١٤ - دمشق مدينة السحر والشعر                |
| ١٩٤٦ دمشق      | ٢٨٤     | ١٥ - الاستجداد من فعات الأجداد              |
| ١٩٤٦ دمشق      | ٢٠٤     | ١٦ - تاريخ حكماء الاسلام                    |
| ١٩٤٦ مصر       | ٤٢٧     | ١٧ - أقوالنا وأفعالنا                       |

| المفحات | السنة            |                   |
|---------|------------------|-------------------|
| ١٢٧     | دمشق ١٩٤٧        | ١٨ - الأشربة      |
| ١٣٢٠    | دمشق ١٩٤٨ - ١٩٥١ | ١٩ - المذكرات     |
| ٣٥٨     | دمشق ١٩٤٩        | ٢٠ - غوطة دمشق    |
| ٤٣٦     | دمشق ١٩٥٠        | ٢١ - كنوز الأجداد |
| ٢١٢     | دمشق ١٩٥٣        | ٢٢ - البيرة       |

( بلغ مجموع هذه الصفحات ١٠٢٥٤ تقريباً ، عدا مجلة )  
 ( المقتبس وقد صدرت في تسعة أجزاء وتبلغ ٦٤٧٦ صفحة )  
 ( وجريدة المقتبس أصدرها مع أخيه خلال سنين عدة )

الدكتور سامي الدقمان

# في اللغة أبناء علات

كما في البسر

كما يكون في العائلات البشرية بنو علات أي أولاد لأبٍ واحد ولدوا من أمهات شتى كذلك في اللغة العربية «أبناء علات» أو تقول «مشتقات علات» . نرى طائفة من الكلمات ذات وحدة في مادتها وحروفها فإذا تقبّلت عن أصل المادة التي اشتقت منها أو تولدت منها مجموعة تلك الكلمات رأيت أن ذلك الأصل تارة يكون عربياً من وضع العرب الأفعاح فولد ألفاظاً عربية فصحى وتارة يتجده من لغة الفرس مثلاً وقد ولد ألفاظاً فارسية استعربت بلسان العرب وأصبحت مع الألفاظ العربية المشاركة لها في المادة إخوة مندوحة في أسرة لغوية واحدة : متجدة الأب مختلفة الأم . ولا ينضج هذا في النفس ما لم نلّم ببعض الشواهد عليه :

— ١ —

«مرج»

مادة مرج : قد تكون أما عربية لعدة كلمات اشتقت منها أو تولدت منها ، نرى في كتب اللغة أن تلك المادة أي مادة «مرج» تدل في أصل معناها على القلق والاضطراب كما في اللسان وبازم من اضطراب الشيء وقلق فسادّه وعدم صلاحيته للانتفاع به . فكان الفساد من معاني المرج . ولا شيء من أقوال اللغويين يدل على أن «المرج» بهذا المعنى فارسي الأصل فهو إذن عربي محض ، وقد اشتق منه مشتقات عربية كثيرة :

١ - مَرَجَ الخاتم في إصبعي مَرَجًا قَلَقَ . وكذلك السهم يُقلقه الدم اللاصق به فتختل حركته ويطيش ويسقط يقال سهمٌ مَرِيجٌ . وإذا كان السهم أعوج ملتوبًا قيل فيه أيضًا سهمٌ مَرِيجٌ . ولا غرو فإن « المَرَج » يكون بمعنى الفساد كما مرّ واعوجاج السهم والتواؤه فساد فيه . وبما يدل على أن معنى الفساد في كلمة المَرَج مأخوذ من معنى القَلَق في الخاتم قول صاحب النهاية « مَرِجَ الدينُ فسد وقلقت أسبابه » . وكذا الأمر والعهد والأمانة يقال فيها مَرِجت إذا فسدت .

٢ - ومن مشتقات « المَرَج » العربي قولهم « مَرَجَ فلانٌ أمره يمرُجه » إذا ضيعه : فهو منه في قلق واضطراب . ورجل مَرِجٌ أمورُه ولا يُحكمها فهي قلقة مضطربة .

٣ - ومن سلالة « مَرَج » العربية أمرَجت الناقة فهي ممرجة إذا أَلقت ولدها قبل تكوُّنه جنينًا . فهذا من « المَرَج » العربي الذي معناه الفساد .

مادة مَرَج الفارسية : هي أمُّ أعجمية لطائفة من الكلمات العربية اشتقت منها أو تولدت منها : جاء في المخصص لابن سيده ( جزء ١٠ ص ١٢٧ ) مانصه : « وآمرُج الأرضُ المغيضةُ الواسعةُ التربة المِعشاب . وأصله فارسي . وقد جرى في كلام العرب وُصِرْف . قال العجاج - ووصف عَيْرًا وإثْنَا - « وقد رعى مَرَجَ ربيعٍ ممرَجًا » . « والمَرَج المَرِعيُّ » انتهى قول ابن سيده . والأصل الفارسي الذي عرَّب العرب منه كلمة « مَرَج » هو « مَرَغ » بفتح الميم وسكون الراء والسين المعجمة . وقد فسر شمس الدين صامی في قاموسه التركي كلمة « المَرَغ » بكلمة « چایر » التركية . وتفسر المعاجم التركية كلمة « چایر » بالمَرَج وبالمرعى . فلم يبق شك في أن « مَرَج » العربية التي معناها مَرعى الدواب معربة من « مَرَغ » الفارسية . وعربت في زمن الجاهلية . واستعملت في كلامهم كسائر ألفاظهم القحة العربية الأصل . ثم إن « مَرَج »



الفارسية هذه ولدت أولاداً ومشتقات عديدة : قال صاحب الصّاح في تفسير معنى « المَرْج » الفارسية ما نصّه « المرج الموضع الذي ترعى فيه الدواب » وزاد عليه صاحب اللسان قوله « مَرْج الدابة يرُجّها إذا أرسلها ترعى في المَرْج » . فدلّ بقوله « ترعى في المرج » على أن فعل مَرْج الذي هو بمعنى أرسل إنما اشتق من كلمة « المَرْج » الفارسية . وزاد هذا القول ثبوتاً الشيخ الفيومي المصري <sup>(١)</sup> في مصباحه : ونصه « المَرْج أرض ذات نبات ومرعى . ومَرْجَت الدابة رعت في المرج ومَرْجَتُها أنا أرسلتها ترعى في المرج » فانظر كيف أن كلمة « المرج » الفارسية دخلت في تفسير معنى فعل « مَرْج » الدابة المَرْب الذي كادوا يجمعون على أن معناه إرسالها في المرعى .

وليس هذا فقط بل إن « مَرْج » بمعنى أرسل الدابة استعمله العرب في معنى مجازي وقد جاء بهذا الحجاز الوحي الألهي : ففي التّزِيل في سورة الرحمن : « مَرْجَ البحرين يلتقيان » قال الإمام الطبري شيخ المفسرين : « يقول تعالى ذكره : مَرْج ربّ المشرقين وربّ المغربين البحرين يلتقيان : يعني بقوله مَرْجَ أرسلَ وخلق من قولهم مَرْجَ فلان دابته إذا خلّاها وتركاها » وذكر سند هذا التفسير فأوصله إلى ابن عباس . ثم انتقل الطبري إلى تفسير المراد من إرسال البحرين . فقال إن معنى إرسالها إطلاقها بجريان حتى إذا التقيا وقفت كل واحد منهما عند حدود برزخه فلا يبغي أو يطغى على الآخر » . فمَرْجَ

(١) قال بعض الاخوان ان الفيومي صاحب المصباح ليس مصرياً وإنما هو عراقي . والفيوم التي نسب اليها هي مدينة في العراق مسماة باسم الفيوم المصرية : جاء في معجم البلدان عند ذكر فيوم العراق ما حاصله : طاح أهرابي « أي مثل في البلاد » فرض فتمدد الفيوم للاستشفاء فوصفوا له دهن البنفسج فقال :  
« عجبت لبطار أمانا يسومنا بدسكرة الفيوم دهن البنفسج »  
« فوبحك يا بطار هلا أتيتنا بفضت خزاي أو بخوصة هرفج »  
يريد انه إنما يشفيه عقاقير بلده لا دهن البنفسج « البنفش » الفارسي .

البحرين في الآية بمعنى أرسل . وهذا إرسال مجازي . أما الإرسال الحقيقي ففي إرسال الدابة طلبه في المرعى كما لا يخفى .  
فقد تحصل معنا أن كلمة «مرج» التي معناها المرعى فارسية الأصل وأن من أولادها اللواتي اشتقت منها «مرج الدابة» إذا أرسلها في المرج لترعى و«مرج البحرين» أرسلها تعالى فيلتقيان ولا ينفيان . على أن اللسان يقول أيضاً: «والمرج الخلط» و«مرج الله» البحرين خلطهما حتى التقيا» فيكون للمرج في الآية معنى غير الإرسال . لكنه مأخوذ أيضاً من الأصل الفارسي أعني اختلاط الدواب في المرعى .

٢ - ومن مشتقات «مرج» الفارسية قول العرب «مرج الناس» إذا اختلطوا اختلاط الدواب التي تختلج في المرعى فتسرح حيث شاءت .  
٣ - ومنها «رجل مرّاج» قال صاحب اللسان : معناه أنه يزيد في الحديث . وهذه الزيادة خلط بين شيئين : فلا جرم أن يكون «مرّاج» هذا من «مرج» الفارسية التي تختلط فيها دواب الرعاة في المرعى . ويقولون أيضاً فلان مرّاج مرّاج أي كذاب <sup>(١)</sup> .

### مشتقات أخرى

يحتمل أن تكون من نتاج «مرج» العربية

أو «مرج» الفارسية

١ - مرّج الأمر مرّجاً اختلط والتبس على الناس فلم يعرفوا يعرفون وجه الصواب فيه «فهم في أمر مرّج» كما في التنزيل . ويقال «غصن مرّج» ملتوي مثبك قد التبت شناعيه . وبلازم من التباسه على هذا الشكل فادّه وعدم الانتفاع به . فالمرج بهذا المعنى مأخوذ من الأصل العربي الذي هو بمعنى

(١) وهنا يصح السؤال عما إذا كانت كلمة «مرّاج» تصلح أن تقوم مقام كلمة شارلاتان (charlatan) الفرنسية أولاً ؟

«القلق والاضطراب» . أو يقال هو من الأصل الفارسي الذي معناه «تخلية الدواب في المرج مختلطة تسرح كيفما شاءت» إذ أن التباس الأمر واختلاط وجهات النظر فيه يشبه اختلاط الدواب في المرعى وتسربها أنى شاءت : فلا يعود النظر يقدر على تعيين وجهة كل منها ، أو أن الرعاة لا يكادون يميزون بين دوابهم بعضها من بعض : ففعل «مَرَجَ الأمر» بمعنى التبس واشتبه يحتمل أن يكون متولداً من الأصل العربي بمعنى الفساد والقلق ، أو من الأصل الفارسي وهو اختلاط الدواب في المرعى .

٢ - «المرج» بمعنى الفتنة يحتمل أن تكون من مَرَجَ الدواب في المرعى مختلطة تفعل ما تشاء ويذهب كل منها أنى شاء لا راعي لها ينظم حركاتها كما يحتمل أن تكون من قلق الخاتم في الإصبع واضطرابه . وكذلك الناس في الفتنة مضطربون في أعمالهم فلقون في معاشهم ومشاكل حياتهم .

٣ - «مارج من نار» يحتمل أن يكون من «مَرَجَ» العربية بمعنى القلق والاضطراب : فقد فسروا المارج بالشمعة الساطعة ذات اللهب الشديد «فهي دائماً في قلق وارتعاش بالطبع» - ويحتمل أن تكون من «مَرَجَ» الفارسية بمعنى المرعى الذي تختلط فيه الدواب . وكذلك المارج الذي قيل في تفسيره أيضاً «مارج النار لها المختلط بسوادها» كما في اللسان ، فالمارج يختلط فيه النور بالدخان كما تختلط الدواب في المرعى .

\*  
\*\*

وكأنني بقائل يقول : إذا صح ما نقل عن ابن سيده من أن كلمة «مرج» فارسية الأصل وقد عربها العرب وصح من جهة أخرى أن هناك كلمات من مادتها لم تجعل مشتقة من هذه الأم الفارسية بل من أم عربية - فلماذا هذا الجعل والتفريق مادما نرى في هذه الكلمات المنسوبة إلى الأم العربية معنى

الاختلاط والفساد الموجود في الأم الفارسية نفسها أعني كلمة «المرج» : فمعاني الكلمات التي «ظن» أنها عربية ترجعها كلها الى معنى القلق والاضطراب والفساد . وما الفرق بين هذه المعاني وبين معنى اختلاط الدواب في المرعى . فالمعقول « ما دام لا يوجد لعلماء اللغة رأي صريح في المسألة » أن تكون مادة «م ر ج» فارسية محضة ويرجع معناها الفارسي الى المرعى واختلاط الدواب فيه . ثم تفرعت من تلك المادة الأعجمية الواحدة مشتقات : عربية الأب فارسية الأم وقد حملت معاني منها الحقيقي ومنها المجازي وترجع كلها الى المعنى المستفاد من الأصل الفارسي . ونحن لا نوافق القائل على قوله هذا من إرجاع معاني «المرج» كلها الى الأصل الفارسي وحده : لأن علماء اللغة الذين صرحوا بأن «المرج» بمعنى المرعى فارسي هو ومشتقاته لم يصرحوا كذلك في «المرج» ذي المعاني الأخرى : فهذا صاحب اللسان يقول «وأصل المرج القلق» فكيف نقول بعد هذا النص وبعد تصريحه بكلمة «أصل» أن معنى القلق يرجع الى معنى «المرج» الفارسي وهو المرعى ؟ إذن نبقى على رأينا من أن ألفاظ هذه الأسرة اللغوية بعضها يرجع الى أم عربية ، وبعضها يرجع الى أمة فارسية ، وبعضها اشتبهت نسبته والنسب طينته فيبقى مجهول النسب .

## - ٢ -

### «الزر»

مادة «زر» عربية . ولها مشتقات ذات معانٍ مختلفة مسرودة في معاجم اللغة تؤلف أسرة واحدة ، وقد تجلّ مشتقات هذه الأسرة لفظ غريب عن الأسرة لا شبهة في عجمته أو فارسيته ، وقد اشتق من هذا اللفظ الفارسي مشتقات . وبذلك أصبحت مجموعة مشتقات مادة «ب زر» أبناء عللات : منها ما يرجع الى أم عربية ، ومنها ما يرجع الى «أم ولد» فارسية .



«الأصل العربي أو الأم العربية» : قال ابن سيده «البِزْر» بفتح الباء وكسرها كل حبٍ يُبْزَر للنبات . واستعمل مجازاً في الأولاد . يقال ما أكثر بَزْر فلان . والمبزور هو الرجل الكثير الولد . والبزراء المرأة الكثيرة الولد . اهـ وفي الحجاز اليوم يسمون الأولاد «بزورة» .

٢- ومن أولاد الأم العربية كلمة البَزْر بمعنى الخاط . وبَزْر فلان يبزر اذا امتخط .

٣- ومنها «البِزْر» بكسر الباء وفتحها والكسر أشهر - التَّابِل وهو «ما يؤكل مع الطعام لطبع شهوته» وجمعه أَبْزَار وأَبَازِير ، وإلى هذا البزر ينسب «سوق البزورية» وهو أشهر أسواق دمشق في بيع الأَبَازِير كالحمزاوي في القاهرة .

٤- ومن مواليد مادة «بزر» العربية بَزْرَاء بالعصا إذا ضرب به بها . والعصا نفسها تسمى البَيْزَارَة والبَيْزَر والمِبْزَر . هذا اسم العصا بشرط أن تكون عظيمة ضخمة . ومنه قول القائل (ض) في وصف وقعة الجمل : «ما شَبَّهْتُ وقع السيوف على الهام إلا بوقع البَبَّازِير على المواجن» : فالبيازر العصي الضخام . أما «المواجن» فجمع مِجْنَة وهي عصا الفصَّار أو مُدَقِّقته أعني خشبته التي يدقُّ بها أو تقول بَبْزُرُها الثوب في الماء لينظف ، وتسمى المِيقعة أيضاً . كما ان المِيقعة والمِطْطَل تستعملان في مطرقة الحداد .

ولي هنا إشكال لم أمتد إلى حله إلا بصعوبة ذلك انهم قالوا : البيازر هي العصي الضخام التي نتخذ مداقاً للقصارين ومثلها المواجن : فكيف ينظف الثوب بدقه بين عصوين ؟ فلم يبق إلا أن يقال ان البيازر يُدَقُّ بها الثوب المبلول الذي يكون ملقى على عصا أخرى وتكون العصا الأخرى عريضة صلبة وهي المِجْنَة : فالمِجْنَة تارةً يُخَبَط بها وتارةً يُخَبَط عليها . أما البَيْزَارَة فهي التي يُخَبَط بها لا عليها :

٥ - قالوا ومن مشتقات «بزر» العربية ما جاء في حديث أبي هريرة :  
 « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً ينتعلون الشعر وهم البازر » والبازر بتقديم  
 الزاي على الراء ناحية في بلاد فارس : فقله في الحديث وهم البازر يعني أهل  
 البازر قيل هم الأكراذ ٥ . لكن التحقيق أن البازر بتقديم الزاي على الراء  
 تحريف . وأن صوابه « البارز » بتقديم الراء على الزاي ، وهذه الزاي 'تقلب'  
 أحياناً سيناً فتصبح « پارس » وپارس اسم بلاد فارس . وبالسين ينطقها أهل  
 تلك البلاد بلفظهم اليوم كما لا يخفى كما ينطقها الفرنسيون پارس بلفظهم ،  
 وقال لي صديق إيراني فاضل وهو محمد محيط الطباطبائي ان في هذه الناحية  
 « التي سماها الحديث ( بارز ) وهي بقرب كرمان » بلداً ما زال يسمى باريز الى  
 أيامنا هذه .

« الأصل الفارسي » أو الأم الفارسية التي استولدها العرب أولاداً اندمجوا  
 في أسرة « بزر » العربية - كلمة « البَيْرَزَة » وهي مهنة تربية جوارح الطير  
 كالباز والشاهين والصقر . ويكون صاحبها عادة في خدمة الملوك والأمراء  
 ويسمى « البازيار » و « البازدار » . وكلنا الأداتين : « يار » و « دار »  
 فارسية تفيد معنى صاحب الشيء الملازم له والقيم عليه والمولع به ، ومن هنا جاءت  
 « يار » بمعنى العشق : فشر يار صاحب البلاد وهو الملك . و« يار » صاحب الجنة  
 وهو المخطوظ السعيد في حاله وماله . و« يار » صاحب السجق و« يار » صاحب  
 البيرق وهو الراية . وهكذا يقال في معنى « بازدار » و « بازيار » صاحب  
 الباز وحامله في الصيد والمتولي أمره . وقد اشتقوا من الأولى مصدراً فقالوا  
 « البزدره » وهي مهنة . وكذلك اشتقوا من البازيار « البزيرة » بتقديم الزاي ،  
 لكن العرب لم يبقوا على المصدر الأخير أعني « البزيرة » بل تصرفوا فيه بعد

تعريبه<sup>(١)</sup> ، فقدموا الياء على الزاي وقالوا « البيزرة » كأنه مصدر « البازار » ولم نسمعهم يقولون « البازار » بتقديم الياء وإنما يقولون « البازيار » لفظاً فارسياً مركباً من « الباز » و « يار » كما مر . و « يار » كما قلنا فارسية البتة ، أما « الباز » اسماً للطائر فظاهر أقوال علماء اللغة العربية أنه عربي كالبازي بالياء في آخره . ولم أرَ من صرح بعجمة الباز ، اللهم إلا شمس الدين سامي في « قاموسه » فقد قال أن الباز فارسي . والعرب وإن قالوا أن « الباز » عربي فاتهم بعد تركيبه مع « يار » في « البازيار » يقولون عنها - أي عن البازيار - أنها أعجمية . هذا الشيخ الأزهرى أقدم اللغويين يقول في كتابه « تهذيب اللغة » كما نقله عنه صاحب التاج « والبِيزَار الذي يحمل الباز ويقال فيه البازيار كلاهما دخيلان » فهذا صريح بأن « البِيزَار » الذي هو مقلوب « البازيار » وبدلان على صاحب الباز - يعتبرهما علماء العربية من معربات اللغة ومن الدخيل فيها .

فحصل معنا أن في مادة « يز » أصلين أو اثنين إحداهما عربية بمعنى الضرب ومنه اشتق فعل « يَزَز » أي خَرَبَ ، وكلمة « البِيزَارَة » أي العصا التي تخطب بها الثياب لتنظيفها . والآخرى كلمة « بازيار » الفارسية بمعنى صاحب الباز . وقد استولدها العرب ولداً وهو « بِيزَار » بمعنى مربى الباز . وجعلوا من

(١) ولعل السر في ذلك أن صيغة « النبعة » في كلام العرب مصدراً هو الشايح للمستعمل أما « النبعة » فلم يسمع أو هو قليل جداً . ويشبه هذا ما قاله « ابن فارس » في كتابه المسمى « كتاب النبروز » فإنه سئل عن كلمة « النبروز » هل هي عربية وما وزنها ، فنكتب كتابه هذا وضمه الألفاظ التي جاءت على وزن « نبروز » كيروت وبيتور الخ ، وقال في المقدمة ما نصه : « ولتلم أن هذا الاسم - أي نبروز - معرب ومنه اليوم الجديد وهو قولهم نوروز . إلا أن النبروز أشبه بأبليّة العرب لأنه على مثال قِيَمُول الخ » ويقول هنا أي في « بِيَزْرَة » التي قدمت فيها الياء أن صيغتها وبناءها أشبه بأبليّة العرب من بِيَزْرَة لأنه على مثال قِيَمُول كقِيَمُولَة وكقِيَمِيلَة وكقِيَمِيلَة الخ .

البيزار مصدرًا وهو البيزرة ، ومنها « كتاب البيزرة » ، يَدَّ أن الأصل العربي أمٌ ولود ثور لها الكثير من الأولاد . أما الأصل الفارسي فأُمٌ مقالاتٌ نزور . لم تلد إلا التزر القليل .

### - ٣ -

#### « عسكر »

هذا اللفظ أو هذه المادة « ع س ك ر » عرّفها العرب في أصل لغتهم . واستعملوها في معاني خاصة . ثم عادوا فعرفوها من طريق اللغة الفارسية عندما سمعوا الفرس يقولون « لشكر » أي الجيش المحارب فاقبسوا لشكر منهم وعربوها . « عسكر العربية ومشتقاتها » قال صاحب اللسان : العسكرة الشدة والجذب . ثم استشهد على كونها بمعنى الشدة بقول طرفة بن العبد « ظلُّ في عسكرة من حبها » أي ظلُّ ذلك الحب في شدة من حب محبوبته . وقال آخر : « عساكر تغشى النفس : حتى كأنتي أخو عسكرة دارت بهامته الخمر » وإذا قالوا عساكر الهم أرادوا مراكب بعضه بعضاً وتتابع من الهم . ومن معاني العسكر العربية قولهم عسكركم الليل يعنون ظلمته . ولا يخفى ما بين الشدة والظلمة من التشابه والتناسب . فكلاهما من معاني العسكرة العربية التي لا نزاع في « عربيتها بين علماء اللغة » .

« عسكر الفارسية ومشتقاتها » قال في اللسان عطفًا على العسكرة العربية التي فسرناها بالشدة مانصه « والعسكر الجمع فارسي » ويعني بالجمع الجماعة من الناس . ولما كان الجيش المحارب جمعًا سموه عسكراً . لكن « عسكر » هذه المعربة لم تبق على ما كان يلفظها الفرس بلغتهم . فان العسكر بلغتهم « لشكر » باللام فعربها العرب إلى « عسكر » بقلب لامها عينًا وأدجوها في لغتهم العربية واشتقوا منها مشتقات أكثر مما اشتقوا من « عسرتها » العربية بل قد توسعوا



في عسكر الفارسية الى أبعد حد : فسموا الجمع من الرجال عسكراً وكذا الجمع من الخيل والكلاب . وإذا كان للرجل مال وقَمَمَ سموا جمع ماله وتَصَمَّه عسكراً ، حتى قال شاعرهم :

« هل لك في أجرٍ عظيمٍ تَوَجَّرَه      تُعِينُ مسكيناً قليلاً عسكره ،  
أي إنه لا يملك مالاً ولا أنعاماً ولا ماشية : فهو قليل العسكر ، كل ذلك من حسن تصرفهم في تلك اللفظة الفارسية التي تبذروها ، وانتفعوا بما استولدوه من بزورها ، وكما اشتقوا من « أندازه » الفارسية بمعنى المقياس فعل « هندَسَ يهندس هندسة » اشتقوا من عسكر الفارسية فعل عسكروا <sup>(١)</sup> بالمكان اذا تجمعوا فيه . فهم معسكرون . والموضع ينزل فيه العسكر يسمى معسكراً بفتح الكاف .

وهنا ينبغي لنا القائل الذي سبق أن اعترض على رأينا في مادة « مرج » والفرقة بين عربيتهما وفارسيتهما فيقول : لا يوجد « عسكر » في أصل اللغة العربية وإنما هي - أي عسكر - كلمة فارسية فقط ، وقد عربيها العرب فاستعملوها في معناها الفارسي وهو الجمع والجماعة والجيش . ثم تصرفوا فيها وتجاوزوا ما شاءوا وشاء استبدادهم : فاستعملوها بمعنى الشدة وجعلوا للشدائد والمحموم والظلمات عساكر وجيوشاً تتلاحق على التجوُّز . فليست هذه المعاني أي الشدائد والمحموم والظلمات - لكلمة « عسكر » العربية التي زعمتموها ولا وجود لها وإنما هي من المعاني المجازية لعسكر الفارسية : فالعسكر كالمرج ككناهما فارسيان عربيهما العرب واستعملوهما في معانٍ حقيقية ومعانٍ مجازية .

(١) ولعل في هذا للمعنى جاء قوله الشاعر :

« كأن خزامى بالقوَيْن مسكرت      بها الريح وانهكت عليها ذراها »  
« أضينها برداً مليكة إذ غدت      وقربَّ للبين المشت ركابها »  
أقول : إن البيتين في كتاب « النبات » للدينوري وهما أيضاً في معجم البلدان ٦٩٩/٣  
فمعنى « مسكرت » فيها أن الريح أقامت وتناوبت وكثرت هبوبها على تلك الخزامى  
فيكون ذلك أطيب لها ، وأورد بالنهاء عليها « وذراها بها » جم ذمبة أي أمطارها الغزيرة .

هذا ما يقوله القائل وهو اجتهد في اللغة لا تُقرُّه عليه ، وإنما الصواب الذي  
ييل إليه القلب . هو الوقوف عند حدود ما قال علماء اللغة الثقات من أن « المرج »  
بمعنى المرعى فارسيٌّ معرب وما سواه أطلقوا فيه انقول فيكون عربياً . وكذلك  
العسكر بمعنى الجند والجماعة من الناس فارسيٌّ معرب . وما سواه من المعاني  
التي ذكروها للعسكر العربي فهي معاني عربية .

وما ذكرناه من المواد « مرج ، يزر ، عسكر » إنما هو مثال لما سميناه  
« أبناء العلاآت في اللغة » والآن في مواد كلمات اللغة أشباه ونظائر لما ذكرنا  
تكاد لا تعد ولا تحصى . والفطن لا يعدم الانتباه الى أمثالها : كلمة  
« سُكَّر » فهي معربة من « سُكَّر » الفارسية التي لها أبناء ومشتقات .  
وهناك « سَكَّر » العربية وأصل معناها في اللغة « السَّدَّ » ولها أبناء ومشتقات أيضاً .  
فالفريقان من مشتقات « سُكَّر » الفارسية و « سَكَّر » العربية يؤلفان  
أسرة أو عائلة لغوية واحدة كلماؤها أبناء علاآت وهكذا وهكذا .

\*\*\*

### « اسرراك »

على كلمة « المرج » أعربية هي أم أعجمية ؟

قال بعض الفضلاء وقد ارتاب في عجمة المرج : « نحن نطل على عجمتها  
الى أن تظهر حجة جديدة على عروبتها . وليس النقل عن « ابن سيده » والذي  
يحيي لنا أن تنزل عما ورثناه وألفناه . »

وقال آخر : « إن ابن سيده أندلسي ولا اتصال بين الأندلس وشعبها  
وبين فارس وشعبها حتى يتقارضا الألفاظ . »

وقال ثالث : « ليس النزاع في كون المرج معربة أو لا وإنما النزاع في

أن يكون تعريبها عن اللغة الفارسية ومن المستبعد أن يُقبل قول (ابن سيده) في فارسيته .

أقول: إن بحثي السابق لم يكن في إثبات كون المرج من أصل فارسي أو أصل عربي ، ولا في مناقشة اللغويين في الألفاظ المعربة ، وإنما هو كما يعرف من عنوانه حول أبناء العائلات في الأمر اللغوية كما في البشر . وجاءت كلمة المرج مثلاً في ذلك . وعزوتُ عجمتها إلى الجزء والصفحة من مخصص ابن سيده . ولعمري إنه لم يسؤني التشكيك في عجمتها بل ربما كنت أتمنى أن تقوم الأدلة على عروبته وعروبة جميع معربات اللغة . ولكن لابن سيده ومخصصه في نفسي منزلة أعتقد معها أن مثل هذا الرجل الثقة الثابت لا يجرؤ على دعوى فارسية المرج . ومثله لا ينشأ على اللغة ، وهو عزيتُها المَرَجَب . وجئنا بها المحكك . لذلك كله أفق مع المعارضين موقف الخالف لهم . المستضعف لأدلتهم . ولما أردت أن أناقشهم في دعواهم كان أول ما امتدت يدي إليه كتاب « المعرب » للجواليقي فإذا هو بقول في صفحة ( ٣١٠ ) طبع دار الكتب المصرية المحققة بقلم الأستاذ أحمد محمد شاكر مانصه : « والمرج فارسي معرب قال الليث : المرج أرض واسعة فيها نبت كثير تخرج فيها الدواب . وجمعها مروج وأنشد :  
« رعى بها مرج ربيع ممرجا » انتهى

فأصبح في الكف نصان على عجمة المرج وكونها من أصل فارسي : أحدهما لابن سيده ، والآخر للجواليقي .

وقد وقع الشك في قول ابن سيده لأندلسيته وبعده عن بلاد الفرس ومجالسهم أما الجواليقي فأمره على العكس . ولم نعثر على قول في عروبة « المرج » سوى ما قرأناه في « شفاء الغليل » للخفاجي : فقد أشار إلى الأمرين عجمته وعروبته . وهذا نصه « مَرَج : قيل هو معرب أو هو عربي . وهو ما تخرج الدواب فيه »

ف قوله « أو هو عربي » يمتثل أن يكون جاء به من عند نفسه ، كما يمتثل أن يكون قوله بعروبه منقولاً عن غيره . على أن ذكر الخفاجي للمرج في كتابه الخاص بالمعربات يشير من طرف خفي إلى أنه يرجح عجمته ولذا عدّه في « المعربات » . وقد استغفنا من « الخفاجي » خلاف ما كنا نعتقد من أن عروبة المرج لم يصرح بها أحد ، فقد صرح بها ولكن المصريح - أعني الخفاجي - متأخر أعني من رجال القرن الحادي عشر للهجرة بيننا « ابن سيده » و « الجواليقي » كلاهما عاش في الخامس والسادس للهجرة <sup>(١)</sup> وقدّمنا في اللغة أرسخ من قدّمه كما أن قدّمهما أصلح الاحتجاج من قدّمه . وقالوا في ترجمة الجواليقي كما في ابن خلكان إنه كان مندبنا ثقة كثير الضبط ، بكثير من قول « لا أدري » وأنه كان من مفاخر بغداد . ومثله ما جاء في بغية الوعاة : « أنه كان مثبّثاً صدوقاً لا يقول الشيء إلا بعد التحقيق » .

وابن سيده إن شك المشككون في الاعتداد بقوله لبُعده عن بلاد فارس واستبعاد مثافتة أهلها ومعاشرتهم والأخذ عنهم - فإن « الجواليقي » الذي قال - « إن المرج فارسي معرب » قد أجمع المترجمون له على أنه عاش في بغداد جارة فارس ، لا بل تكاد - بما توطئنا من أبناء فارس - تعدّ وسطاً فارسياً ، وناهيكم البرامكة وأبيّتهم ومجالس الأدب في قصورهم . وقد أخذ الجواليقي اللغة والأدب عن أئمة زمنه . وأشهرهم « ابن الخطيب التبريزي » شارح الحماسة وتليذ المعري : فالجواليقي عاش عمراً مع التبريزي الفارسي ، وخلفه في تدريس اللغة والأدب في المدرسة النظامية ، والأرجح أن عجمة « المرج » إنما اقتبسها الجواليقي

(١) توفي ابن سيده سنة ٤٥٨ هـ والجواليقي سنة ٥٤٠ هـ وولادته كانت سنة ٤٦٥ هـ

وتوفي الخفاجي سنة ١٠٦٩ هـ .



منه - أي من التبريزي - : فقد قال مترجموه إنه « أي الجواليقي » روى عن التبريزي في كتابه « المعرب » مراراً .

هذا نموذج من عشرهم الجواليقي من أساتيد الفرس أما من عشرهم من تلاميذه الفارسيين فأشهرهم أبو سعد السمعاني المروزي صاحب كتاب الأنساب . وقد توفي في « مرو » من بلاد فارس بعد أن قضى زمناً في بغداد يتلقى اللغة والأدب عن أستاذه الجواليقي مع تلاميذه الآخرين الذين منهم ابن الجوزي وابن الأنباري وغيرهما . فإذا كان المشككين في فارسية المرج مصدر أو حجة وراء ذلك له اتصال بفارس وأهلها ولغتها فخبرهم وحسبنا هذا الجواليقي وكتاب « المعرب » الذي قال فيه الفائلون : « إنه لم يعمل في جنسه أكبر منه » .

المغربي

فهرست مؤلفات

## محيي الدين ابن عربي

( ٥٦٠ - ٦٣٨ هـ )

بفلمه

عني بتحقيقه

كور كيس عواد

- ٤ -

المستدرک

- ١ - آداب القوم <sup>(١)</sup> .
- ٢ - الإجابة على أسئلة الترمذي <sup>(٢)</sup> .
- ٣ - إجازة كتبها للسلطان الملك المظفر بهاء الدين غازي بن الملك العادل <sup>(٣)</sup> :  
ذكر فيها طائفة كبيرة من مؤلفاته ، وما روى عن أشياخه ، وما له  
من ثمر ونظم .
- ٤ - الأجوبة على مسائل شمس الدين اسماعيل بن سودكين النوري بحلب  
عن أعلى المراتب التي انتهى إليها همم الرجال <sup>(٤)</sup> .

---

(١) الأزهري ٣ : ٥٢٧ .  
(٢) الأزهري ٣ : ٥٣٠ . الاسكندرية : تصوف ٣٤ . وفي برهنة كهام ( الرقم ٦٨٧ ) :  
« الجواب للاستقيم عما سأل عنه الترمذي الحكيم » .  
(٣) برلين ٢٩٩٢ <sup>(٤)</sup> .  
(٤) جون ريلندز ١٠٦ <sup>(٥)</sup> . تذكرة النوادر ٣٦٧ .

- ٥ — الأجوبة اللائقة عن الأسئلة الفائقة <sup>(١)</sup> .
- ٦ — الأحاديث القدسية <sup>(٢)</sup> .
- ٧ — أسرار الحروف <sup>(٣)</sup> .
- ٨ — أسرار الخلوة <sup>(٤)</sup> .
- ٩ — أسرار الذات <sup>(٥)</sup> .
- ١٠ — أسرار الوحي في المعراج <sup>(٦)</sup> .
- ١١ — أسرار الوضوء <sup>(٧)</sup> .
- ١٢ — أسفار في سفر نوح <sup>(٨)</sup> .
- ١٣ — الاصطلاحات الصوفية <sup>(٩)</sup> .
- ١٤ — أصول المتقول <sup>(١٠)</sup> .

- (١) الأزهر ٣ : ٥٣٠ . آصفية : تصوف ١٩ (٤) ٨٩ (٢) . فينة ١٩١٠ .
- للاكتب الهندي ٦٥٩ .
- (٢) طبعت في القاهرة « ٣٥ ص » . ومنها نسخ خطية في غوطا ٣ (٥) ٥٦٤ (٢) .
- برمنكهام ٦٤٩ . وفي كشف الظنون ( ٣ : ٥١٩ ) : « الرياض الفردوسية في الأحاديث القدسية » فلعلها هي .
- (٣) للتحف البريطاني ٧٥٤ (٤) . وفي خزانة دار الفنون ( استانبول ) ١٦ « رسالة في سر الحروف » : فلعلها هي .
- (٤) بانكيبور ٨٨٤ .
- (٥) عقود الجوهر . ص ٣٣ .
- (٦) عقود الجوهر . ص ٣٣ .
- (٧) دار الكتب ١ : ٢٦٦ .
- (٨) غوطا ٢ ، Pers .
- (٩) نشرها فلوجل في آخر كتاب « التمرينات » لجرجاني ( ليسك ١٨٤٥ .
- ص ٢٨٢ - ٢٩٨ ) . ومنها نسخ خطية في : الأوقاف بغداد ٤٨٨٧ (٧) .
- خزانة المزاوي بغداد . الخزانة القلدرية بغداد . بانكيبور ٨٨٦ . الأزهر
- ٣ : ٥٦٨ (نسختان) . دار الكتب ١ : ٢٦٧ . ليدن ٣٠ آياسوفيا ٢٠٤٨ (٢)
- مكتبة الشهيد الرضوي ١٠٩١٤ الرقم ٥١٢ . نافذ ٣٨٤ ، ٦٣٢ . عمومية
- ٣٧٥٠ . باتا ٢ : ٤١٢ . المكتب الهندي ٦٥٧ (٧) . الفاتيكان ٥ : ٢٩٦ .
- (١٠) عقود الجوهر . ص ٣٠ .

- ١٥ - الإعلام فيما بُني عليه الإسلام<sup>(١)</sup> .
- ١٦ - الإفادة بان أراد الاستفادة<sup>(٢)</sup> .
- ١٧ - الإفاضة في علم الرياضة<sup>(٣)</sup> .
- ١٨ - الإمام المبين الذي لا يدخله ريب ولا تخمين<sup>(٤)</sup> .
- ١٩ - الانتصار<sup>(٥)</sup> .
- ٢٠ - انخراق الجنود الى الجلود وانفلاق الشهود الى السجود<sup>(٦)</sup> .
- ٢١ - إنشاء الجسوم الانسانية<sup>(٧)</sup> .
- ٢٢ - إنشاء الدوائر الاحاطية على الدقائق على مضاهاة الانسان للخالق والخلائق<sup>(٨)</sup> .
- ٢٣ - الأنوار<sup>(٩)</sup> « رسالة » .
- ٢٤ - أوراد الأسبوع<sup>(١٠)</sup> .
- ٢٥ - أوراد الأيام والليالي<sup>(١١)</sup> .
- ٢٦ - بحر الشكر في نهر الفكر<sup>(١٢)</sup> .

- (١) برلين ٢٩٤٣ .
- (٢) برلين ٢٩٣٧ .
- (٣) أباصوفيا ٢١٦٠ (٤) Ritter .
- (٤) دار الكتب ١ : ٢٦٨ . للتحف البريطاني ١٣٧١ (١) . برمنكهام ١٧٦٦ .
- (٥) تذكرة النوادر ٣٥٦ .
- (٦) للتحف العراقي ٥٩٧ (٣) وهي بخط المؤلف .
- (٧) الاسكوريال ٢ : ٥٣٠ (٣) .
- (٨) الخالدية بالقدس ( تصوف ٢٦ ) . الجمعية الآسيوية في البنتال ٦٢٨ (٢) .
- برمنكهام ٦٦٩ . ولي خزانة للتحف العراقي ( الرقم ٢١٣٩ ) : « مضاهاة الأكواف قبا بقايله من الانسان » .
- (٩) غوطا ٥١٥ Pers . باريس ٢٤٠٥ .
- (١٠) مدرسة عبد الرحمن جلبي الصائغ بالوصل (مخطوطات للوصل من ١٥٤ الرقم ٤٧) .
- برلين ٣٧٧٣ - ٣٧٧٥ . للكتب الهندي ٣٩٣ . بدايان ١ : ١٢٠ : ٢٤٩ : ٢٤٩ .
- (١١) دار الكتب ١ : ٢٧٠ ( ٤ نسخ ) . للتحف البريطاني ١٠٣ .
- (١٢) للتحف العراقي ٥٩٧ (٤) وهي بخط المؤلف .



- ٢٧ - البحر المحيط الذي لا يسمع لموجه غطيط<sup>(١)</sup> .
- ٢٨ - بقية من خاتمة رسالة الرد على اليهود في بيان المعنى الموعود<sup>(٢)</sup> .
- ٢٩ - بلغة الفواص في الأكوان الى معدن الإخلاص في معرفة الإنسان<sup>(٣)</sup> .
- ٣٠ - بيان الأسرار للطالبين الأبرار<sup>(٤)</sup> .
- ٣١ - البيان في حقيقة الإنسان<sup>(٥)</sup> .
- ٣٢ - تائية ابن عربي<sup>(٦)</sup> ، وهي قصيدة أولما :
- تنزهت لما أن حضرت بحضرتي ووحدت في ذاك المقام بنظرة .
- ٣٣ - تجلي الإشارة من طريق السر<sup>(٧)</sup> .
- ٣٤ - تجليات الشاذلية في الأوقات السحرية<sup>(٨)</sup> .
- ٣٥ - تجليات عرائص النصوص في منصات حكم النصوص<sup>(٩)</sup> .
- ٣٦ - تحرير البيان في تقرير شعب الإيمان ورؤب الإحسان<sup>(١٠)</sup> .

- (١) عقود الجوهر . ص ٣١ .
- (٢) للتحف المراقي ٩٧ هـ (١٠) وهي بخط المؤلف .
- (٣) الاسكوريال ٢ : ٤١٧ (٣) . الأزهر ٣ : ٤٤٤ . الاسكندرية : تصوف ٢٣ . باريس ٢٤٠٥ (٦) . ولي الدين ١٨٢٢ (٢) . برمتكهام ٦٧٥ .
- (٤) الأزهر ٣ : ٤٤٥ .
- (٥) عقود الجوهر . ص ٣١ .
- (٦) الأزهر ٣ : ٤٤٦ (استحسان) . تركه الشيخ ابراهيم عثمان ببغداد . ليدل ٧٠١ .
- الظاهرية ص ٤٩ . وقد شرحها عبد الله البسنوي بعنوان « قرعة عين الشهود وصرآة هرائس معاني الغيب والوجود » ومن هذا الشرح نسخة في الظاهرية ص ٤٩ .
- (٧) عقود الجوهر ص ٣١ .
- (٨) دار الكتب ١ : ٢٧٥ .
- (٩) طبع في بولاق سنة ١٢٥٢ هـ . ومنه شروح باللغة التركية لعبد الله البسنوي . ومنه نسخة خطية في الأوقاف ببغداد (١٨٢٧) (٢) بخط عبد الله بن أحمد الحولاني الاشبلي سنة ٦٠٦ هـ بمدينة حلب . جاء في آخر هذا المخطوط تعليق للمؤلف هذا نصه : « قرأه علي صاحبنا ابرهال ابو محمد عبد الله بن علي ابن احمد الحولاني . وكتبه مصنفه في سنة ست وستائة ... » .
- (١٠) الأوقاف ببغداد ٤٨٨٧ (٤) .

- ٣٧ - تحفة السقرة الى حضرة البردة <sup>(١)</sup> .
- ٣٨ - تحقيق الباء وأمرارها <sup>(٢)</sup> .
- ٣٩ - التدقيق في بحث التحقيق <sup>(٣)</sup> .
- ٤٠ - تذكرة التوابين <sup>(٤)</sup> .
- ٤١ - تذكرة الخواص وعقيدة أهل الاختصاص <sup>(٥)</sup> .
- ٤٢ - ترتيب السلوك الى ملك الملوك <sup>(٦)</sup> .
- ٤٣ - ترجمان الألفاظ المحمدية <sup>(٧)</sup> .
- ٤٤ - تشنيف الأسماع في تعريف الإبداع <sup>(٨)</sup> .
- ٤٥ - تفسير آية الكرسي <sup>(٩)</sup> .
- ٤٦ - تفسير قوله تعالى : يا بني آدم <sup>(١٠)</sup> .
- ٤٧ - التقديس الأنور ، نصيحة الشيخ الأكبر <sup>(١١)</sup> .
- ٤٨ - تلقيح الأذهان <sup>(١٢)</sup> .

- (١) طبع في الأستانة سنة ١٣٠٠ هـ . في ١٦ ص . وطبعت ترجمته التركية في استانبول سنة ١٣٠٣ هـ . ومنه نسخ خطية في : دار الكتب ١ : ٢٧٦ ، برلين ٢٩٢٥ - ٢٩٢٦ . جامع بكر افندي بالوصل ( مخطوطات للوصل ص ٧٣ الرقم ٤٦ ضمن مجموعة ) .
- (٢) عقود الجواهر ص ٣١ .
- (٣) برلين ٢٩٥٣ .
- (٤) نافذ ٣٧٣ .
- (٥) برلين ٢٨٩٩ ، فينة ١٩٩٣ (٢٤) ، باريس ١٣٣٨ (٢) ، غوطا ٦٧٠ .
- (٦) برلين ٢٩٤١ ، فينة ١٩١٠ (٥) ، للكتب الهندية ٦٥٧ (٢) .
- (٧) برلين ٢٩٦٧ - ٢٩٦٨ .
- (٨) جون ريلند ٣٧١ (٢) .
- (٩) سورة البقرة ٢٥٦ . ومنها نسخة في برلين ٢٩٤٨ .
- (١٠) التيسورية ٣ : ٢٠١ .
- (١١) لها شرح لرجل مجهول ، في الأزم ٣ : ٥١٣ .
- (١٢) عقود الجواهر ص ٣١ .

- ٤٩ - تمهيد التوحيد (١) .
- ٥٠ - التنبيهات (٢) .
- ٥١ - تنزل الأرواح بالروح، أوديو ان المعارف الإلهية والطائف الروحانية (٣) .
- ٥٢ - تنزل [ تنزلات ] الإيملاك للأملاك في حركات الأفلاك (٤) .
- ٥٣ - التنزلات الليلية في الأحكام الإلهية (٥) .
- ٥٤ - التوقيعات (٦) .
- ٥٥ - ثواب قضاء حوائج الإخوان وإغاثة اللهفان (٧) .
- ٥٦ - جامع الأحكام في معرفة الحلال والحرام (٨) .
- ٥٧ - جامع الرصايا (٩) .
- ٥٨ - جذوة الاصطلاح وحقيقة الاجتهاد (١٠) .
- ٥٩ - الجفر الأبيض (١١) .
- ٦٠ - جفر الإمام علي بن أبي طالب (١٢) .

- (١) عقود الجواهر ص ٣١ . ولله «توحيد التوحيد» ومن هذا نسخة في برلين ٢٩٥٢ .
- (٢) الأزمهر ٣ : ٥٥٤ .
- (٣) باريس ٢٣٤٨ (٢) .
- (٤) الاسكندرية : تصوف ١٢ (نسختان) ، المجلس اللامي (طهران) ٣٨ ، شهيد علي ١١٥٥ ، برلين ٢٩٥١ .
- (٥) الأزمهر ٣ : ٥٥٤ .
- (٦) دار الكتب ١ : ٣٠٦ و ٣٤٥ (٣ نسخ) .
- (٧) باريس ١٦٩٩ (١٤) .
- (٨) كشف الظنون ٢ : ٤٩٩ .
- (٩) عقود الجواهر ص ٣٢ .
- (١٠) جملة بايل باديركة ٦٤ وهذه النسخة قديمة ، كتبت سنة ٦٠٦ هـ في رباط السيساطي بدمشق . انظر : «جولة في دور الكتب الأميركية» ص ٧٤ و «الخطوط العربية في دور الكتب الأميركية» ص ١٧ وكلاما لنا .
- (١١) الشيخ محمد امين الترمذي (مهرس سباط ٦٦٤) .
- (١٢) ليك ٨٣٣ (١) .

- ٦١ - الجفر الجامع <sup>(١)</sup> .
- ٦٢ - جفر النهاية ومبين خبايا أمرار كنوز البداية والنهاية <sup>(٢)</sup> .
- ٦٣ - الجلا في استنزال الملأ الأعلى <sup>(٣)</sup> .
- ٦٤ - الجلالة <sup>(٤)</sup> وهو كلمة الله .
- ٦٥ - الجواب عن الآيات الواردة <sup>(٥)</sup> .
- ٦٦ - جواب عن مسألة السبعة السوداء وهي الميولي <sup>(٦)</sup> .
- ٦٧ - الجواب المستقيم <sup>(٧)</sup> .
- ٦٨ - الحج الأكبر <sup>(٨)</sup> .
- ٦٩ - يحرف الكلمات ويحرف الصلوات <sup>(٩)</sup> .
- ٧٠ - حزب <sup>(١٠)</sup> .
- ٧١ - حزب التوحيد <sup>(١١)</sup> .

- (١) الاسكندرية : حروف ٩ .
- (٢) الجزائر ١٥٢٢ .
- (٣) عقود الجوهر ص ٣٢ .
- (٤) طبع ضمن « مجموعة الرسائل » لابن عربي ( حيدرآباد ١٣٦٣ هـ ، ١٣ ، ص )  
وهو ثاني ما في المجموعة . ومنه نسخ خطية في الأزهر ٣ : ٥٥٧ هـ ، دار الكتب  
١ : ٣٤٥ ( نسختان ) ، آصفية : تصوف ٤٩ ، فاتح ٣٧٨ هـ ، جارا الله .  
١٠٨٠ ، برلين ٧٩٥٩ ، باريس ١٣٣٩ (٢) ٦٦٤٠ ، للتحف البريطاني  
٨٨٦ (٢٠) .
- (٥) في دار الكتب المصرية ( ١ : ٣١٥ ) نسختان خطيتان من شرحها لمبدئي النابلسي .
- (٦) دار الكتب ١ : ٢٤٦ ، برلين ٢٩٦٠ .
- (٧) عمومية ٣٧٥ . باتنا ٢ : ٤١٠ ، برلين ٢٩٩٨ .
- (٨) قصيدة طويلة بقدر نصف ديوانه ، ذكرت في كشف الظنون ٣ : ٢٨٩ .
- (٩) كشف الظنون ٣ : ٤٩ .
- (١٠) الاسكندرية : فوائد وأدعية ٢٣ ، برلين ٣٦٨٧ (٢) . ولي دار الكتب  
( ١ : ٣٢١ ) « شرح الحزب الأكبر لابن عربي » للشيخ حجازي بن محمد  
السنديوني المباسي الأحمدي .
- (١١) دار الكتب ١ : ٢٨٨ .



- ٧٢ - حزب الدور الأعلى (١) .
- ٧٣ - حزب الفتح (٢) .
- ٧٤ - حكم (٣) .
- ٧٥ - حوض الحياة (٤) .
- ٧٦ - خاتمة رسالة الرد على اليهود (٥) .
- ٧٧ - خروج الشخص من بروج الخصوص (٦) .
- ٧٨ - خلق الأفلاك (٧) .
- ٧٩ - خلق العالم ومنشأ الطبيعة (٨) .
- ٨٠ - الخلوة (٩) .
- ٨١ - الدر المكنون في العقد المنظوم (١٠) .
- ٨٢ - الدرة الناصعة من الجفر والجامعة (١١) .

- (١) دار الكتب ١ : ٢٨٨ .
- (٢) دار الكتب ١ : ٢٨٩ .
- (٣) الأوقاف بغداد ١٤٩١ (٩) ، دار الكتب ١ : ٢٩٠ ، الاسكندرية : تصوف ١٥ و ٤٢ ، برلين ٨٦٨٧ ، خزائن المزاوي ببغداد كامل النزي (سباط ٦٥٦) . مصطفى طلس (سباط ٦٥٦) .
- (٤) خزائن مكتوب مركب ببغداد ١٨٢ : دار الكتب ١ : ٢٩٢ .
- (٥) للتحف العراقي ٥٩٧ (٥) وهي بخط المؤلف .
- (٦) للتحف العراقي ٥٩٧ (٢) وهي بخط المؤلف .
- (٧) عقود الجواهر ص ٣٣ .
- (٨) الأوقاف بغداد ٢٠٠٣٨ .
- (٩) الظاهرية (حيث زيات ص ٥٠) ، الجمعية الآسيوية في البندال ٦٣٨ (٦) ، الأزهر ٣ : ٥٦٤ [الخلوة للطلحة] ، برلين ٢٩١٦ - ٢٩١٧ ، للتحف البريطاني ٨٨٦ (٢٥) ، للكتب الهندي ٦٥٧ (٢) ، باتنا ١ : ١٢٨ و ٤٠٨ ، دار الكتب ١ : ٣٠٢ .
- (٤ نسخ) ، الاسكندرية : تصوف ٣٧ ، ولي جامع بكر افندي بالموصل (مخطوطات الموصل ص ٧٥ الرقم ٧٤ (١٥) ) كتاب « آداب البرك في الخلوة » قلعه هو .
- (١٠) الأوقاف بغداد ١٦٧٩ (١) .
- (١١) كشف الظنون ٣ : ٢٠٠ .

- ٨٣ - الدرة البيضاء في ذكر مقام العلم الأعلى (١) .  
 ٨٤ - الدرر (٢) .  
 ٨٥ - دعاء ليلة النصف من شعبان ، ودعاء آخر السنة ، ودعاء أول السنة ،  
 ودعاء يوم عاشوراء (٣) .  
 ٨٦ - دعاء يوم عرفة (٤) .  
 ٨٧ - الدواهي والنواهي (٥) .  
 ٨٨ - الدور الأعلى « والدر الأعلى » (٦) .  
 ٨٩ - ديوان (٧) .  
 ٩٠ - ديوان إشراق البهاء الأجد على ترتيب حروف الأبيجد (٨) .  
 ٩١ - ديوان المرتجلات (٩) .

- (١) الأوقاف ببغداد ٧٠٧١ (٢٤) .  
 (٢) الاسكندرية : تصوف ٣٣ .  
 (٣) جون ريلاندز ١٠٥ (٣) .  
 (٤) الجمعية الآسيوية في البنتال ٨٧٥ .  
 (٥) ذكر عرضاً في كشف الظنون ٣ : ٤٤٣ .  
 (٦) وورد أيضاً : الدر الأعلى . دار الكتب ١ : ٢٩٨ (٧ نسخ) ، قوله ١ : ٢٠٤ ،  
 برلين : ٢٩٧ - ٢٩٧٥ ، طرسبرغ ٣٤٣ ، للتف البريطاني ١٠٣ ، برمنكهام  
 ١٦٧٩ و ٦٨٠ ، وفي دار الكتب ( ١ : ٢٣١ ) : « الدور الأعلى على الورد  
 المسمى بالدور الأعلى لمحيي الدين ابن عربي » للشيخ محمد القواقجي الطرابلسي ،  
 « طبع في دمشق سنة ١٣٠١ هـ . وقد مرّت بنا في الرقم ٧٢ « حزب الدور الأعلى »  
 وذلك ليس بهذا .  
 (٧) « طبع على القاعدة الفارسية طبعة جيدة جداً في القاهرة سنة ١٢٧٠ هـ ( ٤٧٨ ص ) .  
 و« طبع على الحجر في بومبي ، بدون تاريخ ، في ٢٤٤ ص ، ومنه نسخ خطية  
 في : خزانة الامام الأعظم ببغداد . لندن ٧٠٠ ، جامعة ياييل بأمركا ٣٤ ،  
 دار الكتب ٣ : ١٠٩ ، الزامية ( بنزوت بتونس ) : تصوف ١٦ ، وفي خزانة  
 الأوقاف ببغداد ( رقم ٩٩٧٤ ) شرح للديوان . وفي الرقم ١٠٠٧٠ (٢)  
 أيضاً قطعة منه .  
 (٨) برلين ٧٧٤٧ ، دار الكتب ٣ : ١٠٩ .  
 (٩) برلين ٧٧٤٦ .

- ٩٢ - ردّ معاني الآيات المتشابهات الى معاني الآيات المحكمات (١) .
- ٩٣ - رسالة أرسلتها لأصحاب الشيخ عبد العزيز بن محمد المهدي (٢) .
- ٩٤ - رسالة الاستخارة (٣) .
- ٩٥ - الرسالة البرزخية (٤) .
- ٩٦ - رسالة تتضمن جواباً له الى بعض إخوانه (٥) .
- ٩٧ - رسالة التوحيد (٦) .
- ٩٨ - رسالة في آداب الشيخ والمريد (٧) .
- ٩٩ - رسالة في الأحادية (٨) .
- ١٠٠ - رسالة في أحوال تقع لأهل الطريق (٩) .
- ١٠١ - رسالة في الاستعداد السكلي (١٠) .
- ١٠٢ - رسالة في اسمه تعالى الحبيب (١١) .
- ١٠٣ - رسالة في بعض أحوال النقباء (١٢) .

- (١) طبع بمطبعة الاستقامة - بيروت ١٣٢٨ هـ ، ٦٠ ص .
- (٢) في الأزمهر ( ٣ : ٥٦٩ ) : « رسالة كتبها لابن عمه أبي الحسين علي بن عبد الله ابن محمد بن عربي خاصة » والى أصحاب العلامة أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي للمهدي طامة ، فينة ١٩١٠ .
- (٣) عقود الجواهر ص ٣٣ .
- (٤) بآئنا ٢ : ٤٨٩ .
- (٥) الاسكندرية : تصوف ٣٣ .
- (٦) قاتح ٢٦٣٠ .
- (٧) الأزمهر ٣ : ٥٦٨ .
- (٨) غوطا ٤ ، ٥ ، Krafft : pers : مخطوطات المجمع الشرقي في فينة ٤٩٦ .
- (٩) دار الكتب ١ : ٣٠٣ .
- (١٠) الأوقاف ببنداد ٧٠٧١ (٣٣) .
- (١١) الاسكندرية : تصوف ٣٤ .
- (١٢) عقود الجواهر ، ص ٣٣ .

- ١٠٤ — رسالة في بيان سلوك طريق الحق (١) .
- ١٠٥ — رسالة في بيان مقدار سنة السرمدين وتعيين الأيام الإلهية (٢) .
- ١٠٦ — رسالة في تحقيق وجوب الواجب لذاته (٣) .
- ١٠٧ — رسالة في ترتيب التصوف على قوله تعالى: الثابتون العابدون (٤) .
- الآية (٥) .
- ١٠٨ — رسالة في التصوف (٦) .
- ١٠٩ — رسالة في تصوير آدم على صورة الكمال (٧) .
- ١١٠ — رسالة في الجواب عن سؤال عبد اللطيف البغدادي (٨) .
- ١١١ — رسالة في الحشر الجسماني (٩) .
- ١١٢ — رسالة في الحكمة (١٠) .
- ١١٣ — رسالة في رجال الغيب (١١) .
- ١١٤ — رسالة في رقائق الروحانية (١٢) .
- ١١٥ — رسالة في سلسلة الخرقه (١٣) .

- (١) عقود الجوهر ص ٣٣ .
- (٢) عقود الجوهر ص ٣٣ .
- (٣) فتون ١٤٩ (٦) .
- (٤) سورة التوبة ١١٣ .
- (٥) عقود الجوهر ص ٣٣ .
- (٦) دار الكتب ١ : ٥٣ وفيها ذكر له ست رسائل مختلفة في التصوف . الاسكندرية : تصوف ١٧ .
- (٧) دار الكتب ١ : ٣٠٦ .
- (٨) عقود الجوهر ص ٣٣ .
- (٩) الأوقاف ببغداد ٧٠٧١ (٨) .
- (١٠) المجلس للآي ( طهران ) ٦١٧ (٥) .
- (١١) عقود الجوهر ص ٣٣ .
- (١٢) عقود الجوهر ص ٣٣ .
- (١٣) الأثر ٣ : ٥٦٨ .



- ١١٦ - رسالة في شرح مبتدأ الطوفان (١) .
- ١١٧ - رسالة في طريق التوحيد (٢) .
- ١١٨ - رسالة في علم الزايرة (٣) .
- ١١٩ - رسالة في معرفة الله تعالى (٤) .
- ١٢٠ - رسالة في معرفة النفس والروح (٥) .
- ١٢١ - رسالة في نعمت الأرواح (٦) .
- ١٢٢ - الرسالة القبطية (٧) .
- ١٢٣ - الرسالة القدسية (٨) .
- ١٢٤ - رسالة القاب وتحقيق وجوهه المقابلة لحضرات الرب (٩) .
- ١٢٥ - رسالة كتبها الى الامام نجر الدين الرازي (١٠) .
- ١٢٦ - الرسالة المريمية (١١) .

- (١) للتحف العراقي ٥٩٧ (٥) وهي بخط المؤلف .
- (٢) دار الكتب ١ : ٣٠٨ .
- (٣) جون ريلندز ٣٧١ ، يوسف للنادبلي ( فهرس سباط ٦٦٥ ) ، محمد أمين الترمذي ( سباط ٦٦٥ ) ولعلها « سلم الارتقاء » في علم الزايرة ، المذكور في عقود الجواهر ٣٤ .
- (٤) باتنا ٢ : ٤٢٧ .
- (٥) نشرها للمستشرق اسين بلاسيوس ، بترجمة اسبانية ، في أعمال مؤتمر المستشرقين الرابع عشر للمعقد في الجزائر سنة ١٩٠٥ « ٣ [ باريس ١٩٠٧ ] ص ١٥٦ - ١٩١ » .
- (٦) للتحف البريطاني ٨٨٦ (١٤) ، برلين ٢٩٤٠ ولعلها « كتاب الروح » المذكور في كشف الظنون ٥ : ٨٨ .
- (٧) كامل الفزي ( فهرس سباط ٦٦٠ ) ، مصطفى طلس ( سباط ٦٦٠ ) .
- (٨) كشف الظنون ٣ : ٤٢٧ .
- (٩) كشف الظنون ٣ : ٤٢٩ .
- (١٠) الظاهرية ( حبيب زيات ٤٩ ) ، الأزهر ٣ : ٥٦٩ ، محمد أمين الترمذي ( سباط ٦٢٢ ) ، تذكرة النوادر ٣٥٠ ، براون ص ٢٩٠ .
- (١١) كامل الفزي ( سباط ٦٦١ ) ، مصطفى طلس ( سباط ٦٦١ ) .

- ١٢٧ - الرسالة المهيمنية (١) .  
 ١٢٨ - الرسالة الموقظة (٢) .  
 ١٢٩ - رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأحوال (٣) .  
 ١٣٠ - رشح المعين في كشف معنى النبوة (٤) .  
 ١٣١ - الزهر الفائح في ستر السيوب والقبائح (٥) .  
 ١٣٢ - مكنجج الأرواح ونقوش الألواح (٦) .  
 ١٣٣ - سرّ المحبة (٧) .  
 ١٣٤ - السرّ المكتوم (٨) .  
 ١٣٥ - السؤال عن أفضل الذكر (٩) .  
 ١٣٦ - الشجرة النعمانية والرموز الجفرية في الدولة العثمانية (١٠)

( يتبع )

- (١) عقود الجواهر ص ٣٣ .  
 (٢) دار الكتب ١ : ٣١٢ .  
 (٣) عقود الجواهر ص ٣٣ .  
 (٤) عقود الجواهر ص ٣٣ .  
 (٥) الاسكندرية : تصوف ٢١ .  
 (٦) كشف الظنون ٣ : ٥٨٢ .  
 (٧) دار الكتب ١ : ٣١٦ .  
 (٨) عقود الجواهر ص ٢٤ .  
 (٩) الأوقاف ببغداد ٧٠٧١ (٢٣) .  
 (١٠) الاسكندرية : حروف هـ ، مجلد امين الترمذي ( فهرس سباط ٦٦٣ ) ،  
 برمنكهام ٦٨٢ و ٦٨٣ . وفي خزائن الأوقاف ببغداد ( ١٠١٤٧ ) : « الدولة  
 الفاخرة على ومن الشجرة » لمحيي الدين أبي العباس احمد بن علي بن محمد البيهقي  
 القرشي المتوفى سنة ٦٢٢ هـ وفي الاسكندرية : حروف هـ « زهور البساتين  
 وشتات النعمان فيما يحدث في دولة آل عثمان الى آخر الزمان » ، وهو شرح ،  
 لم يذكر مؤلفه ، على رموز الشجرة النعمانية . وفيها ( حروف هـ ) : « اللمعة  
 التوراتية في مشكلات الشجرة النعمانية في الدولة العثمانية » وهو شرح لصدر الدين  
 القونوي المتوفى سنة ٦٧٣ هـ . وفيها أيضاً ( حروف ١٢ ) : « الدائرة الكبرى  
 الجفرية » وهو شرح آخر لها ، لمصطفى افندي ابن سهراب .

# مقدمة المرزوقي

لشرح الحماسة أبي تمام

شرح هذه المقدمة وضبطها

— ٤ —

(ومنى اعترف اللفظ والمعنى فيما تصوب به العقول فتعانقا وتلابسا متظاهرين في الاشتراك وتوافقا . فهناك يلتقي ثريا البلاغة فيحطرن روضها . وينشبر وشيها . ويتجلى البيان . فصيح اللسان . تبيح البرهان . وترى رائدي الفهم والطبع متباشرين لها من المسوع والعقول بالمرح الخصب والمكرع العذب ) .  
تخلص المرزوقي في هذا الكلام الى مقام الحكم بين مذهب أهل الألفاظ ومذهب أهل المعاني فيبين أنه لا يتم للكلام حنه وبلاغته إلا باجتماع شرف لفظه وشرف معانيه .

واعتراف اللفظ والمعنى هو توافقهما وتآلفهما كالشخصين اللذين يعرف أحدهما الآخر وبألفه .

تصوب تمطر والصوب المطر ويقال صوب المزن أي ماء السحاب ، شبه العقول المختارة للألفاظ والمنظمة للمعاني بالأنسجة وشبه ما تأتي به من محاسن الألفاظ وشريف المعاني بالمطر وأثبت الصوب بالعقول على طريقة الاستعارة المكنية مع كونها استعارة تبعية وهذه الاستعارة مأخوذة من قول أبي تمام في وصف الشعر :

ولكنه صوب العقول إذا انقضت سحاب منه أعقبت بسحاب

وقد أتبع المؤلف استعارته هذه بتعميل بناء عليها شبه هيئة انبيال الصنائع البليغة الرائقة من آثار أهل البلاغة ثراً ونظماً ، وتأتي السامعين إياها ،

واهتزاز أذواقهم لقبولها ، وإقبالهم على الاختيار منها ، على حسب الأذواق ، شبه ذلك بهيئة عروض السحاب في أغزر الأنواء إفاضة وهو نوء منزلة الثريا فتغزر معصراتها وتشتهر بين الأدباء كالتشاعر وشي الزرع في الرياض النضرة ، فتصبح الأدباء تفسر دقائقها للطلاب كما تبشر رواد المراعي رعاة الحلي بالمسارح الخصبة والمكارع العذبة فذكر هنا الهيئة المشبهة بها ، وقد أشار الى الهيئة المشبهة بقوله فيما يأتي « ولتعرف مواطي أقدام المختارين فيما اختاروه وصرامهم أقلام المزيفين على ما زبنوه ويعلم أيضا فرق ما بين المصنوع والمطبوع وفضيلة الأبي السمع على الأبي الصعب » ، ولقد أجاد التمثيل ، فأصبح كلامه لقواعد الأدب خير تمثيل . وقوله « في الاشتراك » وقع في نسخة تونسبة ونسخة الآستانة « الاشتراف » بقاء في آخره أي الارتفاع وهي أحسن لأن الاشتراك يعني عن قوله متظاهرين إذ هو بمعنى متعادنين فيكون شبه الرفة المنوبة برفة السحاب إذا أخذ يتصاعد وينضم بعضه الى بعض ووقع في النسخة التونسية الأخرى الاشتراق بقاء في آخره ولا يستقيم .

وقوله تلتقي ثريا البلاغة في بعض النسخ يلتقي بقاء الغائب وفي بعضها تلتقي بقاء الغائبة . وصيغة الالتقاء تقتضي ملاقات شيئين وليس في عبارة المؤلف سوي الثريا ، فالظاهر أن صواب العبارة يلتقي بالمشاة التمتية المفتوحة وفتح القاف والضهير عائد الى ما تصوب به العقول ، والمعنى فهالك يقع ذلك الصوب في منزلة الثريا فيلقاها فيغزر مطره ، ويميز أن يكون الالتقاء بمعنى التلقي مبالغة . والثريا من الأنواء الوسمية أي الربيعية أي التي يكثر الأمطار في زمان طلوعها في بلاد العرب والمطر الربيعي يضرب المثل بشدته قال النابغة :

وكانت لهم ربيعة يحذرونها اذا خضغشت ماء السماء القبائل<sup>(١)</sup>

( فإذا كان النثر بما له من تقاسيم اللفظ والمعنى ، والنظم اتسم نطاق الاختيار

(١) القبائل قبائل الحيل جمع قبيلة وهي من أروبيين من الحيل الى سنيين .



فيه على ما بيناه بحسب اتساع جوانبها وموادها وتكاثر أساليبها وموارثها ، وكان الشعر قد ساداه في جميع ذلك وشاركه ثم تفرد عنه وتميز بأن كان حدثه لنظـ • موزون مقفى يدل على معنى • فازدادت صفاته التي أحاط الحد بها بما انضم من الوزن والتقفية اليها - ازدادت الكف في شرائط الاختيار فيه كان للوزن والتقفية أحكاماً تماثل ما كانت للمعنى واللفظ والتأليف أو تقارب • وهما يقتضيان من مراعاة الشاعر والمتقيد مثل ما تقتضيه تلك من مراعاة الكاتب والمتصفح لئلا يختل لها أصل من أصولها أو يمتل فرع من فروعها ) •

في نسختي تونس ونسخة الآستانة « واذا » بالواو الموات الوسائل جمع مائة وهي الوسيلة الى الشيء لأنها تمت اليه أي تمت وتتوصل يقال مت بقراءة أي اتصل وتتوصل • ومعنى كلام المؤلف ظاهر •

( واذا كان الأمر على هذا فالواجب أن يتبين ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب ليميز تليد الصنعة من الطريف ، وقديم نظام القريض من الحديث ، ولتعرف مواطي أقدام المختارين فيما اختاروه ومراسم أقلام المزيين على ما زينهوه ، ويعلم أيضاً فرق ما بين المصنوع والمطبوع ) •

تخلص هنا الى تخصيص بحثه بالشعر وهو المقصود من هذه المقدمة ولذلك سيقول فيما يأتي « فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر » وقد نهينا آنفاً على أن هذه الفقرات تشير الى الهيئة المشبهة بهيئة السحاب والمطر في قوله آنفاً « فهناك يلقى ثريا البلاغة فيطر روضها الخ .. » •

والمصنوع هو الشعر الذي أدخل فيه ما يسمى عند أهل الفن بالصنعة وهي التهذيب والتقيح للشعر وإبداع المحاسن البديعية واللطائف اللفظية فكان علم أصحابه مكنباً بالصنعة أي أن يعمدوا الى القواعد والنكت وصور الأمثلة التي تلقوها بالنعلم فيراءوها في منشئاتهم بالترويح والتثقيف فيكون شعرهم كالشيء المصنوع باليد وقد يقع بعض ذلك عفواً بدون تعمد ولا تكلف وهو الغالب

من شعر المولدين قال ابن رشيقي<sup>(١)</sup> : « أشهر الشعراء في المصنوع ابن المعتز » .  
 والمطبوع هو الشعر الذي يصدر عن الشاعر بالسجية والطبيعة الناشئة عن  
 تدريبه بسماع أشعار البلغاء واندفاع طبيعته لمحاكاة أشعارهم حتى يصير الشعر  
 البليغ له كالطبع فلا يصرف فيه تعمق روية ولا معاودة تنقيح وتثقيف .  
 ( وفضيلة الأتي السمع على الأتي الصعب ) .

تقدم بيان معنى الأتي والأتي في تفسير أول الديباجة ووصفها هنالك  
 بالمستعمل والمستنكر ووصفها هنا بالسمع والصعب . والسمع صفة من السباحة  
 وهي لين الأخلق وحسن المعاملة ، والصعب صفة من الصعوبة وهي الشدة في  
 الخلق ( فنقول وبالله التوفيق ) :

( انهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ) .

ضمير انهم عائداً الى الشعراء أو الى أهل نقد الشعر ، والمحاولة ابتغاء الشيء  
 ورواه . والشرف حصول صفات الكمال النوعي ، فشرف المعنى أن يكون  
 من أحسن المعاني المستفادة من الكلام بأن يتلقى فهم السامع المعنى مستغنياً به  
 في استفادة الغرض الذي يقاد به ، وقد وصف المؤلف المعنى هنا بالشرف والصحة  
 ووصفه نياً تقدم بالمعجبة الجزلة العذبة الحكيمة الزاهرة الفاخرة ، وطريقة صوغ  
 المعنى الشريف هي أن يلحظ البليغ ما يجيش في نفسه مما يريد إبلاغه الى نفس  
 السامع فينشئه في نفسه وبكيفية بأحسن صورة يرى أنها تقع لدى السامعين  
 موقعاً حسناً بغير بمراد الشاعر وبلقى بالغرض الشعري ، متكللاً في تحصيل تلك  
 الكيفية على فطنته ودربته المتولدة في ذوقه بما ورد على ذهنه من محاسن البلغاء  
 والحكماء والعلماء فأكسب ذوقه صوراً غير جزئية يقيس عليها أمثالها إذا أراد  
 التعبير ، بابتكار مماثلات لها جديدة أو بصرف فيها يغيرها عن حالتها السابقة  
 تصرفاً كثيراً أو قليلاً ويندفع إليها ذهنه سريعاً . ومن أكبر أسباب شرف

(١) صفة ٨٥ من السدة طبع مطبعة امين هندية بمصر .

المعنى أن يكون مبتكراً غير مسبوق ثم ان يكون بعضه مبتكراً وبعضه مسبوقاً وبمقدار زيادة الابتكار فيه على المسبوقية يدنو من الشرف ، ولأبي تمام وأبي الطيب ابتكارات كثيرة ويقرب منها أبو نواس ثم ابن الرومي .

فاذا أنشأ ذوق البليغ معنى ، لاحت له منه محاسن المعنى وتفاصيله ومعانيه فاحتفظ بالمحاسن وأكمله عن النقائص ومحا عنه المعائب ، فاذا تقوم فيه ما من شأنه أن يفي بأمله من إرضاء السامعين من أهل الصناعة وامتلاك استجسانهم فرواه محو كلاً على منوال ما يحوكم على مثله البلاء فيما انتهت إليه مزاويلته ودربته ، وثق بأنه معنى شريف .

فعلّم أن شروط شرف المعاني تختلف باختلاف محالّها من أغراض الكلام من إثارة حماس أو استعطاف وإبساس أو غزل أو نسيب أو نحر أو ذب عن شرف أو نحو ذلك . قال ابن الأثير في المثل السائر « إن الكاتب أو الشاعر ينظر الى الحال الحاضرة ثم يستنبط لها ما يناسبها من الغائب » .

وهذا عمل محتاج الى صفاء قريحة وكرم سجية وطول دربة وحسن اقتداء وتمييز بين المقبول والمرفوض وقد ذكر ابن الأثير في المثل السائر<sup>(١)</sup> من المعنى الشريف قول أبي الطيب :

تلاذ له المروءة وهي تؤذي ومن يعشق يلد له الغرام  
لولا لفظة تؤذي فيه فانها تؤذي . ولا يتوهم من كلام ابن الأثير ولا من مادة شريف أن شرط المعنى كونه من الفضائل أو المعاني الحميدة فإنه لو كان ذلك مرادهم لذهب معظم النسيب والمجاء ولذهب ما كان من الشعر كذباً ، بل مرادهم ما أنصح عنه قدامة في نقد الشعر<sup>(٢)</sup> إذ يقول : « إن مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً ثم يذمه بعد ذلك ذماً

(١) صفحة ٨٨ .

(٢) صفحة ٤ ، ، .

حسناً ، غير منكر عليه ولا معيب من فعله ذلك بل يدل على قوة الشاعر  
واقتراره على صناعته وإنما قدمت هذا لما وجدت قوماً يعيرون قول امرئ القيس :

فمثلك جلي قد طرقت ومرضع      فألميتها عن ذي ثنائم محول  
إذا ما بكى من خلفها التفت له      بشق وتحتي شقها لم يحول

وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه اهـ .

وأما صحة المعنى في كلام المؤلف فهي في الدرجة الأولى للصعود في مصاعد  
الشرف أي أن لا يكون في المعنى اضطراب أو سوء ترتيب أو انتقاض بعضه  
بعض فيصير الإنشاء أو الترسل أجوف ، قال ابن رشيق : « وفرقة من الشعراء  
أصحاب جلبة وقنعة بلا طائل معنى إلا قليلاً كأبي القاسم ابن هاني في قوله  
أول مذهبته :

أقامت فقالت وقع أجرد شيطم      وشامت فقالت لمع أيضاً مخدّم  
وما دُعرت إلا تجرس حلبيها      ولا رمقت إلا يُرى في مخدّم.

فليس تحت هذين البيتين إلا أن هذه المنسب بها ليست حلبيها فتوهمته بعد الإحصاء  
وقع فرس أو لمع سيف اهـ .

علي أن في قوله شامت خطأ لأن الشيم هو النظر إلى البرق ليعلم أين يذهب  
وبتوسم أين يبطر .

واعلم أن ضد المعنى الشريف المعنى السخيف لقلة جدواه أو لدلالته على تعلق  
تفكير صاحبه بصورة ضعيفة كما خطب والـ بالجماعة في موعظة فقال : « إن الله  
لا يقار عباده على المعاصي وقد أهلك أمة عظيمة في ناقة ما كانت تساوي  
مائتي درهم » فلقبوه بـقوم الناقة . ومن المعاني السخيفة قول نصيب :

أهم بدعد ما حيت فإن أمت      فبالت شعري من بهم بها بعدي

وقد عابته سكينه ابنة الحسين . وضد المعنى الصحيح المعنى الخاطي والمختل كما  
قال شعور في أنشده الراغب الاصفهاني :



أُزِيدَةُ ابْنَةُ جَعْفَرٍ طَوَّجَى لَزَائِكِ الْمَشَابِ  
تُعْطِينَ مِنْ رَجْلِكَ مَا تُعْطِي الْأَكْفُ مِنَ الرِّغَابِ

فانه أنشده بحضرتها فقام اليه الخدم ليضربوه لقوله تعطين من رجلك فمنعتهم وقالت إنه قصد مدحا وأراد ما يقول الناس : شمالك أجود من يمينه فظن انه اذا ذكر الرجل كان أبلغ وقد حمدنا ما نواه . وإن أساء فيها آناه .  
ومن عجيب ما عرض للشعراء من تخيف المعنى ما عرض لأبي العتاهية من قوله في رثاء الخليفة :

مَاتَ الْخَلِيفَةُ أَيْهَا الثَّقَلَانِ فَكَأَنِّي أَنْفَرْتُ فِي رَمَضَانَ

فان المصراع الثاني من تخيف المعنى وان بينه وبين المصراع الأول بونا بعيدا .  
وقد نظرت في مجموع شرف المعنى وصحته وكيف يكتسبه البليغ فرأيت أن يقتدي مرید الإجابة بالذين شهد لهم البلغاء بالإجابة في غرض من أغراض المعاني فينسج على منواله : فاذا رام إثارة حماس جمع في ذهنه ما يلائم حالة الانصراخ ، واستبطاء التصير . وتخيّل المستنجد هضم الجانب ذا جناح كبير . فاجتهد أن يكثر من المعاني التي من شأنها إثارة حمية المخاطب واقتداره وعلى هذا المنوال ينسج . ومن صور صحة المعنى أن يكون مطابقا للواقع كما قال حسام :

وإن أحسن بيت أنت فائله بيت يقال اذا أنشدته صدقا

ولكن ذلك ليس بشرط على الاطلاق وخاصة في الشعر فان الشعر يبنى على المغالطة والخيال وهذا الشأن يختلف باختلاف الأغراض والمقامات فلكل غرض من أغراض الكلام ما يناسبه من صحة المعنى في يابه ، وللنثر مناسبات ليست للشعر وبالعكس وسيأتي للمؤلف ذكر الخلاف في أن أحسن الشعر أصدق أو أكذبه أو أقصره .

محمد الطاهر ابن عاشور

(تونس)

# رسالة حي بن يقظان

مع سرورها لدين سينا

- ٤ -

( وبتلوها مملكة كبيرة متنازحة <sup>(١)</sup> الأقطار ، كثيرة المزار ، بقعة <sup>(٢)</sup> لا يتعدون ، إنما قرارهم قاع ، مصفف ، مفصول باثني عشر حدًا ، فيها ثمانية وعشرون محبطًا <sup>(٣)</sup> لا تخرج طبقة منهم إلى عطف طبقة إلا إذا خلا من أمامها عن دورهم فسارعت إلى خلافتها وإن أمم الممالك التي قبلها لبسافر إليها وتتردد فيها <sup>(٤)</sup> ) .

أشار بهذا الفصل إلى الكواكب الثابتة .

وأشار بقوله متنازحة الأقطار إلى عظم مقدار بعده عن الأرض وعظم مقدار دور سطحه ، إذ كان بعده من الأرض أعني بعد سطحه الأدنى خمسة وستين ألف ألف وثلاثمائة ألف وسبعة وخمسين ألف وخمسمائة ميل ، فيكون قطره مائة ألف ألف وثلاثين ألف ألف وسبعمائة ألف وخمسة عشر ألف ميل ، فأما بعد سطحه الأعلى فلا سبيل إلى معرفته ، وإذا كان مقداره أعني مقدار دور سطحه الأدنى أربعمائة ألف وعشرة ألف ألف وثمانمائة ألف [ ورقة ١٠٠ ألف ] وثمانية عشر ألفًا وخمسمائة وسبعين ميلًا . فإذا ضرب ذلك في قطره المذكور حصل مساحة بسيط السطح الأدنى منه ، فأما مقدار دور سطحه الأعلى فلا سبيل إلى معرفته أيضًا بعله نحن نذكرها فيما بعد .

وأراد بقوله كثيرة المزار إلى الكواكب الثابتة التي لا يعرف عددها ،

---

(١) أيضاً : متنازحة . (٢) ب : بداه . (٣) م و ص : محطاً .

(٤) ب : تتزود منها .

ولا تصل قوة البشر الى تحصيلها في جملة إلا ان الذي أمكن قياسه وعرف منها عدده ألف واثنتان وعشرون كوكباً .

وقوله بقعة <sup>(١)</sup> لا يمتدون أي ان بقعتهم لا تنقسم الى مدن أي هي أجزاء يختص كل جزء منها بحركة ، وتحقيق ذلك أن حركاتها كلها حركة واحدة ، عرف ذلك من أنها لا يقرب بعضها من بعض ولا يبعد بعضها عن بعض بل هي محفوظة الأبعاد كأنها كلها مركوزة في جسم واحد يتحرك هو ، فتتحركها بحركته تلك .

إنما قرارها قاع صفصف أي فضاء واحد مستوي غير منقسم الى بقاع مختلفة ، مفصول باثني عشر حدًا ، أشار به الى منطقة هذا الفلك التي تسمى فلك البروج ، وقد قسموه في التوهم على اثني عشر قسمًا ممي كل قسم منها باسم وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وجعلها محطًا إذ كان مقدار سير كل سائر من الكواكب الناجية والمتخيرة مقيسًا الى فلك البروج .

الى محط طبقة الآ إذا خلا من أمامها عن دورم فسارعت الى خلافتها على ما ذكرته فيما تقدم من حفظ أبعاد ما بينها فلا يلحق واحد منها محطًا حتى يجتمع معه في محط بل لا يحل واحد منهم محطًا إلا إذا سار عنه الذي تقدمه ، فيجعله هذا الثاني ، وقد انتقل عنه الأول .

ثم قال « وان أمم للمالك التي ٠٠٠٠ وتتردد فيها » أشار الى مسير الكواكب المتخيرة المذكورة فيما تقدم في فلك البروج ومسير <sup>(٢)</sup> كل واحد منها من برج الى برج . وأشار بقوله تتردد فيها الى حركاتها [ ورقة ١٠٠ ب ] المستديرة التي تبتدي من موضع وتنتهي اليه بعينه . فكان الكواكب بدوراتها فيها وانتقالاتها بأعيانها مترددة فيها .

(١) أيضًا : بداه . (٢) أيضًا : مصير .

( ويلها ملكة لم يدرك ألقها الى هذا الزمان ، لا مدن فيها ولا كور ، ولا بأدي اليها من يدركه البصر ، وعمارها الروحانيون من الملكة لا ينزلها البشر ، ومنها ينزل على من <sup>(١)</sup> يليها الأمر والقدر وليس وراءها من الأرض معمر <sup>(٢)</sup> ) .

التفسير : أشار بهذا الفصل الى الفلك التاسع المسى الفلك المستقيم .  
« وقوله : « لم يدرك » . . . الزمان » أي لم يعرف مقدار جرم هذا الفلك لأنه لا يوجد سبيل الى معرفة ذلك كما يوجد السبيل الى معرفة مقادير ساير الأجرام والكواكب ، وذلك لخلوه عن الكوكب الذي عرف مقداره إلا ان الأولي والأخرى أن نريد مقداره على ما ضمن من مقدار الفلك الثامن بأضفاف مضاعفة ، وذلك لعظم قوته الوافية بتعريبك جميع ما دونه على سبيل القهر الحركة البالغة في السرعة التي بلغت <sup>(٣)</sup> من غابة سرعتها واستوائها واتصالها الى <sup>(٤)</sup> أن جعل الزمان متعلقاً بها دون غيرها من الحركات .

وقال : لا مدن فيها ولا كور أي لا ينقسم الى أجزاء يجري منها مجرى المدن كما كان ذلك في أفلاك المتحيرات .

قال : ولا يكون فيها من يدركه البصر أي لا كوكب فيها يجري منها مجرى العار والآوين الى المساكن .

ثم قال وعمارها الروحانيون من الملائكة أي لا ينسب الى الحلول بها ، والعمارة لها إلا النفوس الروحانية المسماة عند الجمهور بالملائكة .

لا ينزلها البشر أي ليس فيها كوكب جسماني يصح أن يوصف بوجه من الوجوه أنه بشر لانتهاه جسميته الى سطحه المحيط به [ ورقة ١٠١ الف ] الذي يجري منه مجرى البشرية من الحيوان لانتهاه جسمه اليه .

قال ومنها ينزل على ما يليها الأمر والقدر أي ان أمر الله تعالى هو الأمر

(١) ب : ما . (٢) م و س : مسمور . (٣) ب : بلغ .

(٤) غير موجود في ب .



المطلق وقدره الذي هو موجب القضاء والحتم يتنزل على سائر الموجودات بتوسط هذا الفلك ونفسه وعقله <sup>(١)</sup> على ما عرف ذلك من موضعه . ثم قال : وليس وراءها من الأرض معمر وأشار به الى تنامي الأجسام عنده ودل به على أن لا خلاء ولا ملاء يلي هذا الفلك بل عنده منقطع الأجسام ، وسطحه ينتهي الى لا شيء <sup>(٢)</sup> ، وقد علم في الحكمة الإلهية والطبيعية انه لا يجب أن ينتهي الجسم الى جسم آخر فلا يجب أن يستنكر ان هذا الفلك ينتهي الى سطحه الأعلى وليس يلي ذلك شيء من الأشياء لا خلاء ولا ملاء على أنه قد برهن على أنه لا يجوز أن يكون جسم غير متناه بالفعل ببراهين حقيقية .

(فهذان الاقليتان بهما <sup>(٣)</sup> يتصل الأرضون والسموات ذات اليسار من العالم التي هي المغرب) .

كان قد قسم الحد ذات يسار العالم التي جعلها المغرب الى اقليمين أي الأرضيات والسمويات ، وفصل أقسام كل واحد منها على ما مر ذكره ، فأجل هاهنا ذلك وأعاد ذكره على سبيل إعادة ذكر النتيجة .

(فاذا توجهت منها تلقاء المشرق رفع لك اقليم لا يعمره بشر ، بل ولا فيجيم ولا شجر ولا حجر ، إنما هو برح ويم غمر ، ورياح محبوسة ، ونار مشبوبة) .

التفسير : قوله اذا توجهت ... المشرق أي عدلت الى النظر في الصورة .

رفع لك اقليم ... ولا حجر أي يظهر لك ان أول الصور المملأة للهوى ليس بصورة الحيوان ولا النبات ولا المعادن بل تجد أول الصور أعني الصور الجسمانية صور الاسطوانات الأربع <sup>(٤)</sup> التي عبر عنها ، ودل عليها بقوله إنما هو بر رحب [ ورقة ١٠١ ب ] أي صورة الأرض . ويم غمر أي صورة الماء ، ورياح محبوسة أي صورة الهواء ، ونار مشبوبة أي صورة النار ، ولما سمى الهواء

(١) ولي بزيادة بالهامش: وبلوكة أولا في هذا «مخطوطة هذه» الفلك وفي نفسه وعقله.

(٢) ب : لا الى شيء .

(٣) م و س : بها .

(٤) ب : الأربعة .

رياحاً جعلها محبوسة أي غير متحركة أي كان الحكاء يقولون إن الهواء راكد والرياح هواء متحرك .

(وتجوزة الى اقليم يتلقاها<sup>(١)</sup> فيه جبال راسية ، وأنهار جارية<sup>(٢)</sup> ورياح مرسله ، وغيوم هاطلة ، وتجد فيها العقيان واللاجين والجواهر الثمينة والوضيعة أجناسها وأنواعها إلا أنه لا نابت فيه ) .

أشار بقوله : جبال راسية الى صور المعادن التي أولها صورة الجبال ، وأنهار جارية أراد به صورة العيون ، والأنهار المتبعة عنها .

ورياح مرسله : أراد به الهواء المتحرك المتولد عن الأبخرة البخارية والأبخرة الدخانية ، وغيوم هاطلة : أراد بها السحاب الحادث المتولد عن البخار الرطب ، وأصناف الغيوث التي تهطل بها من المطر والثلج والبرد .

وتجد فيها العقيان ، واللاجين هو الفضة ، واقتصر عليهما وإن كانت كثيرة مثل النحاس والرصاص وغير ذلك مما عداً وشرح أمره في كتاب المعادن .

والجواهر الثمينة والوضيعة أراد بها غير المنظرة وغير الدائبة كالياقوت والفيروزج والذهنج وغير ذلك . وقوله إلا أنه لا نابت فيه أي صور المعادن مباينة لصور النبات مفردة عنها .

(ويؤديك عبوره الى إقليم مشحون بما خلا ذكره الى ما فيه من أصناف النبات ، نجمة وشجرة ثمرة عجبة<sup>(٣)</sup> ومبرزة لا تجد فيه من يضيء ويضئ من الحيوانات ) .

[ ورقة ١٠٢ الف ] قال المفسر : أشار بهذا الفصل الى صورة النبات ، فإن النبات له وفي تركيبه ومزاجه صورة<sup>(٤)</sup> المعادن وزيادة الصورة النباتية التي تجري منها مجرى الفصل المميز بما هو نبات عام ، ثم ينقسم الى أنواعه التي

(١) مومس : تلقاءك . (٢) موجود في ب فقط .

(٣) مومس : عجة . أحب : حبيب الزرع : صار ذا حبة .

(٤) مومس : صور .

دل" عليها بقوله نجمة وشجرة مثمرة وغير مثمرة ، محبة ومبرزة . وقد أشير في كتب النبات الى هذه الأنواع وذكر خواصها ، والأحوال التي يعرض لها من الاثمار وغير الاثمار والتحييب وغير التحييب ، والتبريز وغير التبريز ، ودوام الاوراق شتاءً وصيفاً وانتشار الاوراق عنها شتاءً .

قوله ولا تجد فيها من يضيء ويفنز من الحيوان أي إن صور النبات في النبات متباينة لصور الحيوان مفردة عنها .

( ويتعداه الى اقليم يجمع <sup>(١)</sup> لك ما سلف ذكره الى أنواع الحيوانات المعجم صابجها وزاحفها ودارجها ومدوّما متولدها ومتولداتها <sup>(٢)</sup> إلا أنه لا أنيس فيه . وتخلص عنه الى عالمكم هذا وقد دلّتم على ما يشمله عياناً وسماعاً ) .

التفسير : أشار بهذا الفصل الى صور الحيوان غير الناطق <sup>(٣)</sup> الذي دل عليه بقوله « المعجم » فإن له وفي تركيبه ومزاجه صور المعادن وصور النبات وزيادة الصورة الحيوانية التي تجري منها مجرى الفصل المميز بما هو حيوان عام ، ثم ينقسم الى أنواعه التي دل عليها بقوله « صابجها وزاحفها . . . . . ومتولدها ومتولداتها » وقد أشير في كتب الحيوان الى هذه الأنواع وذكر خواصها ، والأحوال التي يعرض لها من تلك الجهات المذكورة .

وقوله إلا أنه لا أنيس فيه أي إن أصناف هذه الحيوانات واقعة بحسب جنس هو الحي غير الناطق <sup>(٤)</sup> ، فأما الحيوان الناطق فانه يشير اليه بقوله وتخلص عنه الى عالمكم هذا أي صورة الانسان ، وقد دلّتم [ ورقة ١٠٢ ب ] على ما يشمله عياناً وسماعاً أي قد عرفتكم هذا النوع ، وعرفتكم خواصه والأحوال العارضة له من حيث هو هذا النوع .

( فاذا قطعت سمّت المشرق وجدت الشمس تطلع بين قرنين للشيطان <sup>(٥)</sup> )

(١) م و ص : يجمع . (٢) ايضاً : ومدوّما ومتولداتها الخ .

(٣) ب : للغير ناطق . (٤) ايضاً : للغير ناطق .

(٥) م و ص : قرني الشيطان ، ك : قرني شيطان .

فإن للشيطان قرنين قرن يطير وقرن يسير ، والأمة السيارة منها قبيلتان ،  
 قبيلة في خلق السباع وقبيلة في خلق البهائم ، وبينهما شجار قائم دائم <sup>(١)</sup> ، وهما  
 جميعاً ذات اليسار من المشرق ، وأما الشياطين التي تطير فإن نواحيها ذات اليمين  
 من المشرق ، لا تنحصر في جنس من الخلق بل يكاد يختص كل شخص منها  
 بصفة نادرة ، فمنها خلق <sup>(٢)</sup> ليمت من خلقتين أو ثلاث أو أربع <sup>(٣)</sup> كالإنسان  
 يطير وأفعوان له رأس خنزير ، ومنها خلق هي رخداج من خلق مثل شخص  
 هو نصف إنسان وشخص هو فرد رجل إنسان وشخص هو كف إنسان أو غير  
 ذلك من الحيوان ، ولا يبعد أن يكون التماثل المختلطة التي يرقها المصورون  
 منقولة من ذلك الإقليم .

قال المفسر : قوله فإذا قطعت . . : المشرق أي إذا نظرت من هذا الإقليم  
 في صورته وملت في اعتباره أمره إلى هذا الجزء منه وجدت الشمس تطلع  
 من بين قرنين للشيطان ، أي وجدت الصورة الانسانية التي هي العقل الانساني  
 هي طالعة مجرّدة من المادة بقوام ذاتها قائمة بنفسها سالحة لذلك البقاء بعد فساد  
 البدن ، فانه دل على هذا المعنى بقوله « تطلع » كما دل بالأفول في موضع  
 آخر على الانغماس في المادة والانطباع <sup>(٤)</sup> بها ، بل فسر بذلك قوله تبارك وتعالى  
 حكاية عن ابراهيم صلواته وسلامه عليه [ ١٠٣ الف ] « فلما أفل قال لا أحب  
 الآفلين » (سورة : ٧١ ، آية : ٧٦) . وقال فان الهوى في حظيرة المكان  
 أفول ما ، وذكر انها على هذه الصفة من بين سائر القوى التي جعلها قوتين  
 أي صنفين من القوى ، وجعل القرنين جميعاً من الشياطين لبعدها <sup>(٥)</sup> عما وصف  
 به العقل الانساني من التجريد والبقاء ، والشيطان هو البعد .

(١) م و ص : دائم وقائم .

(٢) ايضاً : فمنها خلق لمس في خلقتين او ثلاثة او اربعة .

(٣) م و ص : الانطباع بها . ك : الانطباع بها .

(٤) م و ص : من الشيطان لبعده . ك : من الشياطين لبعدها .



وفسر القرنين بقوله « قرن يطير وقرن يسير » ، وأراد بالقرن الذي يطير القوى المدركة من الإنسان ، وأراد بالقرن الذي يسير القوى المحركة منه وشبه الإدراك بالطيران وشبه التحريك بالسير لشدة حركة الطيران والوصول بها الى الأشياء النائية <sup>(١)</sup> وليطوء حركة السير والوصول بها الى الأشياء القريبة . ثم قسم السيارة الى قسمين سماهما <sup>(٢)</sup> قيلين - قبيلة في خلق السباع ، أراد به <sup>(٣)</sup> القوة الغضبية وقبيلة في خلق البهائم ، أراد به القوة الشهوانية .

وبينهما شجار قائم أشار به الى التجاذب الذي بينهما ، والتنازع الذي لكل واحد منهما مع الآخر وغلبة كل واحد منهما حال قوته < على > الآخر حال ضعفه ، وجعل محل صغني هذا القرن السيار ذات اليسار من المشرق دلالة على خسة مرتبتها وقصورها عن مرتبة القرن الآخر الطائر الذي يجعل عمله ذات اليمين بقوله : « وأما الشياطين التي تطير » فان نواحيها ذات اليمين من المشرق ، وأراد بها القوة التخيلية من الانسان . وذكر أنها لا تنحصر في جنس من الخلق ، وأراد به ما يختص به هذه القوة وما جبلت عليه [ هذه القوة ] من المحاكاة والتركيب والتفصيل ، فان صومها محاكاة ، كما أدركته النفس بشيء شبيهه به ، وأيضاً تركيب الصور التي تدركها مفردة ، وتفصيل الصور التي يدركها مجموعة . قال بل يكاد يختص منها بصيغة نادرة أي إن كل شيء مدرك فانها تحاكيه بمحاكاة نادرة ويتصرف فيه على نوع من أنواع التركيبات والتفصيلات ، وعلى ذلك دلّ بقوله فمنها خلق ليمت من خلقتين أو ثلاث أو أربع وأراد به عمل التركيب .

ومنها [ ١٠٣ ب ] خلق هي خداج من خلق وأراد به عمل التفصيل ، ولا يبعد أن يكون التماثيل التي يرقمها المصورون منقولة من ذلك الاقليم ، لولا هذه

(٢) ب و ك : ساهما .

(١) م و س : البعيدة .

(٣) م و س و ك : بها .

القوة المحاكية المركبة المفصلة لما أمكن المصورون أن يصوروا ما يصورونه من الصور النادرة العجيبة التي لا وجود لها في العالم بل لما وضعت من الخرافات والأكاذيب والأحاديث المختلفة المنفصلة .

( والذي يغلب على أمر هذا الاقليم قد رتب سككاً خمساً للبريد جعلها مسالح لملكته فهناك يختطف من يستهوى من سكان هذا العالم ويستثبت الأخبار المنتهية منه ويسلم من يستهوى الى (١) قيم على الخسة مرصد ياب الاقليم ومعهم الأبناء في كتاب مطوي مختوم لا يطلع عليه القيم إنما له وعليه أن يوصل جميعه الى خازن بعرضه على الملك . وأما الأمرى فيكفلهم (٢) هذا الخازن ، وأما آلاتها فيستحفظها (٣) خازن آخر (٤) . وكلما استأمرؤا من عالمكم أصنافاً من الناس والحيوان وغيره يتناسلوا على صورهم مزاجاً منها أو اخراجاً إياها) . والذي يغلب على أمر هذا الاقليم أراد به النفس الانساني الذي هو أصل ومفيض لسائر القوى البدنية - ومرتب إياها في مراتبها الخاصة بها . قدرتب سككاً خمساً للبريد ، أراد به الحواس الخمس الظاهرة من السمع والبصر والشم والذوق واللمس التي جعلت في البدن كأصحاب الأخبار في المملكة . قال وجعلها أيضاً مسالح لملكته أي جعلها كمواضع الأسلحة ، وأصحاب الأسلحة يستهون سكان هذا العالم أي يصيدون صورها ويستثبتونها في ديوانها ويجردونها عن موادها خرباً من التجريد (٥) . قال فهناك يختطف من يستهوى ويستثبت الأخبار المنتهية منه أي يعمل بالأشياء الواردة على الحس عمليين - أحدهما الفتك بتلك الصور [ورقة ١٠٤ الف] الجسمانية على ما هي عليه بعد تصيدها (٦) وهو الذي عبّر عنه بقوله يختطف ، والثاني معرفة ما يقترن بها من المعاني غير

(١) ب : من قيم . (٢) م و س : فيسكنهم .  
 (٣) ب : فيستحفظه . (٤) م و س : خازناً آخر .  
 (٥) غير موجود في م و س . وموضع « من التجريد » خالٍ في ب .  
 (٦) ك : تصورها وبالمأش ، بصيدها .

المحسوسة<sup>(١)</sup> ، وامتناباتها وهو الذي دلّ عليه بقوله ويستثبت الأخبار المنتهية منه ..... عليه القيم ، أراد بالقيم الذي يسلم اليه المستهوي الحس المشترك ، فذكر انه يسلم اليه المستهون ومعهم الأنباء أي بحسه كما هو من غير أن يطلع على ما معهم من الأنباء أي المعاني المقترنة بها غير المحسوسة<sup>(٢)</sup> .

إنما له وعليه ... الملك ، أراد بالخازن القوة الحافظة .

فأما الأسرى فيكفلهم هذا الخازن أي ان الصور المحسوسة يتكفل بها هذه القوى الحافظة وهي التي تسمى القوة الخيالية . وأما آلياتها فيستحفظها<sup>(٣)</sup> خازن آخر أي ان المعاني المقترنة بالصور يسلم الى خازن آخر أي القوة الوهمية أولاً ثم الذاكرة .

وأراد بقوله وكما استأسروا الى آخر الفصل ما أشرنا اليه قبل من المحاكاة والتركيب والتفصيل .

(ومن هذين القرنين من يسافر الى اقليم هذا فيغشى الناس في الأنقاس حتى تخلّص الى السويداء من القلوب) .

أشار بذلك الى القوى الغضبية والشهوانية ، فانها تتأدى قوة كل واحدة منها الى النفس الإنسانية فيدعوها ويبعثها على أعمال تحصل منها في البدن ، ثم ذكر كيفية وصول كل واحدة من القرنين الى النفس .

(فأما القرن الذي في صورة السباع من القرنين السيارين فانه يتربص بالانسان طروداً أدى معتباً عليه<sup>(٤)</sup> ، فيسفره ويزيّن له سوء العمل من القتل والمثل والايحاش [ورقة ١٠٤ ب] والايذاء فيربي الجور في النفس ويبعث على الظلم والغشم) .

أشار بهذا الفصل الى القوة الغضبية منها يستولي على النفس ويبعثها على العمل

(١) ب : الغير محسوسة . (٢) ب : الغير محسوسة .

(٣) ب : فيستحفظه .

(٤) م ه و س : أدى معتباً عليه . و ب : طروداً أدى معتباً عليه .

النفسي عند لحوق مكروه وموذر بها فيحركها نحو دفع ذلك عن نفسها إما بقتل أو مثل أو إيحاء وإيذاء وبالجملة بنوع ما من أنواع ما يستدفع به الشر والمكروه والمؤذي ، ثم إنها ربما تجاوزت الحد في ذلك فيبعث على الظلم والغشم أي على أن لا يعمل على الوجه الذي ينبغي وبالمقدار الذي ينبغي وفي الوقت الذي ينبغي وبموجب <sup>(١)</sup> القوانين الشرعية إلا أن تزجرها قوة العمل وتردها إلى الواجب وذلك فيمن يتمكن منه العقل إما طبعاً وإما تعوداً .

( وأما القرن الآخر منها فلا يزال 'يناجي بال' الإنسان بتحسين الفحشاء من الفعل والمنكر من العمل والفجور إليه وتشويقه إليه وتحريضه عليه ، قد ركب ظهر اللجاج واعتمد على الإلحاح حتى يجره إليه جرّاً ) .

التفسير : أشار بهذا الفصل إلى القوة الشهوانية منها تسولي على النفس وتبعثها على العمل الشهواني عند 'لحوق حاجة إلى ملذذ ومتع' لها من مطعم أو منكره فيحركها إلى استجلاب ذلك إلى نفسها ثم إنها ربما تجاوزت الحد في ذلك فتبعث على ركوب الفحشاء والمنكر من الأفعال والأعمال <sup>(٢)</sup> .

( يتبع ) محمد المدعو بصغير حسن المصومي

\*\*\*

(١) ب : وللوجب القوانين .

(٢) والمباراة الآتية زائدة مكررة لـ ب : « والأعمال أي على أن لا يعمل على الوجه الذي ينبغي والمقدار الذي ينبغي وفي الوقت الذي ينبغي وبموجب القوانين الشرعية إلا أن تزجرها قوة العقل وتردها إلى الواجب وذلك فيمن يتمكن منه العقل إما طبعاً وإما تعوداً » ..



# تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر؛ مع نقد وتعليق

- ١١ -

## ١ - سيد قطب :

من خير من كتب في موضوعات القرآن في هذا العصر «سيد قطب» ولم يؤلف كتاباً خاصاً في الإعجاز كما أنه لم يتكلم عليه صراحة ولكن قارئ كتابه «التصوير الفني في القرآن» و «مشاهد القيامة في القرآن» يشعر بأنه يؤمن بالإعجاز إيماناً عميقاً ويدين بالأمثلة التي يأتي بها من القرآن سحره الفني الذي يرادف في حقيقة الأمر «إعجازه البياني» .

واعتقاده بالإعجاز يظهر صراحة في بعض مقاطع من كتابه هذين واليكها :  
١ - قال في الصفحة ( ١٥ ) من التصوير الفني ( الطبعة الثانية ) : فتخذهام مرة ومرة : « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » ، « قل فأتوا بسورة مثله » . . . ولكنهم لم يأتوا بعشر سور ولا بسورة مفردة ! ولم يحاولوا هذه المحاولة أصلاً ، إلا ما قيل من محاولة بعض المتنبئين بعد محمد ؛ وليس هذا من الجدة في شيء ، ولا يجوز أن يحسب له في هذا المجال حساب . أما الرأي القائل بصرفهم عن المحاولة فلا بquam له وزن !

٢ - وقال في ( ص ١٦ ) من المرجع نفسه عند كلامه على أثر القرآن في سامعيه : فهو التأثير الذي يلحس الوجدان ، ويحرك المشاعر وينفض الدموع . يسمعه الذين تهبأوا للإيمان ، فيسارعون إليه كالمسحورين ، ويسمعه الذين يستكبرون عن الأذعان ، فيقولون : « إن هذا إلا سحر مبين » أو يقولون :

« لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون » فيقرّون بالاعجاز الغلاب من حيث لا يشعرون ، أو يشعرون .

٣ - وقال في ( ص ١٠ ) من « مشاهد القيامة في القرآن » : فهدني هنا هدف في خالص محض ، لا أنأثر فيه إلا بجاسة الناقد الفني المستقل ، فإذا التقت في النهاية قداسة الفن بقداسة الدين ، فتلك نتيجة لم أقصد إليها ولم أنأثر بها . إنما هي خاصة كامنة في طبيعة هذا القرآن ، تلتقي عندها دروب البحث في النهاية ، ولو لم يحسب السالك حسابها في الطريق . . . .

وهذه المقاطع تبين بوضوح كما ترى أنه يسعى إلى البرهان على إعجاز القرآن من حيث يتكلم على عميزته الفنية الأولى وهي التصوير فكأنه يريد أن يتحدث عن الإعجاز تحت عنوان آخر حديث .

والفن في القرآن - وهو كما يدّنا دعامة إعجازه عنده - قائم على الإبداع في العرض والجمال في التنسيق والقوة في الأداء ( مشاهد القيامة في القرآن ص ٢٣٥ ) وهذه المميزات الثلاثة تنبعث فيه من استعمال التصوير الفني الذي هو منبع سحره ( كتاب التصوير الفني ص ١٧ وما بعدها ) ويرى أن منابع سحر القرآن الأخرى التي يتحدث عنها غيره من المؤلفين والعلماء ليست شيئاً بالنسبة إلى هذا المنبع الذي خصّه هو بمنايته وهو التصوير الفني .

قال في ( ص ١٧ ) من « التصوير الفني » : ينظر بعض الباحثين في القرآن إلى القرآن جملة ثم يحيب ، وبعضهم يذكر غير النسق الفني للقرآن أسباباً أخرى يستمدّها من موضوعاته بعد أن ضارب كمالاً ، من تشريع دقيق صالح لكل زمان ومكان ، ومن إخبار عن الغيب يتحقق بعد أعوام ، ومن علوم كونية في خلق الكون والإنسان .

ولكن البحث في هذا النحو إنما يثبت المزية للقرآن مكتملاً فما القول في السور القلائل التي لا تشريع فيها ولا غيب ولا علوم ، ولا تجمع بطبيعة الحال

كل المزايا المتفرقة في القرآن ؟ إن هذه السور القلائل قد سحر العرب بها منذ اللحظة الأولى ، وفي وقت لم يكن التشريع المحكم ولا الأغراض الكبرى هي التي تسترعي إحاسهم وتستحق منهم الإعجاب . . . . . الى أن يقول في ( ص ٢٣ ) :

« وإنا نستطيع أن ندع - مؤثناً - قدامة القرآن الدينية ، وأغراض الدعوة الإسلامية ؛ وأن نتجاوز حدود الزمان والمكان ؛ ونخطي الأجيال والأزمان ، لتجد بعد ذلك هذا الجمال الفني الخالص ، عنصراً مستقلاً يجوهره ، خالداً في القرآن بذاته ، يتملأ الفن في عزلة عن جميع الملابس والأغراض . وإن هذا الجمال ليتلى وحده فيغنى ، وينظر في تساوقه مع الأغراض الدينية فيرتفع في التقدير » .

ويقول في ( ص ٣٢ ) : « إن لهذا الكتاب العظيم خصائص مشتركة ، وطريقة موحدة في التعبير عن جميع الأغراض . . . . . هذه الطريقة الموحدة ، هذه القاعدة الكبيرة . . . هي التصوير الفني في القرآن » .

ويقول في ( ص ١٩٤ ) : « وبعض الناس حين ينظر في هذه الموضوعات - يقصد الموضوعات الإلهية والتشريعية - يرى ما فيها من دقة وعظمة وصلاحية ومرونة ، وإحاطة وشمول ، يحسبها ميزة القرآن الكبرى ، ويحسب أن طريقة التعبير القرآنية تابعة لها ، وأن الإعجاز كله كامن فيها ، كما أن بعضهم يفرق بين المعاني وطريقة الأداء ، ويتحدث عن إعجاز القرآن في كل منها على انفراد . أما نحن فنريد أن نقول : إن الطريقة التي اتبعها القرآن في التعبير ، هي التي أبرزت هذه الأغراض والموضوعات ، فهي كفاء هذه الأغراض والموضوعات » .

ويشرح سيد قطب هذه الطريقة ويبين فضلها على غيرها في ( ص ١٩٦ ) فيقول : « لقد كانت السمة الأولى للتعبير القرآني هي اتباع طريقة تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية وإبرازها في صور حسية ، والير على طريقة

تصوير المشاهد الطبيعية ، والحوادث المماضية ، والقصص المروية ، والأمثال القصصية ، ومشاهد القيامة ، وصور النعيم والعذاب ، والنماذج الإنسانية ... كأنها كلها حاضرة شاخصة بالتخيل الحسي الذي يفعدها بالحركة المتخيلة . فما فضل هذه الطريقة على الطريقة الأخرى ، التي تنقل المعاني والحالات النفسية في صورتها الذهنية التجريدية ... ؟ إن المعاني في الطريقة الأولى تخاطب الذهن والوعي ، وتصل إليهما مجردة من ظلالها الجميلة . وفي الطريقة الثانية تخاطب الحس والوجدان وتصل إلى النفس من منافذ شتى : من الحواس بالتخييل . ومن الحس عن طريق الحواس . ومن الوجدان المنفعل بالأصداق والأضواء . ويكون الذهن منفذاً واحداً من منافذها الكثيرة إلى النفس ، لا منفذها المفرد الوحيد .

ولهذه الطريقة فضلها ولا شك في أداء الدعوة لكل عقيدة ولكننا إنما ننظر إليها هنا من الوجهة الفنية البحتة . وإن لها من هذه الوجهة لشأناً . فوظيفة الفن الأولى إثارة الانفعالات الوجدانية ، وإشاعة اللذة الفنية بهذه الإثارة ، وإجاشة الحياة الكامنة بهذه الانفعالات ، وتغذية الخيال بالصور لتحقيق هذا جميعه . وكل أولئك تكتلة طريقة التصوير والتشخيص للفن الجميل <sup>(١)</sup> .

ويتساءل المؤلف في ص ( ٢٠٥ ) من « التصوير الفني » عن « طريقة التصوير في التعبير » هل هي القاعدة الأولى في تعبير القرآن ؟ وهو يجيب على ذلك بهذه السطور التي أوردتها في مقدمة كتابه « مشاهد القيامة في القرآن » : « هذه القضية لدي كل ما يؤكد من الإحصاء الدقيق لنصوص القرآن . فالقصة ومشاهد القيامة ، والنماذج الإنسانية ، والمنطق الوجداني في القرآن ، مضافاً إليها تصوير الحالات النفسية ، وتشخيص المعاني الذهنية ، وتمثيل بعض

(١) راجع الأمثلة على ذلك في ص ١٩٧ وما بعدها وفي مواضع أخرى كثيرة من الكتاب .



الوقائع التي عاصرت الدعوة المحمدية ٠٠٠ تؤلف على التقريب أكثر من ثلاثة أرباع القرآن من ناحية الكم . وكلها تستخدم طريقة التصوير في التعبير . فلا يستثنى من هذه الطريقة إلا مواضع التشريع ، وبعض مواضع الجدل ، وقليل من الأغراض الأخرى التي تقتضي طريقة التقرير الذهني المجرد . وهي على كل حال محصورة فيما يوازي ربع القرآن .

فليس هنالك من شطط حين أقول : « إن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن » .

والى جانب هذه السمات التي تكون في نظر المؤلف سحر القرآن الفني المرادف في الحقيقة لإعجاز القرآن يعتقد المؤلف بأن تكرار القرآن أكثر قصصه في صور مختلفة هو ضرب من الإعجاز ويقول في ذلك ( ص ٨ من مشاهد القيامة في القرآن ) :

« والعجيب حقاً أن تعدد هذه المشاهد - وأساسها واحد - لم ينشئ نوعاً من التكرار . فكل مشهد يختلف عن سابقه في كلياته أو جزئياته . وذلك لونه من الإعجاز شبيه بالإعجاز في خلق الملايين من الناس ، كلهم ناس ، ولكن لكل منحة وسمة ، في هذا المتجف الإلهي العجيب !!! » .

ونسنتج من هذا كله أن المؤلف لا ينكر إعجاز القرآن من حيث التشريع والإخبار عن الغيب والعلوم الكونية ولكنه يرى أن إعجاز القرآن أو سحره - في تعبير المؤلف - قائم على الإبداع في العرض والجمال في التنسيق والقوة في الأداء وهي تتمثل أو تنبعث في ثلاثة أرباع القرآن من استعماله طريقة التصوير الفني .

## ٧- الأستاذ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني :

هو أحد علماء الأزهر المعاصرين وقد ألف كتاباً في إعجاز القرآن سماه «مناهل العرفان في علوم القرآن» . جاء فيها بثلاثة عشر وجهاً لإعجاز القرآن بعضها تكرر لما قاله الأقدمون وبعضها قال به الأقدمون ولكنه ضرب عليه أمثلة جديدة أو اجتهد فيه اجتهداً أظن فيه بعض الجدة في القالب لا في الجوهر . ومن أهم ما جاء في مقدمة هذا الكتاب أن اختيار الألفاظ في القرآن يظهر فيه وجه من الإعجاز من حيث أن أهل كل عصر يفهمونها بما يناسب تفكيرهم وبلاتم ذوقهم وبواطن معارفهم ولو استبدلت تلك الألفاظ بشيها لم يصلح القرآن لأن يخاطب به الناس كافة .

ويلاحظ أن هذه الخاصة لا ينفرد بها القرآن بل يشاركه فيها على التحقيق كل الكتب والآثار الأدبية القديمة لأن الألفاظ كاللشر تخضع لنواميس الحياة وتنتقل من طور إلى طور وتختلف مقاماتها في الأذهان باختلاف العصور والبيئات .

ومن أهم ما جاء في مقدمته لوجوه الإعجاز في القرآن الأمور الأربعة التالية :  
١- النغمة الصوتية فسامع لحن القرآن لا يسأم ولا يمل لأنه ينتقل فيه دائماً بين ألحان متنوعة وأنغام متجددة وقد سبقه إلى القول بها الباقلاني والجاحظ والرافعي وغيرهم .

٢- إرضاء القرآن للخاصة والعامة والمؤلف فضل التوسع في هذه النقطة وإيضاحها .

٣- إرضاءه العقل والعاطفة ويستمد المؤلف هذه النقطة من عناصر البلاغة كما يفهمها الأدباء المعاصرون .

٤ - جمع القرآن بين الإجمال والبيان فالجمل في واضحة مع احتمالها عدة معانٍ آخر أي إن الجمل فيه موحية بكثير من المعاني .  
 ويلاحظ أن القرآن لا يتفرد بهذه الخواص بل يشاركه فيها الآثار الأدبية الموقفة . ولعل المؤلف يريد أنها لا تساويه درجة في هذه الخواص التي فاز منها بالسهم الأعلى .

ومن أم وجوه الإعجاز التي ذكرها المؤلف ما يلي :

أ - لا استطاع مجازاة القرآن في ترتيبه وانسجامه وترابطه فالانسجام في السور التي نزلت آياتها متفرقة هو الانسجام نفسه في السور التي نزلت آياتها دفعة واحدة .

٢ - هدايات القرآن وعلومه مع أمية النبي . وهنا يقارن المؤلف بين الإسلام والمسيحية واليهودية في عقيدة الإيمان بالله وفي عقيدة البعث والجزاء .  
 وهنا يتكلم على وفاء القرآن بحاجات البشر .

٣ - موقف القرآن من العلوم الكونية . والمؤلف لا يريد أن يجعل استنباط العلوم الكونية من القرآن دليل إعجازه لأن هذه العلوم تتغير نظرياتها باستمرار . ولكنه يعتقد أن هذه العلوم إذا استقرت وثبتت حقائقها أمكن حينئذ أن تستنبط من القرآن أو تطبق عليه . وهو يرى أن عدم تعرض القرآن لنظرياتها دليل إعجازه . وهنا نرى أنه يثبت النظرية العلمية في الإعجاز من حيث يريد إنكارها .

٤ - سياسته في الإصلاح وهي تتمثل بالتدرج في التشريع وحسن الدعوة إلى الإسلام بالموعظة الحسنة .

٥ - أنباء الغيب في القرآن . ومنها أمور تتعلق بالاجتماع كقوله تعالى :  
 « إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْفِرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يَنْفِرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ » .

٦ - تأثير القرآن في نفوس أعدائه وأتباعه ونجاحه .  
ويأتي المؤلف بشبهات يوردها المتاحضون لإعجاز القرآن على الأسلوب وغير  
الأسلوب وينقضها واحدة واحدة .

\*\*\*

جدول بأسماء المتكلمين الذين لم أطلع على آرائهم في الإعجاز وبأسماء  
كتبهم التي ألفوها في هذا البحث ولم أظفر بها لأطالعها وقد اقتبسته عن مقالة  
الأستاذ عبد المليم الهندي السابقة :

- عبد الواحد بن اسماعيل الروياني توفي سنة ٥٠٢ هـ<sup>(١)</sup> .
- ابن بيجوك البقالي توفي سنة ٥٦٢ هـ<sup>(٢)</sup> .
- قاسم بن فروة<sup>(٣)</sup> توفي سنة ٥٩٠ هـ<sup>(٤)</sup> .
- ناصر بن عبد السيد المطرزي توفي سنة ٦١٠ هـ<sup>(٥)</sup> .
- ابن كمال باشا . توفي سنة ٩٤٠ هـ<sup>(٦)</sup> .
- إبراهيم بن أحمد الجزري . ؟<sup>(٧)</sup> .
- محسن بن حسين النيسابوري الخوزني ؟<sup>(٨)</sup> .

\*\*\*

- (١) انظر حاجي خليفة تحت اسم إعجاز و ليس لهذا الكتاب أثر .
- (٢) انظر فهرس الكتب العربية MSS برلين المجلد الأول ص ٢٨٨ - ٢٨٩ برلين  
MS. Spr. 819
- (٣) لفظ هذا الاسم مسمى . في المعارف هو فبره ويمكن أن يكون محرقة . وفي الارشاد  
المجلد الرابع ص ١٨٤ هو فبره وبروكلان يقرأه 'فروه' المجلد ص ٤٠٩ ويذكر  
أنه يمكن أن يكون اسما اسبانيا قديما
- (٤) و (٥) انظر للمعارف المجلد ١٨ عدد سنة ١٩٢٦ ص ٣٣١ والائتان موجودان  
في خزانة المدينة .
- (٦) و (٧) انظر فهرس خزانة برلين MSS المجلد ص ٢٨٨ - ٢٨٩ فقط ٨ غير  
موجود MS برلين Spr سنة ٨١٩ .
- (٨) انظر كشف الحجب عن أسماء الكتب كالكرتة ١٩١٢ ص ٥٢ وهو مفقود .



جدول بأسماء مؤلفين جعلوا هذا البحث جزءاً من كتبهم التي وصلت إلينا ولم أتحدث عنهم :

- ١ - عبد القاهر بن طاهر البغدادي ( ٤٢٩ هـ ) في كتابه أصول الدين المنشور في استامبول سنة ١٩٢٨ م .
- ٢ - علي بن محمد الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ في كتابه أعلام النبوة المنشور في القاهرة سنة ١٣١٥ هـ .
- ٣ - عبد الملك بن عبد الله الجويني ( أبو المعالي إمام الحرمين المتوفى سنة ٤٨٨ هـ ) في كتاب الإرشاد في أصول الاعتقاد ( ليدن ) .
- ٤ - محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ( ٥٤٨ هـ ) في كتاب نهاية الإقدام في علم الكلام ( اكسفورد ) .
- ٥ - تقي الدين بن نعيم ( ٧٢٨ هـ ) في كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ( ط القاهرة ١٣٢٣ هـ ) .
- ٦ - هبة الله البارزي ( ٧٣٨ هـ ) في كتاب توثيق عرى الأديان في تفضيل حبيب الرحمان ( مخطوط في برلين ) .
- ٧ - بدر الدين بن عمر بن حبيب ( ٧٧٩ هـ ) في كتاب النجم الثاقب في أشرف المناقب ( MS. Berlin Pet. 342 )
- ٨ - سعد الدين التفتازاني ( ٧٩١ هـ ) في كتاب شرح مقاصد الطالبين في أصول الدين ( طبع استامبول سنة ١٢٧٧ هـ ) .
- ٩ - الشريف الجرجاني ( ٨١٦ هـ ) في كتاب شرح المواقف ( تأليف الأبيحي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ ) طبع ليبزغ ١٨٤٨ مخطوط في برلين .
- ١٠ - أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي ( القطب ) في كتاب الخرائج والجوارح ( مخطوط برلين ) . وقد أدخل هذا الكتاب محمد باقر المجلسي المتوفى سنة ١٠١١ هـ في كتابه ( الملمعة ) المسمى بحار الأنوار المطبوع في طهران

سنة ١٣٠٣ هـ - ١٣١٥ هـ . (راجع فيما يتعلق بمحمد باقر المجلسي معجم الكتب العربية المطبوعة والمعرفة لسركيس) .

وقد وجدت في كتاب أعلام الشيعة للعالمي ( مؤلف حديث ) ترجمة قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي فقال إنه تليذ صاحب مجمع البيان وذكر أن له خلاصة التفسير في عشرة مجلدات وتفسير القرآن في مجلدين وذكر أنه عاش في المائة السادسة ولكنه لم يذكر أن له كتاب الخرائج والجوارح .

١١ - يحيى بن حسن القرشي الزبيدي في كتاب منهاج التحقيق ومحاسن التلخيص ( MS. Berlin G ls. 96 ) .

١٦ - رحمة الله الهندي في كتابه ( إظهار الحق ) المنشور في القاهرة ١٣٠٩ هـ .

\* \* \*

### خاتمة

ذكرت رأيي في إعجاز القرآن وأفنت فيما ثار من النزاع بين العرب في حياة النبي فليرجع اليه هناك من شاء . ولا أرى الآن بدءاً من القول بأن فكرة الإعجاز عقيدة دينية مثل غيرها من العقائد التي لا يمكن أن يؤيدها برهان عقلي أو حسي حاسم يكون له قوة البرهان الرياضي فيقنع الخصم المعاند ، وأنها قائمة على الفناعة الوجدانية فالحجة التي تقنع المناصر قد لا تقنع المنكر ، بل قد تزيد إنكاراً . والمؤمن بفكرة الإعجاز يرى أن عجز العرب عن معارضة القرآن دليل على إعجازه وعلى رسالة الرسول على حين يرى من لا يؤمن بها أن عجزهم حينئذ دليل على أن النبي خيرهم بياناً وليس دليلاً على أنه رسول الله وعلى أن القرآن كلام الله ، وذلك كما لو عجز الناس عن معارضة امرئ القيس من شعراء العرب أو شكسبير من أدباء الانكليز فإن عجزهم لا يجعل من أحدهما رسولاً . ولا شك في أن تذوق جمال القرآن الأدبي يختلف من شخص إلى آخر باختلاف

عقيدته وذوقه الفني الأدبي ومنشئه وميله . وليس من الممكن أن يتذوق الملحد ومن لا يرى القرآن منزلاً من عند الله حلاوة القرآن كما يتذوقها من يراه دستور الإنسانية الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ونرى أن فكرة الإعجاز، شأن كل فكرة علمية أو أدبية، تسير روح العصر الذي تعيش فيه فيظهر فيها التجديد والقوة حيث تكون نهضة متروية ويظهر فيها الجمود واجترار ما قاله المتقدمون حيث يهيمن الجمود والموت الاجتماعي ويبدو التناقض لدى القائلين بها حيث يخيم ظلام الجهل وضمف التفكير ويناهضها الإنكار أو معارضة القرآن حيث يحصل تصادم واحتكاك قوي بين الثقافات والديانات واللغات والشعوب فيثور من جراء ذلك كله نقاش شديد في المسائل الاجتماعية والدينية والأدبية يشتد فيه إنكار المنكرين كلما اشتدت فيه مناصرة المؤيدين لتوازن قوى المجتمع بنتيجة ذلك التوازن الطبيعي .

وقد انتهيت من دراسة أفكار من نكحوا في الإعجاز إلى أن فكرة الإعجاز يبلغته كانت أقوى هذه الأفكار . ولكن القدماء الذين أرادوا أن يثبتوها لم يكن عندهم آراء ونظرات فنية كاملة في فنون البلاغة التي كانت في زمنهم قاصرة إذا قسناها بفنون البلاغة الحديثة كما يدركها الغريون وكما يجب أن تكون عندنا اليوم فلم يستطيعوا أن يبلغوا شأواً بعض المحدثين كالأستاذ الخولي الذي يقول بالإعجاز النفسي، والأستاذ سيد قطب الذي يقول بسحر القرآن بفضل التصوير الفني الرائع الذي فيه ويأتي على ذلك بالأمثلة .

وإن كان لا بد من خاتمة لهذا البحث فلي أن خذ المسألة الفرعية من علم الكلام كانت ولا تزال مرآة للحركة الفكرية عند العرب والمسلمين منذ بعث النبي إلى الآن وستبقى كذلك مرآةً وميداناً للأخذ والرد والجدل ما بقيت الأرض .

## المراجع

- إعجاز القرآن للرانعي
- إعجاز القرآن للبافلاتني
- تفسير الطبري
- مقدمة حسن الصنيع
- مقدمة التلخيص للقزويني
- دلائل الإعجاز للجرجاني
- كتاب الطراز ليحيى بن حمزة العلوي البجلي
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدين الرازي
- التفسير الكبير : مفاتيح الفيب لفخر الدين الرازي
- مفتاح العلوم للسكاكي
- الفصل في الملل والنحل لابن حزم الأندلسي
- رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده
- البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها : الأستاذ أمين الخولي
- التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم : الأستاذ أمين الخولي
- البلاغة وعلم النفس في مجلة كلية الآداب المجلد الرابع الجزء الثاني سنة ١٩٣٦ : الخولي
- ترتيب نصوص آي الذكر الحكيم في أبواب الدين القويم : وضع سلامة محمد
- تفسير الكشاف للزمخشري
- الاتقان في علوم القرآن للسيوطي
- مفردات الراغب ومختار الصحاح والقاموس المحيط
- تفسير الألوسي



- سر الفصاحة لابن منان الخفاجي .
- كشف الظنون لحاجي خليفة .
- مقالة للأستاذ كراوس ، مجلة الأديب ص ٣٢ سنة ١٩٤٣ — ١٩٤٤ .
- الملل والنخل للشهرستاني .
- مقدمة ابن خلدون .
- كتاب الحيوان للجاحظ .
- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري .
- «مقالة في الاعجاز لعبد العليم الهندي في مجلة الثقافة الاسلامية التي تصدر في الهند باللغة الانكليزية العدد ١ و ٢ من سنة ١٩٣٢ .
- The Islamic culture N.1 and 2. 32 th year : Concluded Abdul Aleem Hindi. »
- التصوير الفني في القرآن لسيد قطب .
- مشاهد القيامة في القرآن لسيد قطب .

نعيم المحمدي



# التعريف والنقد

## المصطلحات العلمية في اللغة العربية

في القديم والحديث

كتاب يقع في ١٣٥ صفحة ، وهو مجموعة سلسلة من المحاضرات ألقاها د. مصطفى  
العلامة الأمير مصطفى الشهابي في القاهرة على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية  
في معهد الدراسات العربية العالية ، بدعوة من مدير المعهد الأستاذ العالم السيد  
ساطع الحصري .

موضوع شائك لا يستطيع الجولان فيه إلا من وقف نفسه على التقصي ،  
وبحث جليل تفتقر إليه لغة الضاد أشد الافتقار ، فلا عجب إذا ما انتدب له  
بجائته كبير كالأمر مصطفى الذي عانى أمر المصطلحات العلمية زهاء ثلث قرن ،  
فوضع وحقق في خلال هذه السنوات الطوال ألوف المصطلحات في علوم الزراعة  
والمواليذ ولا سيما النبات ، وتقع اللغة العربية أخيراً بثمرة عمله الرائع فطبع في  
السنة ١٩٤٣ «معجم الألفاظ الزراعية» الذي سد ثغرة كبيرة في باب المصطلحات  
العلمية . وقد كنا نتمنى لو حذا حذوه الاختصاصيون في مختلف العلوم ، فوضعوا  
أو حققوا مصطلحات اختصاصاتهم ، وأخرجوا اللغة العربية من هذا المأزق الذي  
تعانيه . ولست أظن أن شعباً متطلباً للاستقلال والتجرد يستطيع بلوغ هذه  
الأمنية إذا لم يحرر لفته من ريق اللغات الأجنبية ، ولا أغالي إذا قلت إن كل  
شعب مستقل ، ولفته لا تزال عاجزة عن السير في مضمار العلم ، يعد شعباً مستعبداً ،  
لأن اللغة بعلومها ، والأمة بلفتها ، فهي شعار القومية ودليل الاستقلال الفكري .  
وفي البلاد العربية اليوم نهضة مباركة نتمنى لها النجاح ، ونرجو أن تنفضي

أعمالها الى وضع معجم جامع للعلوم تقوله الجامعات العلمية في البلاد العربية ، فتوحد المصطلحات ، ويقطع عيائونا هذه المرحلة الأولى ، مبتدئين برحلتهم الثانية ، وهي البحث والتقصي والاكتشاف . .

إن من يتصفح هذا الكتاب يدرك العناء الكبير الذي كابده المحاضر في جمع هذه المعلومات الماتعة التي ضمنها محاضراته ، فهو لم يترك ناحية إلا طرقها ، فبعد أن بحث في اللغة العربية ونشأتها تكلم عن وسائل نمو اللغة : عن الاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب . ثم ماشى اللغة العربية منذ القديم حتى عصرنا الحاضر ، متنقلاً منها في الجاهلية وأيام الراشدين والأمويين والعباسيين ، مبيّناً هيوب المعجمات العربية القديمة التي لم تعد صالحة لمباشرة العلوم الحديثة ، وانتقل بعد ذلك الى النهضة الحديثة في نقل العلوم فجاء على النهضة المصرية ، فعلى النهضة الشامية ، ولم يهمل جهد الأفراد في وضع المصطلحات العلمية ، ولا عمل الجامعات العلمية في البلاد العربية : المجمع العلمي العربي بدمشق وجمع اللغة العربية في مصر والمجمع العلمي العراقي ، وقد خص الجامعة السورية بكلمة طيبة . وأسهب في أعمال مجمع مصر . ولم يكشف بذكر تلك الجهود التي قام بها الأفراد والجماعات بل ذكر آراءه في نقل الألفاظ العلمية الى اللغة العربية فكانت آراءً مدبّدة دالة على ما اتصف به المؤلف من سعة التفكير وعمق التقصي ، وأخص منها رأيه في شروط النقل وتوحيد المصطلحات العلمية ، والوسائل المؤدية الى هذه الغاية . والخلاصة ان محاسن هذا الكتاب على صفه لا تعد ، وان الالمام بها في كلمة مقتضبة كهذه أمر متعذر ، فعلى كل عالم ولغوي أن يطالع هذه الأبحاث ، ويبي ما جاء فيها من النصائح والارشادات والآراء ، ولا سيما من كانت مهمته وضع المصطلحات العلمية أو تحقيقها .

إنني أكبر عمل رصيفنا العلامة الأمير مصطفى ، وأسدي اليه باسم اللغة التي أضنى جسده في خدمتها أجزل الشكر على هذه التحفة الثمينة .

الدكتور مرشد خاطر

\*\*\*\*\*

### القرآن المجيد

لو قال لي قائل : دلي على تفسير القرآن بالقرآن ، بحيث تكون آياته في الموضوع الواحد مجموعة في مكان واحد ، ومفسرة تفسيراً يجمع بين معانيها جمعاً محكماً ، لقلت إنك تجد هذا في تفسير الأستاذ المستقل . (عزة دروزة) ؛ فقد رتب كتابه الذي وصف فيه ( القرآن المجيد ) هذا الترتيب ، وأقامه على أربعة فصول ، فالنصل الأول في القرآن - أسلوبه ووحيه وأثره ، والثاني في جمعه وتدوينه وقراءاته ورسم المصحف ، والثالث في الخطة المثلى لفهم القرآن وتفسيره ، والرابع نظرات وتعليقات على كتب المفسرين ومناهجهم ، وتجت كل فصل من هذه الفصول الأربعة ، عناوين لمسائل متنوعة ، ثم ختمه ببيان أفضل المناهج لتفسير القرآن . وهذا المؤلف الذي بلغ ثلاثمائة صفحة قد جعله مقدمة لتفسيره الكبير الذي يقع في عدة مجلدات ، كما أشار إليه في أولها . ومن أمعن النظر في هذه الفصول رأى فيها فوائد جمة ، ومباحث مهمة ، كأسلوب القرآن والسيرة النبوية ، وشهود العيان لأعلام النبوة ، وأثر القرآن الروحي وبلاغته اللفظية ، وأثر الدعوة القرآنية في نجاح الفتوحات الإسلامية ، (ورد هنا على الأستاذين فيليب حتي وكاتباني في دعوى أن انتصار الجيوش العربية كان انتصاراً للعروبة ، لا للدعوة الإسلامية ، ردّاً معززاً بالشواهد الكثيرة) ، والقرآن والعرب في عهد النبي ، ومن مباحث الفصل الثاني ، ترجيع تدوين القرآن وترتيبه في عهد النبي (ﷺ) ومرجحات ذلك ، كتابة ترتيب التذول وعدد الآيات ، رسم المصحف العثماني ، والقراءات ، ومن الثالث : القرآن والسيرة النبوية ، لغة القرآن ، الفصص القرآنية ، الملائكة والجن في القرآن ، مشاهد الكون ونواميسه في القرآن ، تسلسل الفصول القرآنية وسياقها ، فهم القرآن من القرآن . وفي الفصل الأخير نظرات المفسر الثابتة ، وتقده بالمنقول



والمعقول لبعض مروياتهم في أسباب النزول ، والتفسير ، وتعليقات المفسرين على القصص ومشاهد الكون والملائكة والجن ، والتعصب للمذاهب في ضياق التفسير ، والولع باستنباط الرموز والمصطلحات ، والتفريع والاستطراد ، ونقد روايات نزول القرآن جملة واحدة ، والقول بنزوله بالمعنى ، وفتنة القول بخلق القرآن . وطريقته في هذه المقدمة أن يتوج مباحثه بما يناسبها من الآيات الكريمة ، بعد أن يمهّد بالدخول عليها بما يبعث في النفس شوقاً إلى تلاوتها ، ثم يفسر الآية أو الآيات بالظاهر المتبادر منها ، مشيراً إلى أرقامها وسورها ، مستعيناً بالمعقول والمنقول من أسباب النزول ، وبالزمان والمكان اللذين أنزلت فيهما الآيات ، وبمصر النبوة في حوادثه ووقائعه ، وببيئة الرسول قبل البعثة ، ويفسر القرآن بالقرآن ، ثم بما يتصل به من سيرة النبي عليه الصلاة والسلام . فمنهج في هذا كله سلفي وإن كتب بلغة حديثة ، واستمد من قوى العصر ومعارفه وهو يرى أن السعادة لا تعود لهذه الأمة إلا إذا عادت إلى القرآن علماً وعملاً ، وأدباً وخلقاً . فقيه « أفوى الخوافز إلى أسمى الآفاق ، وأبعد الأشواط الموصلة إلى أعلى ما يمكن أن يكون من رفعة الذكر ، وعلو القدر ، وقوة التمكين والنصر ، وجعلت متبعيه خير أمة أخرجت للناس إذا هم قاموا بأعباء ما حملهم إياه من تبعات ، وأدّوا ما ائتمنوا عليه فيه للانسانية من أمانات » . وقد تكلم على كتب التفسير ، وما فيها من زيادات أو تقصير ، كما ردّ على كتب التبشير والتنصير بحدود محكمة ملازمة . وختم الكتاب بإيراد عشرة وجوه يحتاج إليها المفسّر ليكون تفسيره وافياً بالمطلوب .

وإني موضع هنا ما جاء في أواخر هذا الكتاب من القول بترجمة القرآن الكريم ، قال المؤلف ( ص ٢٩٤ ) : « وننبه على أننا لسنا هنا في معرض منع ترجمة القرآن وعدم جوازه ، بل إننا نرى هذا مفيداً جداً ، وواجباً لازماً ، في سبيل نشر الدعوة الإسلامية القرآنية العظمى » .

وأقول هذا حق ، ولكن المعقول أن يترجم ترجمة تفسيرية لآيه وسوره ، وأن تبلغ دعوة الاسلام الى كل أمة بلغتها ، فاذا أشربتها قلوبهم تعلم عاقبتهم بالعريه ما تصح به عبادتهم ، وتدرس اخلاصة القرآن والعلوم الدينية ، والفنون العربية والأدبية بلغة العرب ليندو قوا إيجازه وإعجازه ، وحقيقته ومجازه . أما الترجمة الحرفية فهي منعذرة في كثير من كلماته ، لا سيما أسماء الله تعالى وصفاته ، وقد انتشرت العربية - تبعاً للإسلام - في قارات الأرض الثلاث ( آسيا وأفريقية وأوربا ) ودخلت أمم كثيرة في العروبة والاسلام ، فهل كانت تلاوة القرآن ودراسة بلغته إلا هدى ورحمة ، وإحساناً وتوفيقاً « تأخت فيه شعوب كثيرة » وتعاونت على مدنية كانت زينة الأرض وضياء ونوراً لأهلها . وقد كانوا في الصدر الأول إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً ، وهذه هي الطريقة المثمرة التي تجدد لنا عهداً بطريقة سلفنا الذين استجلبهم الله في الأرض ، ومكن لهم فيها ، وأورثهم علوم الأمم وحضارتهم ، فتوجه أنظار المعاهد التي تعنى بدراسة القرآن وتدريبه الى هذا المنهج السلبي الذي يطبع الدارسين بطابع اللغة والاسلام والفضيلة . وقد زرنا مدارس الاستشراق في بلاد السوفيت ، وسمعنا كلام الدارسين والدارسات للغة العربية ، وفي ليننغراد ( عاصمة الروس القديمة ) يدرسون القرآن الكريم بلغته ، وفي المعرض الزراعي بموسكو ظلت قاعة مستعربة تكلنا باللغة الفصحى نحو ساعتين ، وقالت : وقد علينا أناس من بلاد العرب لم تفهم لمجتهم العامية ، ولم يستطيعوا أن يكلونا بلغة القرآن ؟ فنحن إذا دعونا الى لغة القرآن والدين ، والى مثل هذا التفسير السلبي المصري فقد دعونا الى نهضة قيمة ، وحياة طيبة ، وعز تالذ ، ومجد خالد ، ونسأله تعالى أن ييسر للمؤلف الكريم طبع تفسيره ليعم نفعه .

هذا وقد وقعت أخطاء ، لم يخل من مثلها كتاب ، ولم تثبت في جدول

الخطأ والصواب ، وأقتصر على كلمات الذكر الحكيم منها لتصحيح ٦ وغيرها يسير جداً :

| الخطأ               | الصواب                     | الصفحة | السطر |
|---------------------|----------------------------|--------|-------|
| وصدق عنها           | « وصدق »                   | ٨      | ٦     |
| كبيرا               | « كثيرا »                  | ٩      | ٢     |
| ان هذا كتابنا       | « هذا »                    | ٢٨     | ٨     |
| وهذا                | « هذا »                    | ١٥٢    | ٤     |
| وان هذا             | « إن هذا »                 | ١٥٢    | ٤     |
| وانما يسرناه        | « فانما »                  | ١٥٢    | ٧     |
| وانما أنزلنا الكتاب | « انا أنزلنا عليك »        | ١٥٢    | ١٠    |
| وان هذا             | « إن هذا »                 | ١٥٣    | ١     |
| وقد سمعنا           | « قد سمعنا »               | ١٥٣    | ١     |
| قالوا أساطير        | « وقالوا »                 | ١٥٧    | ١     |
| ينظرون نظر          | « ينظرون اليك »            | ١٦٣    | ١٠    |
| واذا خلوا الى بعضهم | « واذا خلا بعضهم الى بعض » | ١٧٠    | ١     |
| ثم يقولون           | « ثم يتولون »              | ١٧٠    | ١١    |
| لا يحيطون بشيء      | « ولا يحيطون »             | ١٩٢    | ٢٢    |
| إن امهاتهم اللائي   | « إلا اللائي »             | ٢٠١    | ١٧    |
| وبش المصير          | « فبش المصير »             | ٢٠٢    | ١٠    |
| بالصدقات            | « في الصدقات »             | ٢٠٣    | ١٠    |
| دابئة الأرض         | « دابة من الأرض »          | ٢٦٥    | ٣     |
| عيسى                | « عيسى »                   | ٢٨٥    | ٤     |

## مي زيادة

مع رائدات النهضة النسائية الحديثة

وهي محاضرات في ٢١٤ صفحة ألقاها العلامة الدكتور منصور فهمي ، على طلبة قسم الدراسات الأدبية ، في معهد الدراسات العربية العالية ، التابع لجامعة الدول العربية .

والمعهد المذكور أنشئ في القاهرة ، في السنة الدراسية ١٩٥٣ - ١٩٥٤ ، وعُهد إلى العلامة ساطع الحصري بإدارة شؤونه ، فسن سنة حسنة تقضي بدعوة علمائنا وأدبائنا إلى إلقاء محاضرات مسهبة في شتى المواضيع المتصلة بفروع التدريس ، علاوة على الدروس الأصلية التي يدرّسها الأساتذة في تلك الفروع . وبينما يكون المحاضر مكباً على إلقاء محاضراته ، تكون المطبعة منهكة في طبعها ، وهكذا استطاع الأستاذ الحصري أن يتحف الثقافة العربية بأكثر من خمسة وعشرين كتاباً تقيماً في سنة مدرسية واحدة أو سنتين .

وكتاب «مي زيادة» هو ثمرة يانعة من هذه الثمرات ، فمؤلفه معروف في البلاد العربية بأنه علم من أعلام الفكر والأدب في عصرنا الحاضر . وقد كانت له صلات وثيقة بالآنسة مي رحمها الله ، فلا عجب إذن أن يصور حياتها أضيق تصوير ، وأن يحلل أديها أدق تحليل ، بقلم طبع ، وبيان مشرق ، وآراء في الأدب والاجتماع بعيدة الغور ، لا يبلغ دقائقها إلا عالم تفاني عميق التفكير .

بدأ المحاضر الفاضل كلامه على رائدات النهضة النسائية الحديثة ، ومن عائشة التيمورية ووردة البازجي وملك حنفي ناصف «باحثة البادية» ، فاستغرق حديثه هذا نحو نصف المحاضرات ، وانتقل بعد ذلك إلى التحدث عن مي الأدبية والكاتبة المفكرة ، فأوضح رأيها ورأيه في تعريف الأدب ، ثم وصف هيكلها



المادي على ما بقي من صورتها في مخيلته ، وذكر شيئاً عن نشأتها وبيئتها ودراساتها وصفاتها النفسية ، وعقَّبَ بالتكلم على ثقافتها وأسلوبها في التفكير والكتابة ، وفلسفتها في الحياة ، ونظرتها الى الأدب والشؤون الاجتماعية ، ولا سيما رأيها في قضية المرأة . وانتهى الى البحث في تأثيرها الأدبي والاجتماعي والسياسي ، وفي نهايتها الأليمة عقب ما انتابها من محن وشجوت .

وقد دلَّ المؤلف على كل ذلك بجمل كثيرة نقلها من رسائل مي ومقالاتها وكتبها وأقوال الأدباء فيها وفي أدبها .

وبعد إن كتاباً يؤلفه مثل هذا الفيلسوف والأديب الكبير ، ويتحدث فيه عن مثل الثابتة مي لا يمكن إلا أن يكون قطعة من الأدب الرفيع الممتع .

السهرابي



## علم السموم

تأليف الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

زميلنا الأستاذ الكواكبي من المؤلفين المكثرين والمجتهدين معاً ، امتازت كتبه المطبوعة العديدة بجزالة الأسلوب وباللغة الفصيحة الصحيحة ، ناهيك بدقة البحث وصحة الرأي مما يجعلها حجة يرجع اليها ويعتمد عليها .

وآخر ما ألتحف به المكتبة العربية هو علم السموم ، وقد أنافت صفحاته على الخمسمائة ، طبع في مطبعة الجامعة السورية على ورق جيد ضمَّنه الرواسم العديدة والجداول الكثيرة مما هوَّئ استساغة بحوثه العويصة وسهل فهمها واستمراءها . وصنَّفه المؤلف لطلاب فرع الصيدلة في كلية الطب .

ولقد تصدى في مؤلفه القيم هذا ، الى البحث في منشأ السموم وأوصافها وخواصها ، وما أثر منها في البدن تأثيراً سيئاً وأعراض التسمم بها . وغايته

كما جاء في تعريف المؤلف هي إغاثة المسومين بإعطاء ما يضاد السم ، وتحري السم في المفرغات والأحشاء بالطرق الفيزيائية والكيميائية والغرائزية ، كما أنه يعنى بالصحة العامة لوقاية العمال المشتغلين بمختلف الصناعات التي قد ينتج عنها تسمم حاد أو بطيء ، وبوقاية السكان من الغازات والأبخرة السامة المنطلقة الى الجو من المعامل ، وما الى ذلك من الغابات النبيلة التي الملح اليها الزميل الفاضل في مقدمة كتابه . ثم عدد طرق دخول السموم البدن وامتصاصها ونمط تأثيرها وفعل السموم في الأعضاء المختلفة وتوزع السموم في البدن الحي وتوضعها (استقرارها) والاستتجابات التي تطرأ على البدن من السموم ، وإطراح السموم والبادزهرات والاصعاف وخطة العمل في حوادث التسمم والكشف الكيميائي الشرعي وفحص الأحشاء وتصنيف السموم على اختلاف أنواعها ، وما شاكل ذلك من الموضوعات القيمة التي لاغنى للطالب عن دراستها والاحاطة بدخائلها .

والأستاذ الكواكبي يميل في تصانيفه ميلاً شديداً الى التثنت والاشتقاق في نقل المصطلحات العلمية الأفرنجية الى العربية ، وعلى ذلك فقد أكثر في كتابه الذي نحن في صدده من أمثال الكريدرات عن الكريات الحمر والكريضات عن الكريات البيض وتنترج الدم عن الآزوتيميا (وهي كلمة عالمية شائعة في جميع اللغات) والبلسمة عن إزالة الانسجام والتفحمن عن الانسجام بأوكسيد الكربون (ولا أقول الفحم) ، والأشعة ماثوسيجية عن الأشعة ما فوق البنفسجي (بالنسبة الى الطيف) ومقيهل عن المقيء والمسهل والجزقي عن الجزر المقيء والسملاحين عن السم الآحيتي ، والبادزهرات (أو الفادزهرات لأن العادة في تعريب الكلمات الفارسية أن تبدل الپاء بالفاء) عن مضادات السموم أو الترياق الذي استعمله الأطباء الأقدمون ، وما الى ذلك من الكلمات العديدة التي تجزير استعمالها زميلنا الفاضل والتي لا غبار عليها من حيث الأساس والصناعة . وعندى أن

لا عيب فيها سوى صعوبة استيعابها . وإني مع إعجابي الشديد بمجهود الصديق وغيرته على لغة الضاد وجده في نحت أمثال تلك الكلمات الجديدة وتوليدها أمل أن تكتب لها الحياة والبقاء . وأرى أن في إدخالها الآن في الوقت الحاضر في صلب لغتنا العلمية تمقيداً لا مبرر له ، وما كانت لغة العلم لتستساغ إلا عند بساطتها وسهولة فهمها . وأهل العلوم المصرية في أيامنا هذه لا غنى لهم عن إتقان إحدى اللغات الأجنبية إن لم أقل أكثر من لغتين منها ، حتى تناح لهم بمأشاة ركب الحضارة السائر سير الطائرات والصواريخ .

أو ليس في إيجاد كلمات من طراز ما تقدم إبعاد الشقة بيننا ( وفي دمشق وحدها ) وبين أبناء جلدتنا الذين تضمهم بقاع فسيحة جداً من هذه المسكونة ولما تتفق كلمة الجامع العلمية واللغوية على توحيد مصطلحات العلم والنهج الذي ينبغي سلوكه في الترجمة والتعريب ؟ ألا يحتاج القارئ لمقال علمي تضمنت الغريب من المصطلحات ( ولا أخفي وأنا واحد منهم ) إلى إيمان الفكر وقدرح الذاكرة طه يهتدي إلى اشتقاق تلك الكلمات ، ويتوصل إلى معرفة مدلولها بما وعده من لغة أخرى ؟ أو ليس في هذا مضيعة للوقت وتعمير لسبيل العلم ؟ أفلا يفضل أن تترجم المصطلح الأجنبي بكلمتين أو ثلاث من الكلمات الشائعة عوضاً عن الكلمة الواحدة العويصة ؟

وبعد هذه الملاحظة العابرة ، ليسمح لي الزميل الكريم أن ألفت نظره إلى بعض المصطلحات الطبية ( لا الكيمياء ) التي خالف فيها ما أجمع عليه الأطباء كقولهم الحميرة عن القرمزية ( Scarlatine ) والحميرة عند أهل الشام هي الحصبة ( Rougeole ) ، وعربت ( Scarlatine ) بالحمى القرمزية ويقال القرمزية تخفيفاً ، واشتقاق الكبد عوضاً عن كبة الكبد أو التكبد وفي الأفرنجية ( Cirrhose ) وهي تعني تحول الكبد إلى لون أحمر ضارب إلى الصفرة ، وقد جاء في فقه اللغة : الكبة صفرة تضرب إلى الحمرة ( وقد تبه إلى ذلك الدكتور مرشد خاطر )

مع أني أفضل كلمة التشنج التي ذاع استعمالها خطأً وانتقلت إلينا بما ترجمه الأتراك ، حتى أصبحت في نطاق الخطأ المشهور . وترجم كلمة ( Opisthotonos ) بالكزاز الظهري عوضاً عن التقوس الخلفي ( لا انحناء عضلات الظهر كما جاء في موضع آخر ) إذ الأفضل تخصيص كلمة الكزاز لـ ( Tétanos ) ، وتقبض الفكين عوضاً عن الفمزم ( Trismus ) وقد أصبحت من الكلمات الدارجة ، وانقطاع النفس عن كتم النفس ( Suffocation ) وهو نوع من الاختناق ، بينما انقطاع النفس أو توقف النفس يقابل ( Apnée ) ، وحركة العين حركات غير إرادية اصطلاحاً عليها بالرأرأة ( Nystagmus ) وقد جاء في المخصص رأرات العين إذا كانت لا تستقر من الإدارة . وقد قال التهاب المنضمة والأصح التهاب المتحمة ، وتنفلج المثانة عوضاً عن شلل المثانة وفلج الرجل أصابه داء الفالج وهو داء يحدث في أحد شقي البدن طولاً فتبطل حركته ، وكذلك قوله الفلج التنفسي البصلي والأصح شلل التنفس البصلي ، والنضوج عوضاً عن النضج ، وأبحاث عوضاً عن بحوث .

وقد أحسن المؤلف صنماً في إشارته في خلال بحوثه إلى مصادر الاستزادة للمستزبد وإكثاره من التطبيقات العملية بالإضافة إلى فهارسه العديدة التي منها ما هو مرتب على حروف المعجم ومنها ما هو مصنف بحسب البحوث والفصول ثم المنهاج المدرسي والجداول والتطبيقات العملية والرواسم مما يهون السبيل للطلاب والممارس .

وختاماً لا يسعني إلا إكبار نشاط الأستاذ الزميل وإطراء مجهوده العلمي وفقه الله .

الدكتور هني سيج



## تاريخ العراق بين احتلالين

( المجلد الخامس ) تأليف الأستاذ عباس العزاوي

طبع في بغداد سنة ١٩٥٣ في ( ٣٥٥ ) صفحة من قطع الوسط

وعد الأستاذ العزاوي في المجلد الأول من هذا التاريخ عام ١٩٣٥ قراءه .  
أن يقدم لم سلسلة أبحاث عن تاريخ العراق بين الاحتلالين المظولي والبريطاني .  
وكان من حين للآخر يتحفنا بجزء منه حتى بلغ عدد ما صدر منه خمسة مجلدات .  
وهذا الجزء كسابقاته طافح بالوثائق والأخبار . جمع فيه المؤلف أهم حوادث  
العراق السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية خلال السنين ( ١٠٤٩ الى  
١١٦٣ هـ ) من الحكم العثماني . وقد استقى أخبارها من أدنى المصادر العربية  
والأجنبية المعاصرة منها : ( منظومة آل فراسياب ) و ( زاد المسافر ) و ( تاريخ  
الغرابي ) و ( گلشن خلفا ) و ( قويم النرج بعد الشدة ) و ( تاريخ جلي زاده )  
وغيرها من السجلات العثمانية الرسمية . وقد مرر حوادث هذه المدة بحسب سني  
وقوعها وعلق على بعضها .

ويجد الباحث عن تاريخ العراق في هذه المجموعة مادة غزيرة لموضوعه  
وصورة صادقة لحالة العراق في ذاك العهد من الحكم العثماني . ولا يختلف حال  
العراق عن وضع بقية الأقطار العربية الخاضعة يومئذ لسلطان آل عثمان .  
كان مثلها يشكو القوضى وعدم الاستقرار ويئن من وطئة جور الولاة وجشهم  
في جمع الأموال ومصادرتها ، يضاف الى كل ذلك طغيان البنگرية الذين  
استباحوا الأموال واستحلوا الأرواح ، ويرعوا سيفا إثارة الفتن والتجرد على  
السلطان ، يمدون في تحقيق أغراضهم على إضرار ناس الحق بين الرعية والراعي  
حتى أصبح العراق في بؤس شديد ، كسدت تجارتها ، وبارت زراعته وأقفر

من رواد العلم مدارسه بعد أن كان في صالف العصر مهد الحضارة ومضرب الأمثال في وفرة خيراته وعدد علمائه .

وكانت هذه الفترة من التاريخ بدء انحطاط الدولة العثمانية وانحلالها وقد دب الفساد في جميع أمورها وتآلبت عليها الدول المسيحية وظهرت للوجود المسألة الشرفية وفكرة اقتسام تركة الرجل المريض أي الدولة العثمانية ، وكان سوء إدارة حكام الدولة وعجزهم عن معالجة المشاكل الداخلية نذيراً في فرط عقد وحدة الامبراطورية العثمانية وتقلصها ، وظهرت معها بوادر التمرد في أكثر ولاياتها الغير اسلامية وجاهرت العناصر الغير تركية بنزعتها الاستقلالية .

وفي هذا الجزء شواهد عديدة على نضال العراق لاسترداد حريته والتمتع بسيادته . تشكر الأستاذ المؤلف جميله في خدمة تاريخ هذا الجرم من الوطن العربي .

•••••

Despois ( Jean )

Le Hodna ( Algérie ) - Paris 1953.

### المحقة ( الجزائر )

تأليف السيد جان ديوا ( أستاذ في كلية الآداب في الجزائر )  
يقع الكتاب في ( ٤٠٥ ) صفحات من قطع الوسط . طبع في باريس عام ١٩٥٣

وصف المؤلف أحوال إقليم المحقة الطبيعية والزراعية ودعم بحثه بأحصاء دقيق عن المياه والنباتات وأنواع المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية فيه . وذكر أسماء القبائل المتوطنة في هذه المنطقة وأحصى سكانها . وتوسع المؤلف في دراسة قواعد توزيع مياه الري وكيفية الانتفاع بها .

والمحقة إقليم جزائري يقع في الجزء الشرقي الجنوبي من عمالة قسنطينة المتاخمة لتونس ويعرف أيضاً بشط المحقة ، وهي يجمعتها أرض سبخة في الانتجاد

التي تلي هضاب جبال الأطلس الجنوبية وقاحية من نواحي الزاب القديم ، تبلغ مساحتها ( ٨٥٠٠ ) كيلومتر مربع ، وأرضها جردية ، أمطارها شحيحة ، قليلة السكان ، وطبيعة إقليمها صحراوية ، شديدة القحط في الصيف مع هبوط الحرارة في الليل ، وشتاؤها قارس لاذع ، ولذلك أعرض عنها المستعمرون ولم تتناولها يد الإصلاح كبقية الأجزاء الجزائرية الحصبة التي استولى عليها الدخيلون الأوربيون . وأهم موارد الحضنة الزراعية القمح والشعير وقليل من الأثمار ومحصولها لا يكفي الاستهلاك المحلي . وبنيت فيها الحلفا الذي تستغله بأجناس الأثمان الشركات والمصانع الأجنبية ويستعين المزارعون والقبائل على إتمام مواردهم بتربية الماشية ، وقد اشتهرت هذه المنطقة منذ القديم على ما ذكره ابن حوقل والبكري بوفرة أنعامها وحياد خيولها .

حبذا لو أضاف المؤلف الى بحثه القيم الناحية الاجتماعية والثقافية في هذا الاقليم لتكون دراسته وافية شاملة عن حاله الحاضرة فيتيسر المقارنة بين حاضره وماضيه . وكان الزاب منذ القرن الرابع الهجري ينعم بنهضة علمية مباركة ونبغ فيه طبقة من العلماء والمحدثين ومنهم أحمد بن علي البغاتي والقاسم بن علي خويلد البكري وعلي بن منصور وأبي الفضل عطية وغيرهم . والله أعلم كيف أصبح حاله اليوم .

## تاريخ الوزارات العراقية

وضع السيد عبد الرزاق الحسيني

نشر في ستة أجزاء وطبع في صيدا سنة ١٩٥٣

نشر الجزء الأول من هذا الكتاب القيم في عام ١٩٣٤ وأقبل عليه الناس بارتياح وثناء على مطالعته القراء وقرّظه في حيته علماء أجلاء ، أشادوا بقيمته العلمية ، وأثنوا على جهود مؤلفه . وأحسن ما قيل فيه ما كتبه عنه المرحوم العلامة أحمد زكي باشا : « وكان في هذا الصنيع البديع مفخرة للعروبة وللناطقين بالضاد ، إذ لم أر له نظيراً يحاكيه أو يدانيه على كثرة ما رأيت في ما أثر الفرس والرومان واليونان مما اتصل بعلمي القليل » . ويصح هذا القول في كل جزء من أجزائه الستة .

كان للعراق نصيب السبق في تدوين الأخبار ، وكان الصولي نديم خلفاء بني العباس أول من صنف بهذا الموضوع ، وكتابه ( الوزراء ) من أجل كتب السلف . وها هو أحد أبناء العراق يجود علينا اليوم بكتاب ( تاريخ الوزارات العراقية ) الذي بذل كل من تقدمه بمادته وجوهده وصبقى هذا السفر من أهم المصادر لتاريخ العراق في نشأته الحديثة مؤيدة بالوثائق والمستندات الرسمية . والأستاذ المؤلف هو شاهد عيان عاصر الحوادث التي دوّنها وخاض معاركها السياسية واعتمد في النقل على شهود عدل حضروا الوقائع وساهموا فيها . جزى الله المؤلف خيراً عن العلم وجعله لأبناء العروبة قدوة حسنة .



## ذكريات

منتخبات من خطب وأحاديث ومقالات لدولة لطفي الحفار  
هي مجسها السيد وجيه يعضون ونشرها في جزئين . يتم الجزء الأول في (٢٩٩) صفحة  
والثاني في (٢٩٥) صفحة من قطع الوسط . طبعت في دمشق سنة ١٩٥٤

لم يزل تاريخنا الحديث على قرب عهده بنا ووفرة مصادرہ تعودہ المادة الأساسية  
لتدوين وقائمه على ضوئها ، وهذه المادة هي الوثائق المعاصرة التي ينهل من  
معينها المؤرخ ويستخلص منها الحقائق ، وذكريات دولة الحفار هي في عداد  
هذه السجلات الحافلة بالوقائع بل موسوعة لحداث سورية خلال نصف قرن  
عاشها عن كذب صاحب هذه الذكريات .

إن السيد الحفار الذي رافق الحركة العربية منذ فجرها وخاض نضالها الوطني  
في عهد الانتداب ، وكان في طليعة المخلصين الذين قادوا كفاح الشعب السوري  
في سبيل حريته وألهموا مشاعره وأحسنوا توجيه وعيه القومي في الحقلين السبامي  
والاقتصادي ، فهو جدير بأن تجمع ذكرياته وتخلد ما أثره عظة للأجيال وتذكرة .  
نشكر للناسر الذي جمع شتات هذه الذكريات وضمها في باقتين يفوح منها  
أرج عاطر ويشع منها نور سافر تضيء صفحات غامضة من حاضر تاريخنا .

جعفر الحسني

# آراء وأنباء

كلمة الأمير مصطفى الشهابي<sup>(١)</sup>

في حفلة استقباله عضواً عاملاً

في مجمع اللغة العربية بمصر

يقولون إن لكل نفس في هذه الحياة هوى تستلذه وتميل إليه . فسبحان الذي جعل هوى نفوسنا حب لغتنا المصرية ، حباً بلغ فينا مبلغ العشق لها ، بل مبلغ الشغف بها . وسبحان الذي ما أحل في قلوبنا هذا الضرب من الهوى إلا بعد أن أبدلنا بالتعب فيه راحة ، وبالألم لذة ، وبالسأم غبطة ورضى .  
لقد آمنا بلغة القرآن إيماننا بالقرآن . فما عسى أن تكون أمنية كل مؤمن بعظمتها ، موقن بجيويتها ، كلف ببيانها وروعيتها ؟ أهو غير الجلوس مع المؤمنين الصائرين ، المداوين لأدوائها ، والحافظين لسلامتها ، والمجددين لشبابها ، والعاملين على جعلها أصلح ما تكون للتعليم العالي في الجامعات ، وللتعبير الصادق عما لنا من حاجات كثيرة في خضم هذه المدنية الحاضرة ؟

لقد شتّم من قبل أن أشارككم في عملكم مراسلاً لكم من دمشق ، وشتّم اليوم أن أشارككم فيه عاملاً معكم في حصن اللغة والأدب الحصين ، فشكراً

---

(١) انتخب مجمع اللغة العربية في مصر زميلنا الأمير مصطفى الشهابي عضواً عاملاً في المكان الذي خلا بوفاة الفقيه العلامة محمد كرد علي . وعقد في ٢٧ من كانون الأول سنة ١٩٥٤ جلسة علنية لاستقباله ألقى فيها الدكتور منصور فهمي كلمة الاستقبال باسم المجمع ، ثم ألقى الأمير الشهابي الكلمة التالية متحدثاً عن سلفه الفقيه ، ومستطرداً إلى الحديث عن قرارات مجمع مصر العلمية ومبلغ فائدتها لواضعي المصطلحات العلمية :

لكم أيها الرفاق الأعزاء شكرا . وهل في صويداء القلب غير الشكرات ،  
عندما يكون بيت المتنبي على عذبة اللسان ؟

أما العلامة الرئيس ، مربّي رجال هذا الجيل ، ورأس علماء هذا الرعيل  
فأرجو منه أن يتقبل شكر العارف بفزارة علمه ، وجزيل فضله ، وجليل قدره .  
وأما أنت أيها الأخ العلامة المنصور<sup>(١)</sup> فقد تفضلت فأطربنتني بكلمات كريمة  
وددت لو أنني أستحقها . وما تلك منك إلا عين الرضا تخفي ما في من عيوب ،  
أو هو إناء الكرم والمروءة والأريحية لا ينضح إلا بما فيه .

ويشجيني بعد هذا أن أنكلم على سلفي الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله .  
فلقد صادفته المودة خمسا وثلاثين سنة ، ورافقته في المجمع العلمي العربي بدمشق  
سبعًا وعشرين سنة ، فكان لي فيها كلها نعم الصديق ونعم الرفيق .  
وماذا عسى أن أقول فيه ، في دقائق معدودة ، والذكريات تتزاحم في  
خاطري ، فلو أتيح لي أن أنهض لها لألفت فيها كتاباً برأسه ؟  
كان الفقيه أنشط أديب أطلعت دمشق في النصف الأول من القرن العشرين .  
وناهيك من رجل قضى أكثر من خمسين سنة من عمره ، والكتب والأوراق  
مبثوثة على مكتبه ، والقلم مثبت بين أنامله ، فما كف قط عن البحث وعن  
الكتابة حتى آخر يوم من حياته .

ولنا أن تصور مبلغ الفائدة فيما ينتجه الأديب المطبوع في هذه البرهة  
من الزمن ، عندما يكون مجداً في عمله ، مخلصاً للغة ، محباً لقومه ، ساعياً  
إلى نشر العلم والأدب في بيئته .

فلا عجب إذن أن يكون للأستاذ ذلك التأثير الكبير في نهضة الشام  
الأدبية وأن يعدّه الشاميون عامة ، والدمشقيون خاصة في طليعة رجال تلك النهضة ،

(١) هو الدكتور منصور فهمي كاتب سر بحم اللجنة الميرية في مصر . فهو الذي امتنعه  
مجلس المجمع لالقاء كلمة استقبال الأمير مصطفى الشهابي باسم المجمع . وقد استغرق  
الناؤما زهاء ساعة . أما رئيس المجمع للشار إليه في الجملة السابقة فهو العلامة الكبير  
أحمد لطفي السيد .

وأن 'يجمعوا على أنه كان أكبر مشجع لشباب الشام على مدارس كنوز الأجداد الأدبية ، وعلى التزوّد بزيادة العلوم المصرية . ولم تكن محاربة الجهل في الشام من الأمور السهلة في أوائل هذا القرن . فلقد كانت حجب الجهل على العقول مسدولة ، وكانت المدارس التي تعلم العلوم المصرية جد قليلة ، فخارب الأستاذ الجهل والحجاب والبدع والخرافات ، وحمل بقله على مقتضي الأوقاف الإسلامية ، وعلى الشعويين أعداء العرب ، وعلى بعض المستشرقين ممن تعصبوا على العرب والمسلمين ، وضمّنوا كتبهم آراء طائفة ظلموا بها المدينة الإسلامية ونأريخها الجيد . وما يسر له معالجة أدوائنا الاجتماعية والتعليمية رئاسته للمجمع العلمي العربي سنين عديدة ، وتقلده منصب وزير المعارف في سورية بضع مرات .

وهو من الأدباء السوريين الأول الذين رحلوا الى مصر في أوائل هذا القرن ، واتصلوا بأدبائها ، وحضروا مجالس الإمام الشيخ محمد عبده ، وكتبوا في بعض الجرائد المصرية كالرائد المصري والمؤيد والظاهر وغيرها . وقد أصدر في القاهرة مجلة «المقتبس» الشهرية ، فعاشرت فيها ثلاث سنين . ثم نقلها الى دمشق سنة ١٩٠٨ ، بعد الانقلاب العثماني ، وسقوط السلطان عبد الحميد ، فلبثت تصدر فيها خمس سنين . وكانت هذه المجلة في الشام فريدة فيما تضمنت من بحوث في الأدب والاجتماع والمخطوطات العربية وتاريخ العرب والمسلمين . ولا شك في أن الفقيه كان ، بعد أستاذه الشيخ طاهر الجزائري ، رأس الباحثين في هذه العلوم ، في نهضة الشام الحديثة .

وكان له جلد عجيب على التنقير عن تراثنا الأدبي القديم . وتيسر له أن يرحل غير مرة للتنقيش عن نقائس دور الكتب المشهورة في القاهرة والقدس وباريس وبرلين وليفن ومدرين والأسكوريال وغيرها ، كما تيسر له أن يتصل بعدد كبير من المستشرقين ، وأن يذاكرهم ويراسلهم ، ويمجادهم في أمور تتعلق بالحضارة الإسلامية ، وبالقدامى من رجالات العرب والمسلمين .



وفي دمشق كانت داره ندوة الأدباء والمثأدين . وكذلك عُرفت في المجمع العلمي العربي . فلكم اجتمعنا فيها ، نحن أعضاء ذلك المجمع ، نتذكر في المحاضرات التي سنلقها في ردهته ، أو نتناقش في موضوعات لغتنا العربية ، وموضوعات أدبها في القديم والحديث .

ولكم استقبلنا في تلك الحجرة من علماء وأدباء وأساتذة ومستشرقين ممن يزورون دمشق ، ولا يغادرونها مالم يرجوا على مجملها العلمي العربي . وكانت بحوث الأستاذ في مجلة ذلك المجمع متلاحقة ، حتى كاد يكون له في كل عدد من أعدادها بحث في الأدب أو التاريخ أو الاجتماع . وإذا ذكر الشيوخ الذين لم تجل الشيخوخة دون مشابرتهم على النشاط العلمي جاء الفقيد في طلائع هؤلاء الشيوخ المحدثين .

ففي بضع السنوات الأخيرة من حياته صنف كتاب غوطة دمشق ، وكتاب كنوز الأجداد . وحقق ونشر سيرة أحمد بن طولون للبلوي ، والمستجد من فعلات الأجواد لأبي علي المحسن التنوخي ، وتاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي ، وكتاب الأشربة لابن قتيبة ، وكتاب البيرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي ، وهو آخر كتاب نشره .

ولا شك في أن كتاب خطط الشام المطبوع سنة ١٩٢٥ م بدمشق في ستة أجزاء هو أجل كتب الأستاذ شأنًا وأغزرها فائدة . وقد ذكر لي مرة أنه لم يبق له في الحياة إلا أمنية واحدة ، وهي أن يتاح له طبع هذا الكتاب طبعة ثانية متقنة . ولكن هيئات أمل الأستاذ فقد حالت الأقدار دون تحقيقه . ومؤلفات الفقيد كثيرة ، على ما هو معروف ، وبكفي أن أذكر منها ثلاثة كتب طبعها لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة : فالأول كتاب الاسلام والحضارة العربية ، وهو في جزئين تكلم فيهما على العلوم والإدارة والسياسة في الدول الاسلامية ، ودافع فيها عن مدينة العرب والمسلمين أمدق دفاع .

والثاني كتاب أمراء البيان وهو أيضاً في جزءين ترجم فيهما لعشرة من أئمة البيان العربي ، وهم عبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع ، وسهل بن هرون ، وعمرو بن مسمدة ، والصولي ، وأحمد بن يوسف الكاتب ، والزيات ، والجاحظ ، وأبو حيان التوحيد ، وابن العميد . قال الأستاذ المصنف : « هؤلاء هم العشرة المبشرة ، في عصر العرب الزاهر ، يوم أضحى اللسان العربي لغة حضارة وعلم ، وكان في القرن الأول لغة دين وأدب » .

والكتاب الثالث هو كتاب رسائل البلغاء نشر فيه رسائل لعبد الحميد الكاتب ، والأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع ، وكتاب العرب أو الرد على الشعوية لابن قتيبة ، وملق السبيل لأبي العلاء ، والرسالة العذراء لابن المدير ، وغيرها من الرسائل ديجتها يراعة عدد من رجال الأدب الرفيع في العصور الماضية . وكان الأستاذ من كتاب العربية المبرزين في هذا العصر . فقد امتاز بأسلوب سهل رشيق ، وبيان ناصع مشرق . وقليل هم الكتاب الذين يستطيعون أن يجولوا بثقل قلمه في الموضوعات المتنوعة التي تضمنتها مصنفاته ومحاضراته العديدة .

لقد قضى الأستاذ كما نلت ، نصف قرن من الزمن حاثاً شباب الشام على العلم ، باحثاً عن تراث الأجداد الأدبي ، مدافعاً عن المدنية العربية والإسلامية ، داعياً إلى الجمع بين الثقافة العربية والثقافة الغربية . ولئن شئت أن أحل اليوم محله ، فليس من السهل عليّ أن أملأ فراغاً حصل بوفاة مثل هذا الأديب الكبير .

فأنا لست سوى تقار بسيط ينثر في دمشق ، منذ نحو ثلاثين سنة ، عن مصطلحات علمية في علوم الزراعة والمواليد ، فيكتبو ويقوم ، ويخطي ويصيب ، ولا مرجع له إلا كتب الأجداد وما فيها من ألفاظ علمية قديمة ، ولا هادي له إلا ما أقره مجتمع الموقر من قرارات حكيمة في قياسية بعض الأوزان العربية .

ولعل المتأدين الذين لم يعنوا بوضع الألفاظ العلمية أو تحقيقها لا يقدرّون هذه القرارات حق قدرها . أما الذين يضعون المصطلحات العربية ، من دون أن يكون لهم اختصاص بفقه اللغة ، فقد وجدوها . أي القرارات - منارة هديهم الى السبيل القويم ، وجنبتهم التيه في يبداء كتب اللغة القديمة .

واسمحوا لي ، بعد هذا ، بأن أذكر لكم في جمل قليلة مبلغ الفائدة التي أفدتها من تلك القرارات ، عندما كنت أصنف معجمي المطبوع سنة ١٩٤٣ بدمشق . والمهدف الوحيد الذي أرمي اليه إنما هو الإفصاح عن فضل الجمع على واضعي المصطلحات العربية ، وعلى نقلة العلوم العصرية . فما أقره الجمع : « اشتق العرب كثيراً من أسماء الأعيان . والجمع يميز هذا الاشتقاق - للضرورة - في لغة العلوم » .

واستناداً على هذا القرار ألفت الضرورة تقضي بوضع أسماء لبحوث زراعية أصبح اليوم كل بحث منها علماً قائماً برأسه مثل زهارة ( Floriculture ) من زهر ، وهي زراعة نباتات الزهر ، ونحالة ( Apiculture ) من نحل ، وهي تربية النحل ، وحراجة ( Sylviculture ) من حرجة ، وهي زراعة الأحراج ، الى غير ذلك من المشتقات الماثلة كالبتستنة من بستان ، والبترعمة من برعم الخ . وبما أقره : « تصاغ متفعلة قياساً من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول للمكان الذي تكثر فيه الأعيان ، سواء أكانت من الحيوان ، أم من النبات ، أم من الجاد » .

وعملاً بهذا القرار صفت على وزن مفعلة عدداً كبيراً من الألفاظ مثل ملبنة ( Laiterie ) ، ومزبنة ( Benrerie ) ، ومقشدة ( Crémérie ) ، ومقطنة ( Cotonnerie ) ، وموردة ( Roseraie ) ، ومززة ( Rizière ) ، ومقصة ( Roselière ) ، ومقرمة ( Haras ) ، ومطيبرة ( Volière ) ، ومثانة ( Mûraie ) وهلم جرا .

ومن قراراته : « يصاغ (فَعَال) قياساً للدلالة على الاحتراف أو ملازمة الشيء . فاذا خيف لبس بين صانع الشيء وملازمه كانت صيغة فَعَال للصانع ، وكان النسب بالياء لغيره ، فيقال زَجَّاج لصانع الزجاج ، وزُجَّاجي لبائعه » . وهذا القرار أيضاً سهل عملي فقلت مثلاً زَهَّار لبستاني الزهر ، وزَهْرِي لبائعه ، وكلاهما بالفرنسية (Fleuriste) . وقلت كَرَّام لغارس الكروم (Viticulteur) ، ووَرَّاد لزارع الورد (Rosiériste) ، الى غير ذلك من الكم .

وهناك القرار الذي يميز المياغة قياساً من الفعل الثلاثي على وزن مِفْعَل ومِفْعَلَة ومِفْعَال للدلالة على الآلة التي يعالج بها الشيء . فلقد وضعتُ ، بناءً على هذا القرار ، أسماء عديدة لآلات وأدوات زراعية حديثة كالمبَثِّر (Semoir) ، والمحصد (Moissonneuse) ، والمدرس (Batteuse) ، والمرخمة أو المحضنة (Couvense) ، والمِحْشَة (Faucheuse) دع الأسماء التي هي على وزن اسم الفاعل وبالفعل كالنامبة (Releveur) وكالجرَّارة (Tracteur) الخ .

وكذلك القرار الذي يميز لنا صياغة مصادر على وزن فَعَالَة ، من أبواب الثلاثي ، للدلالة على الحرفة أو شبيها . فلقد رجعت اليه في مثل قولي غيراسة من غترَسَ ، فجعلتها أمام كلمة (Arboriculture) ، وإن لم ترد الغراسة في المعجمات ، في مادة غترَس ، بل وردت عرضاً في مادة خترَجَ في التاج واللسان . ومثل رِسَامَة ، وضعها غيري لحرفة الرسم (Dessin) .

ثم قياسية صنع المصادر الصناعية ، بأن يزداد على الكلمة ياء النسب والتاء . أفلم يسر لنا هذا القرار مثل قولنا في العلوم قِلْثَوِيَّة وجَمْثَوِيَّة وعَطْرِيَّة وسمية وخشبية ، مثلاً قال القدماء مائية وكيفية وكية وهرونية وفروسية وغير ذلك .



وكذلك قياسية صيغة "فَعَالَ للمرض" ، مصدراً من قَعَلَ اللازم المفتوح العين ، فقد استفاد أساتيد الطب من هذا القرار . ووجدتهم لم يكتفوا به ، بل اشتقوا من أسماء الأعيان أيضاً كلمات على هذا الوزن ، مثل وَرَاك (Coxalgie) من الورك ، وعَصَاب (Nevralgie) من العصب .

وأجاز المجمع التعريب عند الضرورة ، فيسر لي تعريب عدد غير قليل من أسماء النبات والحيوان والمعادن . وهي أعيان لم تعرفها العرب ، وكلها لا بد من تعريب اسمائها ، لأنها منسوبة إلى أعلام ، أي إلى علماء أو ملوك أو حكام أو أقاليم أو مدن أو أحد آلهة القدماء ، وإما مقتبسة من إحدى اللغات كلغات هنود أمريكا أو غيرهم من الأقوام . مثال ذلك دهلية (Dahlia) فهي زهرة نسبوها إلى نباتي سويدي اسمه دهل . ودروينية (Darwinia) فهي جنبة للتزيين سميت باسم دروين العالم المواليدي المشهور . وكاكاو أو كاكاؤو فهي من لغة شعب الأزتيك القديم في مكسيكو . وكذلك الشوكولاتة الخ .

ونحن لا نجهز لأنفسنا التعريب إلا عند الضرورة ، أي إذا لم نجد في كتبنا القديمة كلمة عربية تقابل الكلمة الأعجمية ، ثم إذا لم نستطع إيجاد كلمة عربية جديدة سائغة بوسائل الاشتقاق والمجاز . ولكنه لا مفر لنا من تعريب مثل ما ذكرت من أسماء .

وقد أجاز المجمع النحت عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية . ولكنه سار فيه بتؤدة يحمده عليها . ولم أجد في أجزاء مجلته السبعة إلا بضع كلمات منقوطة . وأنا لم أنحت في معجمي سوى كلمات تعد على الأصابع ، منها كلمة لُبَّارْز مثلاً ، فهي من كلمتي لبنان وأرز . وهي تطلق على شجر للتزيين غير أرز لبنان ، واسمه العلمي (Libocedrus) . وهذا الاسم العلمي منقوت من (Liban) و (Cedrus) أي لبنان وأرز ، فاضطرت مرغمًا أن أسميه لبأرزا .

والذوق له شأن كبير في موضوع النحت . وكذلك سهولة الفهم . وكثيراً ما يكون استعمال كلمتين عربيتين أصح وأدعى إلى الفهم من استعمال كلمة واحدة منخوطة يجهل الذوق ويستغلق فيها المعنى . فالطالب الأوربي يحفظ الأصول والصدور والكواسع اليونانية في الكلمات العلمية الأعجمية . ولذلك إذا قلنا له مثلاً : هذه الحشرة هي من رتبة الـ ( Orthoptères ) أو الـ ( Névroptères ) فهو يدرك معنى هاتين الكلمتين بلا مشقة . وكذلك إذا قلنا للطالب العربي : ان الحشرة المذكورة هي من رتبة مستقيبات الأجنحة ، أو من رتبة عصيات الأجنحة ، فهو أيضاً يدرك المعنى من دون أن يكدر ذهنه . ولكننا إذا فاجأنا طالبنا العربي بمثل قولنا مُسَجَّيَّات أو عَصَجَيَّات ، فهو سينظر إلينا مشدوهاً فاقد الفهم . وإذا رفقنا به ، وتركنا كلمة جناح على حالها ، قائلين مسجناحيات وعصجناحيات ، فهو أيضاً لن يفهم معناهما ما لم تقل له انهما منخوتان من كذا وكذا . ومتى احتاج الأمر إلى بيان أصول المنخوتات العلمية ضاعت فوائد النحت .

ولكل لغة قوالبها وأساليبها ، والعربية لغة اختزال . ولا يضرها التعبير عن معنى من المعاني العلمية بأكثر من كلمة ، بل الذي يشوهها إنما هو أن يضاف إليها ألوف من المنخوتات الثقيلة الغامضة التي لا لزوم لها البتة .

والقائلون بالنحت لم يعترض معروف ، وهو انه من السهل النسب إلى الكلمة الواحدة المنخوطة ، خلافاً للنسب إلى المركب الإخافي . ولكن ماذا يجبرنا على ترجمة النسبة بالنسبة . فالترجمة لا تكون دائماً ترجمة كلمة بكلمة ، ولا صيغة بصيغة ، بل تقوم على حسن فهم المعنى وإفراغه في قالب عربي مقبول .

وقد أجاز المجمع استعمال المولد من المصطلحات العلمية والصناعية وغيرها ، التي جروا فيها على أقبية كلام العرب من مجاز أو اشتقاق أو تحوّل . وفي هذا القرار مجال لاستعمال عدد كبير من الألفاظ العلمية التي لم تتضمنها معجماتنا

الأصلية ، ولكنها وردت في كتب علمية قديمة مشهورة . وقوائد هذا القرار واضحة .  
ويطول بي نفس الكلام اذا ما رحت أبحث في سائر قرارات المجمع العلمية ،  
كترجمة بعض الزوائد اليونانية من صدور أو كواسع ، وكضبط الأعلام  
الجغرافية ، وكتابة بعض الحروف الأجنبية بالحروف العربية ونطقها ، وكتابة  
الأعلام اليونانية واللاتينية بحروف عربية .

وهيات أن يتسع المجال للكلام على تلك البحوث اللغوية الجليلة المبثوثة في  
مجلدات المجلة ، والتي بلغت الذروة في دقة التحقيق العلمي . ولا يمكنني أيضاً  
الكلام على المصطلحات العلمية التي وضعها المجمع أو أقرها ، فقدما العارفون  
أصلح مصطلحات عربية لما يقابلها من الألفاظ العلمية الانجليزية .

ولا تظنوا أيها السادة أن مصطلحات المجمع هذه لبثت مدفونة في صفحات  
المجلة . فالحقيقة أنه ما من أستاذ نبيه يؤلف كتاباً مدرسياً إلا ويرجع الى مجلة  
المجمع في التفتيش عن ألفاظ عربية في علمه . ولكم سألني الأساتيد والمدرسون  
وغيرهم في الشام عن المجلة ، وعن السبيل الى تداركها ، لأنهم لا يكتبون  
مراجعتها في خزائن المجمع العلمي العربي ، أو خزائن الجامعة السورية ، بل يتوق  
كل منهم الى جعلها في خزائنه الخاصة .

وبهم كل عربي حريص على سلامة لغته أن يكون مجمع اللغة العربية في  
مصر مرجعاً تؤدل اليه جهود الأفراد وجهود الجماعات التي تعنى بوضع المصطلحات  
العلمية في جميع البلاد العربية . فلقد أصبح اختلاف هذه المصطلحات داء  
من أدواء لغتنا المضرية . وهذا الداء ينمو ويستشري كلما انست الثقافة في  
أقطارنا ، وازداد فيها عدد قلة العلوم الحديثة الى لساننا ، أو عدد المؤلفين في  
تلك العلوم . فني كل قطر توضع مصطلحات جديدة لا يدري علماء الأقطار  
الأخرى عنها شيئاً . وتكاد الصلات تكون مقطوعة بين أساتيد الجامعات  
وكلياتها في مصر والعراق والشام . وإذا تمادوا مؤلفاتهم ، تعصب كل أستاذ

للمصطلحات التي وضعها أو التي أليف استعمالها . وربما راح يزري بمصطلحات زملائه . وربما تطاعن الأساتيد في الصحف ، بهوادة أو بلا هوادة ، حتى في البلد الواحد .

ونروح نقش عن حكم يكون في حكمه فصل الخطاب ، فلا نجد عندنا إلا هذا المجمع الذي له مكائنه المرموقة في الأقطار العربية كافة . فهو الأداة الوحيدة التي نستطيع أن نصنف معجماً أعجمياً عربياً لمصطلحات العلوم والآداب والفلسفة والمخترعات الحديثة ، وأن تفرضه على حكومات الأقطار العربية ، وعلى أدبائها وعلمائها . والسبيل إلى ذلك في نظري إشراك الدول العربية في نققات هذا العمل الكبير ، بقرار يتخذ في مجلس جامعة هذه الدول ، وإشراك الأثبات من الاختصاصيين بالمصطلحات ، في مصر وفي غير مصر ، في وضع قوائم أو معاجم صغيرة بمصطلحات علومهم . وعندما يجتمع كل ذلك في هذا المجمع تتمحص فيه المصطلحات ، ويصنف المعجم ، ويطلع ، وبذا عثمن بنس . وأعتقد أن هذا العمل لا يستغرق أكثر من بضع سنوات ، ولا سيما إذا عوض كل عامل في المعجم عن أتعابه تعويضاً عادلاً .

وأكاد أجزم أنه ما من دولة عربية تعجز عن دفع ما يصيبها من نققات كبيرة كانت أو صغيرة . وتكون حكومات تلك الدول مبالغة إلى فرض المعجم ومصطلحاته على وزاراتها ومدارسها ومؤسساتها العامة ، لأنها تعد نفسها مشتركة مالياً وأدياً في تصنيفه .

وبذلك نتوحد المصطلحات في أقطارنا العربية ، وبكون الفضل الأكبر لمجمعكم الموقر في إنجاز هذا العمل الحيوي الكبير في مدة وجيزة .

وبعد ماهي ياسادتي مغبة تطويكم لعنتي بهذا الطوق الذهبي الجميل من المنة والإحسان ؟ لقد كنت في دمشق أتمس طريقتي ، فأضع الصحيح والمغلوط ،



والراجع والمرجوح من المصطلحات . أما بعد اليوم فقد يسرتم لي عرض ما أضع  
أو أحقق منها ، على علماء أثبات ، بجائين في كتب العلوم وكتب اللغة ، يرون  
بالعين المجردة ما لا يراه غيرهم بالمجهر .

وقصاراي ، كما التبت عليّ الأمور ، أن أميل على جوانبكم ، ميلات  
الشاعر على جوانب أليه .  
قدّرني الله على أن أكون عند ظنكم بي . ولا زالت مصر العزيزة رأساً  
للعالم العربي ، ومغلاً منيعاً للغة القرآن .

مصطفى الشرباتي

### الخزانة الشرقية

الجزء الأول طبع بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة « ١٩٥٢ » م

— ١ —

تأليف الباحث حبيب زيات ، وأكثر هذه الخزانة في تاريخ الحضارة الإسلامية ،  
وهي من الكتب النافعة ، ولؤلؤها أسلوب خاص به في البحث والاختيار ،  
ولا يعاب الذوق الأدبي مادام ملتزماً لأصول البحث العلمية ، وقد ضمن كتابه  
أشياء ممتعة ، تغلب عليها الجودة والطرافة ، وقال في مقدمة هذا الجزء في الصفحة « هـ » :  
« وأرصدنا لما [ الدروس والفصول المقدم ذكرها هناك ] هذا المجموع الذي  
دعونا « الخزانة الشرقية » لانتصاره على ما ينحصر الشرق وحده والشرقيين في  
القرون التي سبقت دولة الأتراك العثمانيين ، دون أقل تعريب <sup>(١)</sup> من الأصول  
الأروية ( كذا ) أو اقتباس عن تقدمنا من الكتب والمؤرخين » .

(١) أراد « دول أقل قتل أو ترجمة » فالترتيب عند الفصحاء هو جعل الكلمة  
الأعجمية على وزن كلمة من كلم العرب ، ومن ذلك كتاب « للمعرب » للغواليقي .

وقد رأينا في هذا الجزء وغيره من الأجزاء الثلاثة الأخرى ما يستوجب الحقائق العلمية والذمة الأدبية تنبيه الباحث الفاضل عليه من أمور وهم فيها ، وتقتصر في هذا التنبيه على الجزء الأول فنقول :

١- إنَّ اقتصاره على الكتب العربية والاسلامية مما يشكر له ويستحسن منه لأن الجدة والطرافة اللتين أشرنا اليهما من أعسر الأمور في مثل هذه البحوث ، إلا أنه لم يلتزم ما قال التزاماً تاماً ففي الصفحة « ٤٨ » و « ١٥١ » وغيرهما<sup>(١)</sup> نقل من الكتب الاثورية ، فلو حذف « دون » واستبدل بها « بأقل » لكان خيراً له .

٢- وقال في - ص ٣ - « وظلَّ النصارى دهرًا طويلاً يتخذون الأسماء الاسلامية البجته حتى بطانة الخلفاء دون أن يقع عليهم أقلُّ إنكار مثل الحسين ابن عمرو كاتب المقتني وعلي بن الراية طيبه ... » .

ولم يذكر مرجع هذا القول لحبانه إياه من البديهيات ولكنه لم يميز بين الخليفة المقتني « ٥٣٠ - ٥٥٥ » والخليفة المكتني « ٢٨٩ - ٢٩٥ » ، وقد علمنا أنه أراد الخليفة المكتني بأنَّ المقتني لم يكن له كاتب اسمه « الحسين بن عمرو » فهذا كاتب المكتني ، قال أبو جعفر الطبري في حوادث سنة « ٢٨٩ » من تاريخه « ولما توفي المعتضد كتب القاسم بن عبيد الله بالخبر الى المكتني كتباً وأنقذها من ساعته ، وكانت المكتني مقبلاً بالركة ، فلما وصل الخبر اليه أمر الحسين بن عمرو النصراني كاتبه يومئذ بأخذ البيعة على من في عسكره ووضع العطاء لم يفعل ذلك الحسين »<sup>(٢)</sup> .

٢- وقال في الصفحة « ٧ » منها « لم تدخل الألقاب مع الأسماء والكنى

(١) كما في الصفحة « ٥٥ » من الجزء للذكور .

(٢) تاريخ الامم والملوك « ج ١١ ص ٣٧٣ » من طبعة المطبعة الحسينية بمصر .

في حدة الأعلام إلا في الدولة العباسية ، وأوّل ما اتخذت بالاضافة الى الدولة <sup>(١)</sup> في أيام الخليفة المكتفي بالله ٢٨٩ - ٢٩٥ هـ قال ابن القلانسي : وإنما كان الرسم جارياً في القديم باطراح الألقاب والانكار لما بين ذوي العلوم والآداب ، فلما ظهرت الدولة البويهية الديلمية لقب أول مسعود بنغ فيها عماد الدولة بن بويه ١٠٠٠ هـ . فهو هنا لم يميز بين المستكفي « ٣٣٣ - ٣٣٤ هـ » والمكتفي المقدم ذكره ، وذلك أن الألقاب التي ذكرها إنما أحدثت على عهد المستكفي العباسي لا على عهد المكتفي ، وفي أيامه بنغ عماد الدولة على بني بويه ، قال ابن الأثير في حوادث سنة « ٣٣٤ هـ » : « ووصل معز الدولة الى بغداد حادي عشر جمادى الأولى فنزل يباب الشماسية <sup>(٢)</sup> ، ودخل من القد الى الخليفة المستكفي وبايعه وحلف له المستكفي ١٠٠٠ . وخلع الخليفة على معز الدولة ولقبه ذلك اليوم معز الدولة ولقب أخاه علياً عماد الدولة ولقب أخاه الحسن ركن الدولة ، وأمر أن تضرب ألقابهم وكنام على الدينار والدراهم <sup>(٣)</sup> ١٠٠٠ » .

٣ - وذكر في « ص ١٠ » أن طائفة من النصارى الأعيان كانوا يتلقبون أيضاً نظير الأسالة أي يضيفون ألقابهم الى الدين قال « ولا بأس أن نذكر بعضاً منهم تنويراً للأذهان فمنهم جمال الدين علي بن اثيري النسطوري وتاج الدين ماري بن صاعد توما وكيل مجاهد الدين أيك المستنصري المعروف بالدويدار الصغير ١٠٠٠ » . وذكر آخرين . ولم يذكر المرجع التاريخي أيضاً ، على أن ذلك لم يكن مقبولا من باحث رزين العقل ، لأن الدين في الدول الإسلامية

(١) أراد « واول ما اتخذت مضافة الى الدولة » . ومعنى « اتخذت جلاضافة الى الدولة » اتخذت بالنسبة الى الدولة » وأيس هذا موضع وسبق اليه ابن جبير .

(٢) كانت الشماسية من شمالي بغداد يومئذ ونزل هويابها اي في أرض محلة « الصليخ » الحالية من الجانب الشرقي لمحلة ، ومحلة الصليخ مجاورة للإعظمية للدفون فيها الامام ابو حنيفة النعمان .

(٣) كامل ابن الأثير « ج ٨ ص ١٤٨ » من طبعة للطبعة المجاورة لمسجد القطب الدردير سنة ١٣٠٣ هـ .

هو «الاسلام» عند إطلاقه وتعريفه بالألف واللام، فكيف يكون مسموحاً يومئذ لنصراني بأن يلقب مضافاً الى الدين؟ فكان إذا أسلم نقل لقبه من «جمال الدولة» أو «جمال الملك» مثلاً الى «جمال الدين» فأما الإضافة الى الدين وهو على نصرانيته فغير جائزة أصلاً . ولكن من الكتب التاريخية ما يصحّف فيه أحياناً «جمال الدولة» الى «جمال الدين» . فان كان الباحث الفاضل وجد نصّاً على نصرانية «علي بن اتردي» هذا فقد تصحّف لقبه «جمال الدولة» الى «جمال الدين» في عيون الأنباء «ج ١ ص ٢٩٨» وإلا فهو مسلم ، والقصيدتان اللتان قالما فيه همام الدين أبو الحسن علي بن اسماعيل العبدي الشاعر تصرّحان باسلامه ، وقد ذكرهما مؤلف عيون الأنباء ففي الأولى يقول له سنة «٥٨٠» على عهد الخليفة الناصر لدين الله المقدس السيرة بين الخلفاء :

سمع جمال الدين قو ل مصاحب الودّ السليم  
إنا ليجمعنا الولا . على صراطٍ مستقيم

وبهتة في الثانية بالعيد ويقول :

وليهنك العيد الذي به العداة لم تُتم

وهذا القول لا يُقال إلا لمسلم فما دليل الباحث الفاضل على نصرانية جمال الدين علي بن سعيد ابن اتردي ؟

وأما «تاج الدين ماري بن صاعد توما . . .» المذكور فقد خلط الباحث . وهو بدعي الاختصاص بتاريخ النصارى - بين لقبه ولقب أخيه أبي طاهر ، وجعلَ اللقب «تاج الدين» بدلاً من «تاج الدولة» قال مؤلف الكتاب الذي وسّناه بالحوادث الجامعة ظناً في حوادث سنة ٦٤٣ هـ «وفيهما توفي الحكيم شمس الدولة أبو الخير سهل بن [صاعد بن] توما النصراني البعلبكي . . . وحزرت تركته فكانت مائة ألف دينار . . . وخلق على أخويه نحر الدولة ماري



وتاج الدولة أبي طاهر ، ورتب نخر الدولة ماري في جميع الأشغال التي كانت منوطة بأخيه ٠٠٠ ورتب تاج الدولة وكييل باب عنبر ٠٠٠»<sup>(١)</sup> .

فلقب «تاج الدولة» لا تاج الدين كما زعم حبيب زيات هو لقب أبي طاهر ، و «نخر الدولة» هو لقب ماري بن صاعد بن توما أخي المذكور ، ويؤيد تلقيب ماري بفخر الدولة ما ذكره ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب قال في باب «الفخر» من معجم الألقاب المذكور «نخر الدولة أبو علي وأبو الخير ماري بن أمين الدولة صاعد بن شمس الدولة سهل بن أبي عبد الله توما النصراني اليعقوبي البغدادي الكاتب ، قال شيخنا [ابن الساعي] في تاريخه : في صفر سنة ثلاث وأربعين وستمائة رتب نخر الدولة ماري بن صاعد في جميع الأشغال التي كانت منوطة بأخيه شمس الدولة سهل بن صاعد ٠٠٠» ورتب أخوه تاج الدولة أبو طاهر وكييل باب عنبر<sup>(٢)</sup> ٠٠٠» .

فعلى هذا يظهر أن الرجل لم يحسن النقل ولا أجاد البحث ، وهذا الاعتراض يتوجه على كل من ذكر من النصارى الذين ادعى تلقيبهم مضافين الى الدين وهم لم يدخلوا في الاسلام ، وبكفيك من القلادة ما أحاط بالجيد .

٤ - وتقل في «ص ١٧» من خزائنه أن من الخواجات<sup>(٣)</sup> الوزراء «ناصر الدين خليفة ابن خواجا علي شاه وزير ابن أبي سعيد ٧٣٨ هـ (٨/١٣٣٧ م)» . وذكر أنه قلّ ذلك من كتاب السلوك لتي الدين المقرئ المحفوظ بدار كتب باريس الوطنية (١٧٢٦ ج ١ ص ٤٦٤) ولم يسأل نفسه من «ابن أبي سعيد هذا؟» فالوارد في نص السلوك من حوادث سنة «٧٣٨» المقدم ذكرها الخاص بذلك هو قول المقرئ :

- 
- (١) للرسوم بالحوادث الجامعة «ص ١٩٨» من طبعة بغداد .
- (٢) تلخيص معجم الألقاب «ج ٤ ورقة ٣١٤» من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق .
- (٣) فاته أشياء من الخواجات والمراجع لا نرى محلاً لذكرها قلنا في سبيل الاستدراك عليه بل في التقييد على ما وم فيه .

« وفيها قدم ناصر الدين خليفة بن خواجا علي شاه وزير أبي سعيد ، فأكرمه السلطان وأنعم اليه ( كذا ) وأجرى له راتباً بدمشق ثم أنعم عليه بتقدمة ٠٠٠ » .  
فهو أبو سعيد لا « ابن أبي سعيد » كما ذكره الباحث المذكور ، وهو آخر سلاطين الدولة الأيلخانية المعروفة وترجمته مشهورة في كتب التاريخ كالسلوك للمقريزي والدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني والوافي بالوفيات للصفدي والتجوم الزاهرة والمنهل الصافي لابن تغري بردي ، والموسوم - كان - بالوزارة والده لاهو ، ففي نقله وبجته غلطتان : الزيادة في النص وسوء الفهم .

ومن هذا الضرب نقله وتصديقه بالمصحف المستحيل كقوله في « ص ٣٨ »  
نقلًا من جزء تاريخ ابن التمار المحفوظ بدار الكتب الوطنية بباريس الكثير التصحيف « قال ضمنتُ عبد الله بن أحمد بن حنبل بقول : كنت أحب فأخذني أبي يدي وعبر بي الجسر فمضى الى شارع <sup>(١)</sup> الرصافة » فلما انتهينا اليه رأينا حباباً فيها السويق والسكر والماء المبرد بالثلج ٠٠٠ فقلت يا أبا من معاوية ٠٠٠  
فهذه حكاية عجيبة ظريفة » .

فهل يجوز في الحكم أن طفلاً يحب ولا يستطيع المشي مستقلاً يأخذ أبوه يديه ويعبر به الجسر ، وأن الطفل الحاي يسأل أباه من معاوية ؟ ويحييه أبوه جواب رجل كبير لإنسان مدرك يفهم الحديث الناضج ؟ فلو جعل « أصبو » من صبا فلان يصبو أي مال الى الصبوة أي جهلة الصبيان لكان القول محتملاً ممكناً ، ثم إنه حذف من الأصل جملة « من قول أحمد رضي الله عنه » والأصل « فهذه حكاية عجيبة ظريفة ( كذا ) من قول أحمد رضي الله عنه » .  
٥ - وجاء في « ص ٥٩ » من كتابه المذكور « وأنكر عليهم أبو العلاء المعري هذا الشذوذ فقال :

(١) لعله « جامع الرصافة » وهو معدن الخنابة يومئذ وكذلك محلة الرصافة التي كانت مجاورة لمحلة مشهد الامام أبي حنيفة [ الأعطية الحالية ] وزالت مع الحال الزائلة ثم استؤنفت المارة فيها في هذا الزمان مثل كلية أهل البيت .

أرى جيل التصوف شرّ جيل      قُلْ لَمْ وَأَهْوَتْ بِالْحُلُولِ  
أَقَالَ اللهُ حِينَ عَبْدَتْهُ      كُلُوا أَكَلِ الْبَهَائِمِ وَارْقُصُوا لِي ؟  
وقلده في هذا الهجاء شداد بن ابراهيم الملقب بالطاهر الجزري فقال بلفظه ومعناه :  
أيا جيل التصوف شرّ جيل      لقد جئتم بأمرٍ مستجيل  
أفي القرآن قال لكم إلهي :      كلوا مثل البهائم وارقصوا لي ؟  
نقل الخبر الأول من معجم الأدباء لياقوت الحموي « ج ١ ص ١٧٥ » والخبر  
الثاني منه أيضاً « ج ٤ ص ٢٦١ » .

والصحيح أن أبا العلاء المعري هو الذي قلده الطاهر الجزري ، لأن الطاهر  
توفي سنة « ٤٠١ » كما جاء في معجم الأدباء وغيره ، ولأن أبا العلاء توفي  
سنة « ٤٤٩ » كما في كتب التاريخ التي تذكره ، ولأن الجزري أدرك الوزير  
أبا محمد المهلب وزير معز الدولة ومدحه وهو قديم الوفاة ، ثم إن « الطاهر الجزري »  
اسمه « سداد » بالسین المهمة لابالشيخ المعجمة كما وهم ياقوت الحموي والباحث  
حبيب زيات وغيرهما ، ولكونه بالسین المهمة جعله الصفي في باب السین  
المهمة من كتابه « الوافي بالوفيات » قال :

« السخاوي علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد

سداد بن ابراهيم أبو النجيب الجزري الملقب بالطاهر شاعر ...

سديف بن ميمون المكي الشاعر مولی آل أبي طه ... »<sup>(١)</sup>

وذكره ابن شاكر الكتبي في باب السین المهمة من قواف الوفيات قال « ج ١ ص ١٦٧ » :

« معجم<sup>(٢)</sup> بن أبي الحساس ...

سداد بن ابراهيم أبو النجيب الجزري الملقب بالطاهر ... كانت وفاته في

حدود الأربعمائة ...

سعد الله بن نصر الله بن سعيد ...

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ ورقة ١١٦ » .

(٢) هو عبد بن الحساس لا ابن أبي الحساس .

وقال القائم على طبع الكتاب في الماش ما هذا نصه « أبو التيجب الجزري هكذا ذكر هنا في النسختين وحقه أن يذكر في المعجمة » وقد وهم القائم على الطبع في تعليقه هذا ، وأصاب ابن شاعر في جعله في باب السين المهملة .

وأعيد طبع فوات الوفيات بمصر سنة « ١٩٥١ » بإشراف الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، « ج ١ ص ٣٤٠ » وقد صحفه هذا الرجل الجريء على التصحيف الى « شداد » وعلّق عليه قائلاً « كذا وقع هذا العلم وسط حرف السين المهملة وآثرنا بقاءه في موضعه من الأصول مع التنبيه على أن موضعه في حرف الشين وله ترجمة في معجم الأدباء » . ثم قال في فهرست الجزء الأول تعليقا على « شداد » هذا « هكذا وقع هذا الاسم بين الأسماء المبدوءة بحرف السين المهملة » . فهو لم يزد على أن وقع في الوم الذي وقع فيه طابع الوفيات قبله ولكنه احتجب الخطأ وحده ، وأرى القاري أنه لم يسبقه اليه أحد . وجاء في كتاب المجموع اللئيف « ورقة ٢١ » أن يئني الطاهر الجزري هما :

أرى جيل التصوف شرّ جيلٍ قتل لهم وأهون بالحلول

أقال الله حين عشقتموه : كلوا أكل البهائم وارقصوا لي ؟

وهكذا أورد في فوات الوفيات وذلك يعني أنها نسبا الى أبي العلاء المعري تشبيها عليه أو انتزاعا من الجزري .

مصطفى جواد

( بغداد )

« يتبع »



## ( دهايز ) أم ( كواليس ) ؟

وهذه كلمة أخرى وللتها الحياة النابية فيما أحسب ، دائرة على الألسنة وتناولتها أفلام الكتاب ومجلات على صفحات الجرائد ، أريد بها : ( كواليس ) ، ( من أسرار الكواليس ) .

تساءلت عن معنى هذه العبارة وعما يريد بها فائلوها حين يطلقونها من أفواههم أو كاتبوها حين يثبتونها على الورق دون أن يحاولوا البحث عن فصحي اللفظ وقفا على الأذن ، وأيسر لفظاً من الفهم .

فأما ( كواليس ) والحقيقة ( كويليس Coulisse ) فهي افرنجية لم يكتف مقتبسوها من الأعجمية باستعمالها مفردة ( كويليس ) فتجاوزوا الى جمعها ( كواليس ) كأنما هي عريية الأصل .

و ( Coulisse ) بالافرنسية مشتقة من ( Couler ) وهذه من اللاتينية ( Coulare ) وتعني ( filtrer ) أي ( رشح ، تسرب ) ومعناها الحقيقي كما جاء في معاجمهم : ( بحري ، حجرة ، جزء من المسرح خلف تزييناته وعلى طرفي صحن المسرح ) ثم انتقلت عندهم مجازاً الى السنة الساسة والكتاب ليعبروا عما هو واجب كتمانهم عن الشعب من أسرار السياسة ( les coulisses de la politique ) . فأتت ترى أن الـ ( كويليس ) ما هو في الحقيقة إلا ( رواق ) يُسترق فيه السمع أو تنسقط فيه الأخبار للوقوف على سر مطلق أو خبر مطلق ، يتسابق للحصول عليه أرباب الصحف الحريصون على أن يقدموا لقرائهم كل ما هو طريف ظريف .

ولو جاز استعمال ( كواليس ) لوجب أن يقال ( ما وراء الكواليس ) بمعنى ( ما وراء الأسرار ) لا كما يقولون ( من أسرار الكواليس ) لئلا يكون المعنى ( من أسرار الأسرار ) وهو معنى غير مستقيم .

فلئن كان لا بد لأصدقائنا الكتبة من كلمة تقرب وزقاً من (كواليس) وتطيب وفقاً على السمع مثلها ، فليكن (دهاليز) . فـ (الدّهليز) لغة (ما بين الباب والدار ، جمع دهاeliz) وفي هذا الشرح ما يراد به من كلمة (كواليس) . فيقال (من أسرار الدهاليز) أي الأروقة - أروقة دور الحكومة أو الندوة النيابية - التي يتسرب منها استراقاً أو تسقطاً ، بعض أسرار المناقشات العجيبة أو المشاهدات الغريبة مما لا يجوز اطلاع العامة عليه . وإلا فلا معنى لقولهم (من أسرار الكواليس) أي (من أسرار الأسرار) لأن (الكواليس) تتضمن (أسرار الساسة) ، فمن الكياسة إذت أن تستعمل بعد الآن أسرار (دهاليز) خصوصاً وهي (الحرز الحرز) تنطلق فيه الألسنة اللذقة دون وجل وتنحس خارجه خوف البعثة من الزلل .

الكواكي



### « الرماح الردينية »

قرأت في الجزء الأول من المجلد الثلاثين من مجلة المجمع العلمي العربي كلمة الأستاذ خالد بن محمد الفرج عن الرماح الردينية . والأستاذ مصيب في قوله ان « ردينة » اسم مكان على الأرجح ، ومحق في تفنيده الزعم القائل بأن « ردينة » كانت امرأة يتقف الرماح - فهذا أمر بعيد الاحتمال . والظاهر انه سبق الانتباه الى هذه النقطة بعينها فجعل بعضهم « ردينة » اسم رجل يتقف الرماح لا اسم امرأة<sup>(١)</sup> . وقد أدى الأستاذ خالد بن محمد الفرج خدمة جليلة يشكر عليها جميعه أما كن نباتها .

غير أنني أرجو أن يسمح لي الأستاذ بالتنبيه على نقطة ثانوية هي استشاده

ببني النابتة :

(١) معجم البلدان لياقوت - مادة ردينة .

أثبت نبتة جعد ثراه به عوذ المطافل والمتالي  
يكشفن الآلاء مزبئات بغاب «ردينة» السحم الطوال  
والأستاذ يستدل على أن هذا مكان ذو مستنقعات وغاب نباته أسود كثيف  
طويل .

والقاري يلاحظ أن صيغة النعت في «السحم الطوال» تدل على أن لفظ  
«غاب» هنا بمعنى القصب ذاته أي الرماح لا الغابات . ومعنى ذلك أن الباء  
هنا باء الاعتمال لا بمعنى «في» على المكانية . وعلى ذلك بطل الشاهد .  
والذي يقرأ قصيدة النابغة يجد أن الشاعر يصف دياراً مهجورة قد سكنها  
سوار من بقر الوحش وهي المقصودة بهذين البيتين . وقد انبى ابن جيب لهذا  
الأمر ففسر الغاب هنا على أنه كناية عن قرونها - أي قرون كغاب ردينة  
السحم الطوال . وأورد ياقوت<sup>(١)</sup> تفسير ابن جيب كما يلي : «أراد أن  
العود هي التي تكشفها عن الشجر بقرونها ، يعني الأغصان ، ثم قال السحم  
وهي السود نعت للقرون» .

والظاهر أن ابن جيب قرأ مزبئات بالباء المكسورة من الزين وهو الدفع -  
والقرن أداة الزين . ولعل الشاعر أراد هنا حركة الرأس التي تلاحظ في الحيوانات .  
وربما كانت القراءة مزبئات بفتح الباء بمعنى مدفوعات أي مطردات ينهبها  
الصيادون بالرماح الردينية السحم الطوال .

أما القراءة التي يجدها المطالع في طبقات ديوان النابغة ، وهي «مزبئات»  
بالباء المفتوحة ( وأحياناً المكسورة ) فلعلها أضعف للتكلف في تعليق الحال .

الدكتور وليد عرفات

(لندن)

## فهرس الجزء الثاني من المجلد الثلاثين

| صفحة |                                                                                       |
|------|---------------------------------------------------------------------------------------|
| ١٧٧  | تجريد (١) . . . . . للأستاذ خليل مرهم بك . .                                          |
| ١٩١  | حدود العمل عند الفزالي . . . . . للدكتور جميل صليبا . .                               |
| ٢٠٢  | العرب والهندسة المستوية . . . . . للأستاذ قدري حافظ طوقان . .                         |
| ٢١١  | مجل كرد علي ( حياته وآثاره ) . . . . . للدكتور صافي الدهان . .                        |
| ٢٥٣  | في اللغة أبناء محلات . . . . . للأستاذ عبد القادر المغربي . .                         |
| ٢٦٨  | فهرست مؤلفات محبي الدين ابن عربي (٤) . . . . . للأستاذ كور كيس هواد . .               |
| ٢٨١  | مقدمة المرزوقي لشرحه لجماسة أبي تمام (٤) . . . . . للأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور . .  |
| ٢٨٨  | رسالة حي بن يقظان مع شرحها لابن سينا (٤) . . . . . للدكتور محمد صغير حسن المعصومي . . |
| ٢٩٩  | تاريخ نكرة إعجاز القرآن (١١) . . . . . للأستاذ نعم الحمصي . .                         |

## التعريف والنقد

|     |                                                                    |
|-----|--------------------------------------------------------------------|
| ٣١٢ | المصطلحات العلمية في اللغة العربية . . . . . للدكتور مرشد خاطر . . |
| ٣١٤ | القرآن المجيد . . . . . للأستاذ محمد بهجة البيطار . .              |
| ٣١٨ | حي زيادة . . . . . للأمير مصطفى الشاهي . .                         |
| ٣١٩ | علم السموم . . . . . للدكتور حسني صبح . .                          |
| ٣٢٣ | تاريخ المراق بين اختلاين . . . . .                                 |
| ٣٢٤ | الحضنة ( الجزائر ) . . . . .                                       |
| ٣٢٦ | تاريخ الوزارات المراقبة . . . . .                                  |
| ٣٢٧ | ذكريات . . . . .                                                   |

## آراء وأبناء

|     |                                                                                      |
|-----|--------------------------------------------------------------------------------------|
| ٣٢٨ | كلمة الأمير مصطفى الشاهي في حلة استنباله عضواً هاملاً في مجمع اللغة العربية بجزر . . |
| ٣٣٩ | الجزانة الشرقية « الجزء الأول » (١) . . . . . للدكتور مصطفى جواد . .                 |
| ٣٤٧ | ( دهاليز ) أم ( كواليس ) ؟ . . . . . للدكتور محمد صلاح الدين الكواكي . .             |
| ٣٤٨ | « الرماح الدينية » . . . . . للدكتور وليد هرقات . .                                  |



## مَطْبُوعَاتُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَبْرِيِّ بِدَمَشْقٍ

- ١ - محاضرات المجمع العلمي العربي ( الجزء الأول )
- ٢ - محاضرات المجمع العلمي العربي ( الجزء الثاني )
- ٣ - محاضرات المجمع العلمي العربي ( الجزء الثالث )
- ٤ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسن التنوخي ( الجزء الثاني ) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٥ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسن التنوخي ( الجزء الثامن ) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٦ - رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٧ - المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٨ - تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ - المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ - كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ - البيّرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١٢ - غوطة دمشق ( الطبعة الثانية ) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٣ - كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٤ - ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف . جبريالي قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٥ - ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٦ - ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملة الأستاذ خليل مردم بك
- ١٧ - ديوان ابن حيّوس ( الجزء الأول ) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٨ - ديوان ابن حيّوس ( الجزء الثاني ) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٩ - الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعماني ( الجزء الأول ) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني .

- ٢٠ - الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعماني ( الجزء الثاني ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسني
- ٢١ - الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٢ - الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٣ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ( قسم التاريخ ) وضعه  
الدكتور يوسف المش
- ٢٤ - ديوان الوأواء النمشي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
- ٢٥ - تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر ( المجلد الأول ) : بتحقيق  
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٦ - تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر ( القسم الأول من المجلد الثانية ) :  
بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
- ٢٧ - فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق  
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٨ - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن  
يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك . و . سترمتين .
- ٢٩ - تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفطاني
- ٣٠ - عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
- ٣١ - الموفى في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنفراوي الاستانبولي : شرحه  
وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
- ٣٢ - التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
- ٣٣ - المتقى من أخبار الأسمعي للإمام الربيعي
- ٣٤ - تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
- ٣٥ - بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
- ٣٦ - الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي
- ٣٧ - المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
- ٣٨ - الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ أبي عبد الله الزنجاني













Bibliotheca Alexandrina



0652755